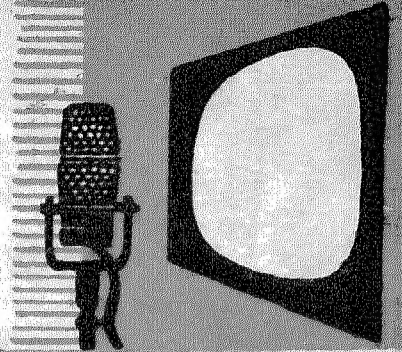


من الشرق
والغرب



الْكُونُ وَالْفَسَادُ

تأليف: أبو طوطا اليسر
ترجمة: أحمد لطفي السيد

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر



مكتبات
الإذاعة
والتليفزيون

سنن الشرق والغرب

الكون والفلسفة

لأرسطو طاليس

يتلوه كتاب « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغاس »

ترجمها من الاغريقية الى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة
الاغريقية وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلمي سانتيلير

استاذ الفلسفة الاغريقية في «كلليجدي فرنس» ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلهما الى العربية

أحمد لطفي السيد

مقدمة المترجم

بارتلى سانتيلير

أصول الفلسفة الإغريقية

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة على مدرسة ايليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠٠ الخ وسابقوهم الحقيقون بالاعجاب هومروس وسافو ٥٥٠ الخ - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٥٠ الخ - الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في أمرها الفلسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاقنمين لكتابة المؤلفات - المكتب من طاليس الى زمن أرسطوطاليس - شهادت هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفون والملاطون وأرسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل ششرون - إيضاح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا « فرنسا » - معابر وأقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الأقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - أولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدن بشئ للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لانهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد . ففي أولهما يعني أرسطو بإيضاح كيف تكون الأشياء وكيف تنتهي ، خلافا لمذهب وحدة الوجود ولا تغيره . وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى ممثلي مدرسة ايليا : اكسينوفان مؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر الا في الشكل فقط ، فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض . وسنعود بالاختصار في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكتابين اللذين يستأهلان أن يعرفا أكثر مما هما الآن . ولكنني أرغب بديا في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها اكسينوفان وميليسوس ، سواء في أحداثها أو في اتباعها .

اكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأول نظرة الاقتناع بأن درسيهما يبعث اهتماما جديا هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس الا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو

الذى ما زال يوليها العطف الذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذاهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد فى الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير تأثيره من التحامل البادر عند ما يتوغل فى درس تلك الأزمان البعيدة اذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها الا آثار لا صور لها . على أنى فى هذا الموطن أكثر مما فى سواه أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق باكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

انه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة فى هذا العالم الذى نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بعصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزمنتها وأمكنتها وأهاليها تكاد تعزب عنا على سواء . انها مستحصمة دون ادراكنا ، مدعاة للشكوك لما يغشاها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافي لما أفادنا ذلك الا من جهة ارضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيرا . ان الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقلعتها فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فاننا لم نستعر منها كثيرا ولا قليلا . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والامر على الضد من ذلك مع الفلسفة الاغريقية ، اننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالة الكبرياء التى هى فى الغالب جانبية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء اغريقيا . انها أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فأنما نسائل اصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن اكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس اليان لا يوجد الا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولا وأبهى جمالا . والظاهر اننا لا نخطئ من الانتساب الى أمثال هؤلاء الأباء . وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين ببئوتهم بأن ندرج على سننهم .

قد أمكن القول ، لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط (١) والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام مايسمح بأن يسند اليه هذا الشرف العالى ، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفكتور كوزان : لدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ العام للفلسفة الدرس الثالث ص ١٠٢ .

يتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد ، فإنه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين إلى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة في آتينا بل في آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتي عام إلى الوراء تقريبا ، إلا أن تمحي من التاريخ تلك الأسماء العظام الأولى التي ذكرتها . إن التقدم الذي افتتح سنقراط بابه لم يكن إلا استمرارا لا ابتكارا وإبداعا .

كل الأصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما في أول الأمر . وإن تعرف سنة هذه القرون الأولى مقرون بالشك الذي يلحق أيضا الحوادث ذاتها التي مرت كأنها غير محسوبة . ومع ذلك إذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فإن أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك في أمرها سبب محسوس .

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح . وبعبءه بقليل جاء فيثاغورث الذي بعد أن عاد إلى وطنه بتموس أثر سياحات طويلة فر منه اتقاء لظلم بوليقراطس الذي كان يضطهده ، وذهب يحمل مذهبهم على الشطوط الشرقية لاغريقيا الكبرى إلى سيبارس وقروطون . أما أكسينوفان فإنه لأسباب أشبه بالمتقدمة نزح عن كولوفون . وطنه الأول ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أنياب الاخطار قد وجدوا آخر الأمر موثلا على شواطئ البحر الترهيني في ايليا (هييلا أوفيليا) ، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها .

أصرف القول الآن إلى هؤلاء الثلاثة العظماء السنين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدة ، وإن كنا لا نعرف منها إلا الشيء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة ايليا . وعما قريب أستطيع أن أضم إلى هذه الأسماء طائفة من أسماء آخر ، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع اغفال الأولى .

ولكنني ، لا شيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان أشعر بأمر يسترعى نظري ، أنهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهليني الذي يسمى آسيا الصغرى وأنهم تقريبا متعاصرون . إن ملطية التي هي في القارة ، وسموس في الجزيرة التي بهذا الاسم ، وكولوفون في شمال ايفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسحا .

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهددا المجيد . لكيلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف

الى هذه الثلاثة الاسماء : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ، أسماء
أنكسيمندروس وأنكسيمنس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس
الذى هو من إفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا فى
خليج هيرموز . وأذكر اسم لوكيبس وديموقريطس اللذين ربما كانا من
ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس ، واسم ميلبوس الذى هو
من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الاسماء أسماء
بعض الحكماء اللذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل
منهم احتراما . فمنهم بطاقس من ميتلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق
سلاح للشاعر ألفايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه
ديكتاتورا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحا ثم نزل عن
الدكتاتورية . ومنهم «بياس» من «بريينة» الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى
ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى
أقام طويلا فى سموس ثم فى سرديس عند كرىزوس ، ذلك المولى الفريجي
الذى لا ينبغي للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف
سقراط من أن ينظم حكاياته شعرا (١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه
المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى ليزركليس
دروسا فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى
خصص لها رغائب محلا فى مدرسته الاتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الارب كان محقا حين كنى آسيا الصغرى
بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة » (٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على
ذكرها واتى يمكن أن يضتاف اليها كثير من أمثالها كافية فى إثبات هذه
الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى -
بالمقابلة للعالم الاستيوى - عرفنا لمن هو ذلك المجد ، والى من يجب أن
يسند عدلا .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها
وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل
التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر الا متأخرا وبعد سائر
الملكات الأخرى . وليس بى حاجة الى التبسط فى بيان هذه الحقيقة
المشاهدة فى الأمم وفى الأفراد على السواء . واقتصر على أن أقدر أن
مجرى الأمور فى آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه فى غيرها . فان

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٣ .

(٢) تيديمان ٥ روح الفلسفة (النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ ، النسخة الألمانية .

الفلسفة على هذه الأرض المخصبة لم تكن نباتا منفردا ولا ثمرة غـير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الانتاج الشريف وما على الا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذي ولد وعاش يقينا على شواطئ آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى عبقرته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة . وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبا قلينوس الأيغزوسي الذي هو حربي مثل طورطائس والذي شهد وقت إغارة القميريين وشلبا بها في شعره . ثم الكمان السردى الذي حق له أن يعلم تقدمونيا وطن لوكورغس ويهرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى والقايسوس اللسبوسى ذى الرماية الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الأيريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها الا هوميروس (١) . ثم مينيرمس الأزميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى حمل الشعر قواعد الاخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الاصلية : الليدية والفريجية والنورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تربندرس .

ذلك فى الشعر . وكم الى جانب الشعر من الكنوز التى لا تقبل عنه فى نفاستها وإن قلت عنه فى اليها . علم الفلك والجغرافيا أبدعهما أنكسيمندروس وسكولاكس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات التى أبدعها فيثاغورس وتلاميذه أسلاف أرسطارخس السموسى معلم أرخميدس وهيبارخس الرودى . والتاريخ أبدعه اكسنطس السردى وهيكاتيوس الملطى وهيلانيكوس الميتيلينى . وعلى الاخص هيرودوت الهاليكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل إبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقبا آخر لو وفقت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه فى الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطن ورودى وكينيس قبل أن يقر قراره فى قوض بفضل بقرط الذى لا يقل عظما فى فنه عن هوميروس فى شعره . وفى عمارة المدن أبدعه هيوداموس الملطى الذى كان مع ذلك

(١) ر . كتاب فيلسين على عبقرية بنطارس ٨٠١ وبنا يليه ١٠٠ هـ فى تاريخ الآداب الاغريقية الذى الله أوتفريد مولر . ترجمة فيليب راندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

كاتباً سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو في كتابه «السياسة» (ك ٢ ب ٥) .
وفن الحفر والصب أبدعهما تيودور السموسي ابن روكوس . وفن التعدين
أبدعه أتيديون . الخ .

أقف هنا لكيلا نجاوز بهذا التعدد الجاف أبعد مما ينبغي .
ولكنه يجب التنبيه الى أن هذا الحصب البالغ حشد الاعجاز لم ينته
بانقضاء تلك الازمان التي ذكرناها . فان تيوفراسط هو من ايريزا ،
وأبيقور ربي في سموس وكولوفون ، وزنون فخر الرواق ولد في كتيون
من قبرص ، وإيفورس من كومة ، وتيوبومبس من شيوز ، وبرهاسيوس
وأيلس من ايفيزوس وكولوفون ، واسترابون من أماسية على الجسر
(البحر الاسود) مستعمرة احدى المدن اليونانية من الشاطئ الغربي
لآسيا الصغرى . الخ . الخ .

تلقاء هذا المجد السامي الذي لم يمحاه ما ظهر بعده لا يسعني الا أن
أقف مأخوذاً أساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا
الكمال وذلك الابداع حقوقها من الاعظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك في رأينا
داعية الى تعديل تاريخ هذه المستعمرات الاغريقية من آسيا الصغرى في
بعض أجزائه على الاقل . تلك المستعمرات التي ندين لها بكل شيء .
ولكني اذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لا لرفع ظلما
مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسّن فهم الناس لتلك
الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الانساني ، ولابن
حق واضع الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه
المستعمرات التي نزحت من افرىقا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح
بأحد عشر أو اثني عشر قرناً ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسية
التي اعتورت تلك الاصفاع مدة قرنين اثنين من عهد اكستيفان الى
هينليستوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وصنري أن فلاسقتنا
أخذوا بقسط وأفر من هذه الحوادث بل صرفوها في بعض الاحيان مع
أنهم في الغالب كانوا لحرها صالين .

وأني راجع في كل ما أقدم من القول الى هيروdot وطوكوديدس
واكستيفون وما حفر على رخام باروس أو رخام آرونديل (١) .

كانت المستعمرات الاغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى

(١) من بين المؤرخين الحديثين استند على الخصوص في تاريخ افرىقا الى ج جروت الذي
هو أتم وأحسن ما أعرف .

ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . يقطن هؤلاء أوطاناً متقاربة المساحة . فاما الايوليون الذين هم أول من هاجر من الوطن الاصلى المشترك فأنهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريباً اذا طردوا من بيلوبونيز عند اغارة الهيرقليديين . واما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريباً . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

كان الايوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازاً يقطنون اثنتى عشرة مدينة (١) وهي كومة فريكيون ، ولاريسافريكيون ، وليونتيكوس ، وطموس ، وكيليا ، ونوسيون ، وايغروسا ، وبيطاني ، وايفاي ، ومورينا ، وغروناى وأزمير . ولكن هذه المدينة الاخيرة قد نزعت من أيديهم وأضيفت الى الاتحاد اليونانى بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجئوا الى أزمير واستولوا عليها فى غفلة من أهلها . وقد ضاع من أيدي الايولين أيضاً بعض المدن الاخرى التى أسسوها على جبال ايدا . وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس ، وواحدة بجزيرة طندوس ، وأخرى فى مجموع الجزر الصغيرة التى كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت . ولم يكن للمدائن الايولية من الاسم الا الحمول . وكانت أرض ايولس أحسن من أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الاخرى خصوصاً فى سرعة القلب .

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة . وهي : ملطية وميوس وبربينه فى قاريا ، وايفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطيوس وكلازومين وفوكاية فى ليديا وايروطراى على اللسان الذى يكونه جبل ميماس . وكان لهم جزيرتان : سموس فى الجنوب ، وشيوز فى الشمال . ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جسد التباين : لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الاخرى ، وملطية وميوس وبربينه كان لها ثلاثها لهجة واحدة . وللمدن الست الاخرى لهجتها ، وكان أهل شيوز وايروطراى يتكلمون بلسان واحد .

أما الدوريون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم فى الجزء الجنوبى ، وليس مدق الديوريون لهم الا ست مدن نزل عندهم الى خفس

(١) اتبع فى ذكر هذه المدن الترتيب الذى وضعه هيرودوت . ولكن أخذاً من الجنوب الى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طمنوس ، نيونتيكوس ، لاريسا ، كومة ايفاي مورينا غروناى ، بيطاني ، كيليا . ولا يعرف مكان الاخيرتين .

بعد قليل ، وهى : لندوس ، ويانيسوس ، وكاميزوس فى جزيرة رودس ، وقوص ، وكنيدس ، وهاليكارناس . على ان هذه المدينة الاخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسية .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريوبيون ، ولليونان معبد نبتون هليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا ، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى بأنيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان بريئة . ولا يعرف بالضبط معبد الايوليين . كانت هذه المعابد لإقامة الاعياد الدينية عادة ، غير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر اخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافيا الا مساحة ضيقة . فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ ، فان مساحة المستعمرات الايولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض ، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا ، وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعى أن اهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فانهم كانوا أكثر نشاطا وحذقا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الامم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال بيلوبونيز على خليج كرسا كان لهم فيها اثنتا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحبنا لتذكّار وطنهم الاول لم يشاءوا أن يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم فى ايريا . ولما طردهم النوريون الذين أغاروا على بيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الاقل فى أطيكا ، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه اليه طوكوديدس فى مقدمة تاريخه . وعما قليل ضاقت أطيكا القليلة الحصب ذرعا بأهلها واضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الإبطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الماوكية لم يتيسر لابنائهم أن يقيموا فى بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين فى هجرتهم . فاما نيلاوس فولى وجهه شطر ملطية ، واما اندركلوس فاتجه

الى ايفيزوس . ولو صدقنا رخام باروص لقلنا أن نيللوس هو الذى أسس
المدائن الاثنتى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هى
البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابنى قدروس كانوا خليط
ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن . فان الذين أتوا من
أشاية الى أطيحا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جدا الاختلاط ليس
بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، إنما كانوا
أبناطة من أوبويا ، ومنجينيون من أرخوموس ، وقلميين ودريوبيين
وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلاسجة ودورين من أييدورس وطائفة من
إجناس آخر . وكان كل هؤلاء الرجل يعامل بعضهم بعضا على حد
المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون
أشرف هذا الخليط وان كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية . وان تلقيبهم
بلقب « اليونان » كان فى ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ،
فكان الاتينيون يخلطون منه ، وكان الملطيون فى أوج قوتهم يحبون
أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام . وأما
اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفظرون بأصلهم وقيمون مثابرين
الابتوريا الاتينية ، تلك الاعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الاخوة الشعبية
التي كانت موجودة فى آتينا ، ما عدا أهل كولوفون وايفيزوس فانهم
حرموها على اثر قتل حرام ارتكبوه .

لم تكن الهجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يحمل
المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالاكراه ، بل عمدوا
الى القاريين فذبخوا منهم الآباء والبعول والاولاد ، واستحيوا النساء
واتخذوهن زوجات لهم ، ولكنهن انتقمن لانفسهن فأقسمن الايمان على ألا
يطعنن مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهن أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا
الدعاء ، واستنت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال .

والواقع ان البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا
طويلا . فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين
والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن الفريجين والليديين والمايونيين
فى الوسط ، ومن القاريين والليليج . . . الخ فى الجنوب . وكان هؤلاء
قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الاغريق ، ولو انهم
كانوا يقربون القرابين بالاشتراك ، مثال ذلك قرابينهم الى « مولاسا » فى
معبد «المشترى» القارى . فى أوائل الامن لم تكن الممالك التى كملكة
ليديا قد اتخذت نظمها بعد . ولو ان الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى
الوسط نشروا سيادتهم بادية الامر على تلك الجهات الى الشواطىء ،

وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى اغريقيا الكبرى والى امبريا وعلى شواطئ البحر الترهيني . وأما الموضيون الذين كانوا الى شمال ليديا وغربها فكانوا انزع هذه الامم الى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا في الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يشرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا في أسواق منطية . وكان النليديون مشغولين على الاخص بصناعة المعادن ، لان نصفت ارضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والتحاس . الخ . وكانت أخلاق الفريجين والنليدين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتي أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة في فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة الا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ، ومع ذلك فقد كان شأنهم أن يقبلوا بخد على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بانشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك الدروس . على انهم قد الجاتهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء الا بتجارة كبرى في الصادرات والواردات . فكانت كينوك ومراكز معاوضات بين الاهالي والبلاد التي كان يأتي منها الاجانب . فلم يعمد على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال افريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في اغريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي اسبانيا أمام عمدة هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الاخص في القسم الشمالي لبحر أيغاي وفي هليسبنتس ، والبروبونتيد ، بل في البحر الاسود الذي كان يسمى وقتئذ «الجسر» ، حتى لقد قيل ان بلطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا النماء الاول للمستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف الا قليلا مع أنه استمر على الاقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فان التاريخ لم يبتدىء حقا الا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، اعني من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذي ارتقى عرش ليديا بقتله قندولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها الا مسحة الضدق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي بالسنداهة أسطورة . فان

غضب الملكة زوجة قندولس وغلب جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الخاتم فليست الا أسطورة عامة وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في ألف ليلة وليلة . ولقد جيت أرخيلوخيس وهو مجاهر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكري الذي صار ملكا وعن اقتسامه وظفره في إحدى القطع الشعرية التي كان لا يزال يقرؤها هيرودوت (١) . وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التي تتبعي أنها من سلالة هيرقليس ، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الإله الذي وصلها بنسبة كبرياؤها . وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرئادة .

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، إذ أخذ يغير على المدائن الإغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطابوعة لبعض الضرورات السياسية ، في حين أن لنديا كانت وقتئذ بينها وبين الإغريق ، خصوصا إغريق القارة ، علاقات أقرب ما تكون إلى السلام .

وقد كان جوجيس ، كبائري الإغريق في آسيا وفي غيرها ، يعتقد وحي دلفوس ويخضع له . ولما كان محاطا بالمكايد من كل ناحية منذ تيوبه العرش ، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدي التعاق بالملك الذي ذبحه ، أراد أن يدخل الإله في قضيته ، فاستشاره وقدم إليه الهدايا الغالية . وقد أقر الإله هذا الغاصب القاتل على عهده . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس هو كريسوس السوء البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها الأمثال . ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبثوا بالدار الكاهنة ، وملك ذلك العسكري الزاني القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا خروبه مع مذبذباته . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه .

وقد حكم أودوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين عاما . فاستولى على بريئة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته . وخلفه ابنه سدواتيس ، فلم يكتف على العرش الاثني عشر عاما ومات ، وكانت سنوه الست الأخيرة كلها مشغولة بمحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يأتيها من

(١) د . هيرودوت ١ ب ١٢ ، وفلاطون ، الجمهورية ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان .

البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهكم حرثها كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمينيون وفي سهول مياندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشيكا لولا أنه استشار وحشي دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فجنح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الامر صديقه برباندروس بن كوبسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الارزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك انخرع أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها الا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحي ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برى باستشارة الوحي قدم الى اله دلفوس كاسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلودكوس الشيوخى . مخترع ذلك النمط الحديث الذي بالغ الناس في الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التي أجج نارها أليات ، بل امتدّت على أزمين مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلابومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب في الخليج بعينه ، ولكن كلابومين ردتة عنها وحملتة خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين الذين استولوا في عهد جده ألدوس على تلك الولايات الآمنة المخصبة . فانهم لما طردهم السيتيون الرحل من مواطنهم اضطروا الى النزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقصدوا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها الا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجرى من تحتها نهر بكتول فهي وحدها التي استعصت عليهم ، ثم ردوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهددون الامن : يخيفون السابلة وينهبون الاماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودحروهم الى الشرق وقذف بهم بين

الإجناس السامية التي كانت حدود أوطانها تنتهي الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التي كانت بين ليديا وبين السيتيين هي التي جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين . ثم جيوش الفرس الذين هم أشد بأسا . فان فصيلة من السيتيين لما طردوا من اقليمهم القاسي المناخ هبطوا الى أرض ميديا في الشمال الغربي من نهر الفرات ، فأحسن كواكزاريس ملك الميديين وفادتهم ، ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكن لهم في وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلّموا في مدرستهم فن البرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقربين من ملك ميديا غاظهم منه شدة في قول وجهه اليهم ، فشبوا غليل صدورهم من هذه الاهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم في رعايتهم واحتموا بمعية أليات ليتقوا شر العقاب الذي كانوا يتوقعون . فطلب كواكزاريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحب نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لان الملكتين متجاورتان ، والاحتكاك بين أم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقوى .

هنا استوقفنا النظر لحادثة في غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الامم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب في سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ، واذا بالشمس قد كستفت فغشيهم ليل مظلم اضطربهم الى وقف القتال . ليس في هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذي حفظ لنا ذكرها زاد على حكايتها أن طاليس الملطي كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسي ونبا اليونان به وبالسنة التي يقع فيها (١) .

لا شبهة لدى في رواية المؤرخ تلك التي قد أفسحت من البحث محلا لنظريات كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا في حساب هذا الكسوف بالآلات الفلكية التي بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تمييز تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الإجماع على أمر علمي محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فانّ الاب بيتو قد حسب أن هذا الكسوف ينبغي أن

يكون قد وقع في السنة الرابعة من الاولبياد الخامسة والاربعين ، يعني السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذي هو آخر من عني بهذه المسألة فانه وجد أن كسوفاً كلياً يرى في هالوس حيث ملتقى الجيشين لا يمكن أن يكون الا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م . « ر » مذكرات مجمع الرسوم الخطية والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢ ، واذا يكون الفرق بين التقديرين ثمانية عشر عاماً . ويمكنني أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافاً من السابقين . أما بلاين عند القدماء فانه عين هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة الرابعة من الاولبياد الثامنة والاربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما (١) . وهذا التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريباً . ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لاني لا أطلع الى امكان الفصل فيها واستجلاء غوامضها ، بل أقف عند حد الترجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأياً قاطعاً في هذه المسألة التاريخية .

أما المسألة الأخرى التي أثارته هذه الحادثة ثائرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيروdot ؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الايام أنكر ج . جروت (٢) . أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبغي أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنني أنبه الى انه يؤخذ من رواية هيروdot عنها ، صادقة كانت أو كاذبة ، انه في زمانه أي بعد طاليس بقرن تقريباً كان الناس يعتقدون امكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في اثبات أن العلم كان متقدماً الى قدر الكفاية فان مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية في الجدل لانه لاجل أن يقبل العامي امكان حساب الكسوف ويصدق ويتحدث به لابد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثاً . ومما لا جدال فيه أيضاً ان شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث انهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبارخس الرودسي أمكنه أن يضع فهرساً لكسوف الشمس وكسوف القمر مدة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الروماني لم تكن الحسابات الفلكية لتخطى مرة واحدة . حتى قيل : « ان هيبارخس كان يحضر مداولات الطبيعة » . وكان هيبارخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريباً . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ، لانه ليس في يوم واحد

(١) بلاين . التاريخ الطبيعي ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليتري .

(٢) ر . م . ج جروت . تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١ .

يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل فى شئ أن طاليس فى عهد أليسات قد فتح باب علم بلغ به هيبارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد انصلح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ولاينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كواكراريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا نعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعههم ومص كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التى عقدت على أكمل ما يمكن من الاخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، اذ جرتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك انه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذى قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذى صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الامراء الممتازين . ومع أنه كان شديد الإعجاب بكنوزه الوراثة التى جمعها أجداده انهيرقيون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يبدو للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الاغريقية على الشاطئ ، فتجنى عليها بعلل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحة بافيزوس ، وعما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات اذ قهر يونيا وأيولس جميعا ، ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا مادامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التى هى قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس البرينى ، وفى رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميثيلينى اذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال فى الجزائر ، فأجاب بياس : « إن أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس فى عشرة آلاف فارس » فأجاب كريزوس : « لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط » فقال الحكيم : « أيها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ماظنك بما سيقولون من جانبهم عندما تأتئهم الانباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ » . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما ارتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ما وراءه ، وهم الفريجيون والميزيون

والمارياندينيون والخالوبس والبلاغونيون وتراقويونييا وبيثينيا والقاريون والجمفيليون حتى الدوريون وانيونان والايوليون . ولم يفلت من قبضته الاكيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر التي تحدد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويا ، فهو ينبع من جبال ارمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربى وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الاسود شرقى سينوب وطندوجين وبعد نهر هالوس ثلاثة انهر آخر عظمة النفع لتلك الجهات تتقاسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة في البحر الابيض المتوسط يوازي بعضها بعضا تقريبا ، وهى المياندريس الذى يصب في خليج ملطية ، والقاوسترس في خليج ايفيزوس ، والهرموز في خليج أزمير الى الشمال الغربى قليلا . وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك في آسيا الصغرى وانه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو في الواقع كان السبب في خرابها .

في هذه الاثناء حصلت تغيرات وانقلابات عظيمة في الشرق وفي البلاد المجاورة للمملكة الليدية المترامية الاطراف . فان قيروش خرب مملكة اصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ، وفكر في مهاجمة لينديا التي كان يظهر عليها انها كانت متحدة مع أعدائه . وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وان تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء في ذلك البرابرة والاغريق . ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذى يتهدهده ، فلما علم بهزيمة اصطياغ استكمل عدائه للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل في حادثة في الصيد، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف اغريق الشواطىء وجيـع اغريق ييلوبونيز والغرب . ولهذه الغاية أرسل بادیء الامر يستشيين الوحى ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون ، والى أباس في فوكيد ، والى غار طروفو نيس ومعبد انفياروس ومعبد البرنشيده على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشتري آمون نفسه . وكان كريزوس يريد ان يضع لهم بادیء الامر اسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسألة الكبرى مسألة الحرب مع الفرس التى كانت تقلق باله . فوجد أن هاتفي دلفوس وانفياروس أكثر اخلاصا ، فحمل اليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيلي فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفاثس الغالية فى المحارب . وعندما

قدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استثنار الهاتفين في أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية ، اذ قال : « اذا اشتبك كريزوس في الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى » . . . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الا الهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكريزوس أن حين وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الاغريقية . فعاد كريزوس هاتف دلفوس في هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس السورى والأتينيين من الجنس اليونانى ، يعنى الهيلينيين والبلاسجة ، فأوفد سفراءه الى الاجزاء المختلفة لبلاد الاغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاءه الا اللقدمونيون الذين هم مائلون اليه لخدم اداها لهم قبل ذلك . أما بقية الاغريق ، وعلى الخصوص الاتينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا واستنجد كريزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه ان مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين الف مقاتل كما يروى الرجل الطبيب اكسينوفونا .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كبادوس من ارض ميديا التى افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضروري له أن يعبر نهر الهالوس وهو فى هذا المحل واسع المجرى ، ووقع بذلك فى صعوبة كبرى لم يتغلب عليها الا بحنق طاليس الذى كان قد تبسع الجيش الليدى فى عدد غير قليل من مواطنيه ، فانه اصطنع جسرا عريضا فصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها . تلك هى الرواية التى وصلت الى هيروdot في حادثة عهدها . ولكن هيروdot يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ فى رواية العامة الا بعدهذه الواقعة بزمان . ولما عبر كريزوس النهر استولى على المنطقة التى كانت تسمى بطيريا وخربها .

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم اليهم من أهل البلاد ، ولكن قبل أن ينزل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلي عن جيش كريزوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كريزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتى الا بالعار المجرد من كل منفعة ، لان الاغريق لا يستطيعون ان يقفوا وحدهم فى وجه الفرس اذا سقطت ليديا فى يده كما كانوا يتوقعون . وان هزيمة عامة لكل اجناس الاغريق خير من العار ما داموا مصريين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لأول وهلة . ولما التقى الجمعان فى سهول بطيريا شرقى هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت نهارها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لاحد الفريقين على الآخر .

ولكن اضرارها كانت على كرىزوس أكبر ، لان جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قىروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ ان يبدأ بالقتال فى اليوم التالى ، فانتهر كرىزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على ان يبلغ من الدفاع عنها غايته .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولاينطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته ، واعتمد على انه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجدد الكرة على جيوش قىروش فى الربيع القادم ، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة فى عاصمة ملكه . ولقد أصاب كرىزوس الحكمة فى هذه التدابير ، ولكنه ارتكب خطأ جماً فى صرف جنوده ظناً منه أن قىروش لا يستطيع ان يطلع على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لان قىروش احتفظ بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطاً من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كرىزوس وان كان قد أخذ على غرة فإنه لم تنحل عزيمته بل اعتمد على ما هو مشهور عن أهل ليديا من الاقدام خصوصاً كتائب فرسانهم ، فأنهم كانوا مقطوعى النظير لمهارتهم فى ستوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى كانوا يعتقلونها . ولكن قىروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتمد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها فجعلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسناً ، لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم مؤثلاً الا أسوار مدينتهم .

لما رأى كرىزوس انه محصور بجنود منصوره عجل الى حلفائه وعلى الاخص اللقمنونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تاهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ سقوط سرديس عنوة فى يد قىروش بعد حصار دام أربعة عشر يوماً ووقوع كرىزوس فى الاسر . لما وقع ملك ليديا التعسف فى أيدي أعدائه منقلاً بالسلاسل وحكم عليه بأن يحرق حياً هو وبعض أبناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه وسعرت له النار وكادت تصل الى جسعه ، رق له قلب قىروش وأخذته الرحمة على هذا الملك البائس الذى كان يحتمل تصاريق القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سبولون له حينما وفد عليه واقام فى معيته . وكانت سن كرىزوس وقت وقوعه فى الاسر تسعة واربعين عاماً حكم منها أربعة عشر عاماً منذ وفاة أبيه ، وبقي بعد ذلك زمناً طويلاً فى معية قىروش مرافقاً ومعيناً له فى غزواته .

ان تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطراباً من تاريخ كسوف طاليس . واخذاً بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت في السنة الثالثة من الاولبياد التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فإنه يقول انه وقع في سنة ٥٤٥ أخذاً بشهادة سوسيقرات الذي استشهد به ديوجين اللايرثي في كتابه « حياة بيراندر » . وأما فولني فإنه أخره الى سنة ٥٥٧ في كتابه « أخبار هيرودوت » . وعلى كل حال فإن هذا التاريخ على خطره محوط بالمشكوك ، ولا يزال محلًا للتحقيق .

لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الاغريقية خطر مركزها ، فعرض الايوليون واليونان الطاعة على الشروط التي كانت بينهم وبين كيرزوس ، فرفضتها قيروش مزدريا اياهم ، وذكر اليونان اعراضهم عنه حين خطب ودهم قبل ذلك ببضعة أشهر، فلم يبق لهذه المدائن الا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين ، فدعيت ندوتهم (البانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها الا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتهم قبل ، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا .

من المحتمل ان يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التي قدمها طاليس للاتحاد اليوناني ، فإنه لبصره بالعواقب ارتأى ألا يكون للمدن اليونانية الا جمعية واحدة تعقد في طيوس، لتوسط مركزها ، على ان تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة ، لانهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك ، فإن الاتحاد وحده هو الذي ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هي التي أضعفتهم . ولكن هذا الرأي السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجيء بعد الاوان ، فإن حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن اصلاحه . ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة في وقت أشد حرجاً فلم تقابل الا بما قوبلت به سابقته من الاعراض . ثم نصح لهم بعد ذلك بياس البرييني أحد أعضاء الندوة (البانيونيون) ان يترك اليونان جميعاً آسيا ويتخذوا اسطولا كبيراً يركبونه الى « سردينيا » حيث يؤسسون جمهورية قوية . وأبان لهم بياس أنهم أن بقوا في آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم . يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قرروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الاغريقية كلها ، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الايوليين ليرسلوا سفراء الى أسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان اعانة الجمهورية اياهم .

لم تشأ جمهورية اسبرطة أن تملهم بقوة حقيقية ، بل ارسلت رجلاً ثقة من رجالها يقال له «لقرين» الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسئ الى أية مدينة اغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذي

ماكان يعرف الى ذلك الوقت ما هي اسبرطة ، أخذ يسأل بها وأعلن - وهو هازيء بهذه الشعوب التي يخالها متأنة في أمورها - انه أولى بها ان يشغلها الخطر المحقق ببلادها عن الخطر الذي يتهدد يونيا . في هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الاحوال في بابل وبكتريان والساسيين بل وفي مصر أيضا الى التجمع بالسفر من سرديس الى اقبطانا ، وخلف على المدينة فارسييا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التي جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انتهمز بكتياس غيبة قيروش في حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التي أوتن على نقلها ، وانتبه بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين الى الثورة والانقراض على قيروش ، وألف بالمال جندا سار به الى حصار مدينة سرديس التي كان يحميها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حيناً حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتماء في «كومة» . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة هاتق البرنشتيد لولا رجل شجاع منهم يقال له ارستوديقوس حمى الثريل ونجاه من الهلك واستحب عصيان الاله على انتهاك حرمت الضيافة في حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتيلين حيث عادت لاهل كومة نخوتهم وأرادوا هم أيضا حمايته . غير ان هذا السبيء الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرقا وسلموه الى الفرس ، لان قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا ، وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة في ميزيا تجاه لسبون ، ولكنهم لم يسعدوا في هذه الارض التي امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت انه من زمن طويل على أهل شيزون لا يستطيعون أن يقرؤوا للألهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأتيهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التكيل بالدين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس . وكتب الرق على سكان بريئة وباعهم بالزاد ، وخرّب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها وابعها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس بهذه القطائع ان يغلوا أيدي المغلوبين عند الثورة ، ولكن اغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجبعوا بأنهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتيجتها الا الفشل والخللان .

بذلك يبتدىء العهد الثالث والاخير لتاريخ الاغريق في آسيا الصغرى فان العهد الاول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لانه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الاغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كريزوس.

وسقوط سرديس • ولم تكن قوة ملوك الميديين تلقاء قوة الفرس شيئا مذكورا ، لان الفرس كانوا أمة حزب ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا تقدما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش •

أما الذى خلف مزاديس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو رجل خليق بكل أنواع الفطائع واقتراف الدنيا يقال له هربغوس اشتهر بعمل مقطوع النظير في الحسنة حتى في معرض دنيا البلاط الفارسي ، ذلك أن «اصطياغ» ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربغوس امينه أن يحتال لقتل الولد الذى وندته حديثا ابنته مندان من قمبيز ، وكان هذا الحفيد المقصود بالوقية هو قيروش ، فقبل هربغوس هذا الامر ، ولكنه لم يشأن أن يقتل الصبي بيده فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توصيلات زوجته فاستبدل صبيه الذى ولد ميتا بالذى دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة على هربغوس فلما استكشف «اصطياغ» خفية الامر وعلم بكل ما جرى كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربغوس شر انتقام ، فأمر بقتل ابن هربغوس سرا ، ودعاه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام ويده وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هربغوس ، فلما كشف عنها الغطاء رأى هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة ، فسأله «اصطياغ» فى ذلك فقال : انه تعرف اللحم الذى أكله ولا يسعه الا الثناء على الملك على ما تفضل به •

ومع ذلك فان هربغوس قد أصر على الانتقام من «اصطياغ» بأن يثل عرشه من تحته ، فحرض قيروش سرا على العصيان • ولم يصادف هذا الامير الشاب عناء فى حمل الفرس على نبذ نيز الميديين الثقيل • ولقد بلغت العماية «باصطياغ» انه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسي أمر على الجنود هربغوس الذى كان قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الاخير أن خانه وانخدل بالجيش ، وقهر قيروش «اصطياغ» ولم يقتله بل تركه يعيش فى الخزي • وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من ديجونسيوز بن فراورط • وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس الذين لم يحتفظوا به الا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة اسكندر •

ذلك هو هربغوس الذى رمى به قيروش مدائن الاغريق ليخضعها •

ولقد عنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لابن أى الامم وأى الاخلاق سيكون ليونان الشاطيء علاقة بها •

أخذ هربغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ، فكان كلما وصل مدينة احاط بها ثم حفر حولها خندقا يحصر اهلها فيضطرهم الى التسليم • فبدأ

بمدينة فوكية ، تلك المدينة التي كان لها اسم كبير في ذلك العهد والتي تهمنا بوجه خاص جد الاهمية ، لان أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطىء البعيدة لبحر طرهينيا ولقد كان أهل فوكاية اول من أزعج السياحات الكبرى المقرونة بالآخطار من جميع الجنس الهلينى، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الادرياتيكي وبحر طرهينيا وايبيريا وطورطائيس ، تلك الاصقاع السحيقة فى حدود الارض وراء عمد هيرقليس، وهم الذين حوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفا من المجاذيف وهى المسماة «البانيكوتتور» . ولما كان لأهل فوكاية صلات مودة ومعاملة ببلاد طورطائيس عرض عليهم ارغانتونيدوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا اليه اذا شاءوا أن يتركوا يونيا عندما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا إلى انهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، اعطاهم حليفهم الملك مبلغا عظيما من النقود ليساعدهم على اقامة سور منيع حول مدينتهم ، فأقاموا هذا السور الواسع الامتداد من احجار كبيرة محكمة الرصف جدا .

وقف هربغوس أمام هذا الحصن العظيم الذى لم يستطع النفوذ منه الى داخل المدينة ، وبقي محاصرا لها حتى أرق أهلها ارهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو ان يهدموا جزءا من الحصن الامامى تحتله الفرس اشارة الى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب اليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يبتعد الجيش الفارسى عن مراكزه ، فأجابهم هربغوس الى ذلك مع توقعه ما سيحصل فاغتنم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الامتعة المقدسة التى جمعوها من المعابد ، وسافروا الى شيوز فلما جاء الفرس فى اليوم التالى وجدوا المدينة خلوا ليس فيها احد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادىء ذى بدء فى أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التى تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لانفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطر الفوكيون الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة «علاية» باشارة الهاتفة ولكنهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائى رجعوا الى فوكاية على غرة من حرسها الفارسى وذبحوهم ، ومع ذلك فان هذا العمل الجرى لم يمكنهم من البقاء فى وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم . وليثبتوا أنهم لن يتركوه القوا فى البحر كتلة من الحديد واقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه

الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحي أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى بر بقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق ، وأبحروا الى قورسقة ، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون فى سكنة مدة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين ، أما حسدا من عند أنفسهم ، وأما اضطرابا للكسب وجبا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين الا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لحصومهم ، ولم يبرر لهم ذلك الترد فى منازلهم ، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سردينيا ، وتحرشوا بهم وطلبوهم للقتال ، ولكنهم خسروا فى هذا انظر ثلثي سفنهم فرجعوا عاجلين الى « علالية » ، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجأوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنين فقبضوا عليهم وذبحوهم ، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية ، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أونترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت « مدينة هيبلا » وهى المعروفة بمدينة ايليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ أكسينوفان الى ايليا هاريا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس ، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ما ورد فى شعر أكسينوفان خاصا باغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين ، إنما يراد به واقعة هربفوس تلك لا حرب الميديين (١) ، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس ايليا الذى شدا به أكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد ، بل قد يكون أدنى من ذلك . على كل حال فإنه قبل اغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الاغريق بثلاثين سنة على الأقل ، وليس عندنا ما يفيد أن أكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها ، وهى من ليديا كمدينة فوكاية ، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية ، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة سنة ١٨٦٥ ص ٣ و ٤

المتوحشين ركبوا البحر ليلجأوا الى جهات أكثر طمأنينة . حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين الا: اخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل اولئك ، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدين ، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلاًزومين . أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة ، ولأمانع من افتراض أن أكسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أثنى عليهم المؤرخ ، والذين لم يلقوا قبيحاً الى الفرس الا بحكم الضرورة . الا المملطيون وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر أنفاً وبذلك احترم هربغوس حياتهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة . وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة ، لان الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية . وأما يونيا وأيولس فانهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل . وأما الكنديون فانهم حاولوا الدفاع بالأسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة ، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذاً بنصيحة كاهنة دلفوس . وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن وطنهم . وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى اخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر .

كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بأغريقيا وبمصر ، وبينما كان قمبير المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس ، وقد مكن له فيها بحسن ادارته وقلة تحرجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفر من كل نظائرها . وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنيوت وسيلوسون ، اذ اقتسم الاخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث ان تخلص من أخويه اذ قتل احدهما وشرد الثاني وخلص له الحكم واطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المفصوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل واياها الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الاغريق ، وكان استعداد العالم موافقاً في مشروعاته الى غاية المنى ، وكان أسطوله مؤلفاً من مائة سفينة من قوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماة وحدهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الاتاوة

بغاية الجراة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى
قضى الظرف الا انه كان يعرض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدة جزر
حوالى سموس ، بل عدة مدن فى القارة . ولما ساعد اللبوسيون الملقطين
عليه حاربهم وقهرهم فى وقعة بحرية ، وسخر جميع الاسرى مصفدين
بالاغلال فى حفر الخندق العميق الذى كان يحيط بأسوار المدينة . وكان
من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من
الجور واستجاروا بأسبرطة ، فأبحر اليه اللقديونيون فى اسطول قوى .
وحاصروا المدينة أربعين يوما ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس
بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبدا بالحكم مهيب
الجانب لا يغلب على أمره ، حتى ان من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام
لظلمه لم يكن لهم وسيلة الا الهجرة بعيدا عن ملكه الى حيث ينزلون منزلا
يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطواوى بذلك الخندق العميق الواضح
بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه الى المدينة مائتة ، وبني رصيفا شاهقا
متقدما فى البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاءمة لرسو السفن ، ثم بنى
معبدا اشتهر بأنه اكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضا
هذه الأعمال العظيمة التى عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محبا للآداب والفنون ، ويقال أنه أول من أنشأ
مكتبة . وكان مثل ذلك فى تلك القرون زخرفا نادرا ، كانت مصر وحدها
هى صاحبة الإبداع فيه . وكان يؤوى اليه الشعراء ، وكان أنقريون
الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

فى صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا ، ينبغي أن نورد
خبر الصلات التى كانت لفيثاغورث به والتى لدينا عنها معلومات مضبوطة
فإن يميليك وفرفرىوس وديوجين لا يوثقون فى هذه النقطة ، وليسوا
بالضرورة الا صدق كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمان فيثاغورث
وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموضيقي تلميذ أرسطو وأبلانيوس
الصورى وهرميب وديوجين وانتيقون . . . الخ . كان فيثاغورث بن
ميتزارخس يدعى بأبيه الى اكبر عائلات سموس ، ويمكن ان يتصل نسبه
بأنسى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا
من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قوله
البعض الآخر وكان يستصحب ابنه معه فى سياحاته منذ حداثة طفاه
الصبي مع أبيه تلك البلاد التى عنى بدرستها بعد ذلك ، فلما صار فى سن
التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما التجابة ، وصله بأعلى الرجال
امتيازاً فى زمنه : طاليس - على ما يقال - وانكسيمندر وانكسيمين الملطى

وفرقليد السيروسي . وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب اذ صحب
أباه اليها . ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية
الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيناغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الأقل
لم يكن كرايه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة إقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن
مترجميه ، مثل يميليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وان كان ذلك
قليل الاحتمال لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سنيق الى بابل ، وهناك
اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة اقامته بها ، اذ كان محل
اعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايته . ولما رجع الى وطنه وهو
متقدم فى السن ، أى كانت سنة ستا وخمسين سنة على قول يميليك ،
فتتح فيه مدرسة . وظل السموسيون انفخرون بمواطنهم يعقدون
مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقى مسمى
باسم فيثاغورث ، وقد قال أرسطوكسين : ان فيثاغورث لما ترك سموس
فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ، وربما
كان قوله أوجه ، لانه أقرب عهدا الى هذه الاحداث من يميليك ، ومن
المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام انه تلميذ ارسطو الذى كان يشتغل
كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر فى كتابه « الجمهورية » :
أن فيثاغورث وصل الى ايطاليا فى الاولوية الثانية والستين أعنى فى سنة
٥٢٨ قبل الميلاد ، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على
العرش . ولما كان شيشيرون (على لسان سينيون) يقصد الى تصحيح
خطأ تاريخى شائع . فمن المراجع أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه
غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ماكان من اشتغال كثير
من الكتاب الاقدمين بها ، فالظاهر انه من المحقق أنه هاجر من سموس
المحرومة الحرية ليجد بلدا فى افريقيا الكبرى لا تشتمل فيه نفسه من
مشاهد الظلم ويستطيع ان يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى
حاجة اليه . وكذلك فعل اكسينوفان فى نحو هذا الزمن ، اذ كان يفر من
اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الاغريق . كان ذلك هو
الحظ المشترك لأمثال هؤلاء ، فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو
فيلسوفاً ينوء بحمل الضغط الذى يأتية أمثال أولئك الاسياد . وعلى ذلك
حمل فيثاغورث الى قروطن والى ستيباريس مذاهب عجبية فيها بلا شك
شئ من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل
من يحبون الحكمة والانسانية .

ولم تصل الينا مذاهب فيثاغورث الا عن طريق الوسطاء ، اذ لم

يجتمع لنا شيء من مؤلفاته الكثيرة التي وضعها (١) فيما يظهر على مايقول هيلير قليطس ، والتي مع كون فيلولولوس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطليها أفلاطون بأعلى ثمن .

أما بوليقراطس الذي شاطر في أسباب تعليم فيثاغورث فانه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتزال الحكيم سموس التي صارت أخط من أن تكون وطنا له ، ذلك بأن أورطيس الذي رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحته ، فعزم على ان يوقع بالطاغية الذي اتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعه ، فأرسل الى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهدد شخصيا بغضب قمبيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا آمينا ويرجو السيد أن يقبل ابداعها عنده ، ولكيلا يتظن في قوله طلب اليه أن يرسل ثقة له ليريه خزانته المملوءة بالذهب المضروب على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثاني يكون لبوليقراطس ينقله على مشروعاته الواسعة المدى الى حد فتح افریقا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبيرا ، فأرسل أمين اسراره مندريوس الى « سرديس ليحقق خبر كنوز أورطيس الذي خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول الى سيده وقرر له ماراى ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لاحضار الذهب ، وعبثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هدد ابنته بالأا يزوجها الا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفي صحبته عرافه المدعو هيلي الذي لم يصل علمه الى كشف هذه الاحبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع ان هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة فإنه رئى لحال بوليقراطس الذي كان من العبقرية والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميتة الشنعاء . وكان في معية بوليقراطس في هذه السفرة المشنومة ، غير ذلك العراف المغفل ، ديموكليد الطبيب الشهير من قروطون الذي وقع هو ايضا بهذه الاحبولة في الرق ، ثم دعى بعد ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من التواء مفصلي أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لامصلحة في ارتكابها (٢) .

(١) ديوجين اللايرثي . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين أنكسيمين وفيثاغورث ربما لا تكون منتحلة . ديوجين اللايرثي فيما كتبه عن حياة زينكم الفيلسوفين (٢) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦٤٠٣ طبعة ليتري .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقوع في قبضة الفرس ، لان الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة اخاه مندريوس الذى هو اقل كفاية من أن يلى الحكم ، وجاءت جنود أوطانيس المزيبان الجديد تحت قيادة سيلوسمون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه فى مصر حيث منقاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلالوس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة فى أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسمون فوجدها خلوا من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل اخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة السيتيين ، فصنع له مندروكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها اقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون وكانت واقعة على رأى هيرودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكي يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمة ، وأقام عمودين على جانبيه الشاطيء كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندروكليس فى معبد جونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والايوليون وفريق من أهل هلسبون وأمر الاسطول أن يدخل البحر الاسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الاستر . ويقوم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الاول الى عدة فروع . واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك النقطة ، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التى تشملها مملكة الفرس المترامية الاطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، فى طريقه بين تلك الأمم الجافلة التى كانت تولى الادبار أمامه وتستدرجه شيئا فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهمة التى لا تجاز ، كما وقع فى أيامنا هذه لفاتح آخر ليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نحسا فى الطالع . وقد عنى دارا فى انتصاراته الموهومة بأن يقيم فى طريقه أعلاما وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة : « اخضاع الجيتيين » . وكان يبني آثارا سهلة البناء ، فانه أمر بأن يلقي كل جندى من جيشه العرمرم وهو سائر حجرا فى مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجارة

أكمة عظيمة يخيل أنها هرم • ونقد وجد جيش دارا حتى في هذه
المجاهل بعض آثار النفوذ الاغريقى ، فانه أولئك الرحل الذين كانوا
يعبدون « ذالمكسيس » الذى كان ، كما يقال ، عبدا لفيثاغورث بن
منيزارخس فى سموس ، والذى بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى موطنه
بشنتات من المدنية الهلينية اذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم •
غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «المكسيس أوغيليزيس»
كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية (١)
ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم
الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الأزمان ، فالله تنسب الثقافة الاخلاقية
والاصلاح الموفق الذى وان لم يتم كان سببا فى التثذيب من حال أهل
تراقيا المتوحشين •

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجد
اليونان نفذوا أمره باقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور •
ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الاغريق فى
غزوته ، ولكن قويس رئيس المتألثة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك
فانه وصل الى اقناعه ببقاء القنطرة لانها طريقه الوحيد عند التقهقر ،
وعلى ذلك أمر دارا اليونان ان ينتظروه ستين يوما فان لم يعد فى هذه
المدة هدموا القنطرة وسافروا •

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال
متعبة عديمة الفائدة اضطر الى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه ،
وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم سنة ١٨١٢ الذى كان فى تلك
البلاد تقريبا يقاتل أولئك الاعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها •
ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه الى قنطرة الدانوب ،
وكان دارا سيلاقى ملاقى نابليون فى عبور نهير بين يزينا لولا أمانة
الاغريق الذين وكل اليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على
كسرها قائلين : ان ميعاد الستين يوما قد مضى ، وانهم قد أوفوا بعهدهم •
وقد نصح لهم ملتياد الاتينى الذى كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون
وطاغية عليهما والذى صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطرة
وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويسترد اليونان
حريتهم ، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية ، ويكون لها من الأثر
مالم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقرروا بناء
على رأى هستيا الملطى ان ينتظروا دارا ويخلصوه • وكان مع هستيا

من دعوس اليونان سطرطيسم الشيوزي وأوسيزن السموسي ولوداماس
الفوكي . وكان أرسطاغوراس الكومي وحده رئيسا للايوليين . ولم يكن
الوفاء بالمعهد هو الذي حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل
هي المصلحة الشخصية ، فان هسستيا لم يصادف عناء في اقناع زملائه
الذين مصلحةهم كمصلحته بأنهم اذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يثبت واحد
منهم سيدا على مدينته التي يحكمها ، بل أن الامة متى تخلصت من حكم الاجنبي
تسارع الى حكم الديموقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا
لهم على قبولهم المزايا التي خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى
الرؤساء هذا الرأي وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، أن يفر
منهم بعبور النهر .

ماذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا اتقنطرة وهلك بذلك
دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن
هذه الضربة مهما كانت كانت خطورتها لا تكون هي القاضية ، لان هزائم هرطون
وسلامين وبلاته لم تكن تكفي لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا
تستطيع أن تتنفس من ضيق الحناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ،
ولكن اغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقتها ترجعها الى الخضوع
فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ في قوة
الشباب وطور النمو الاول ، ولكن هذا لا ينفي الاجرام عن أنانية الرؤساء
اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من
الاسباب التي اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلفه مغبار على
الجنود في أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبار
الى صوص ، وكذلك هسستيا الذي ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده في
تراقيا ، حيث أقطعه دارا اقطاعات واسعة في مرسينة جزاء له على خدمته

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر في باطنها
فان هسستيا لما ترك منطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن
عمه ، فجاء الى هذا الاخين بعض المنفيين من نكسوس يستنجذونه ،
وأحسن من نفسه قلة الحول في أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ،
فرجع في الامر الى أرتافرن أخى دارا ومرز بأنه على سرديس وجميع تلك
الجهات التي هي أول مرزبانية في المملكة ، فطمع أرتافرن في الاستيلاء
على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن
بتسيير مائتي سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد
دبت عقاربته بين الاحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وان

تصد هجمات محاصريها وتردهم بالحربة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد العزم على الا يكون نصف مذنب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذي كان لا يزال في صوص عند الملك الكبير ، ولكن يجذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الاخرى الى العصيان ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها قنصيا .

ان ما أتاه أرسطاغوراس من الاقدام الكبير كان بعد استفسارة اصحابه . فأما هيئات الملطي المؤرخ فكان راية الا يوقدوا نار الحرب في الحال وليس لديهم المال الضروري ، فلما لم يستطع الاقتناع برأيه ألجأ في وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم في البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كزيروس التي جمعها في معبد البرنشييد ، ولكنهم أصموا آذانهم عن الاستماع لهذا الرأي السديد ، وأصروا على الثورة على أي حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب الى أسبرطة ليتخذها حليقة له .

ولقد عنى أرسطاغوراس ليزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له في أثناء المفاوضة مواقع البلاد التي كانت موضع النزاع الحديث وهي ليديا وفريجة وقبادوس وقارس الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحلك ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمنديروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفهم الا بسؤال واحد : « ماهي المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذي يقيم فيه الملك ؟ » فأجابه ببساطة : « مسير ثلاثة أشهر » وكان ينبغي لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب في نفس رجل أسبرطي ، لأن كليومين بعد أن ستمع هذا الجواب أمر نزيه أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذي حمله اليه ليحاول اغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيودوت قد عد بالضبط والعناية المائة والإحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق الجميل الذي أنشأه دارا من سرديس الى صوص على نهر كواسب أو كراتسو البعيد جداً من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزنجيا والبرزنج هو في المتوسط ٣٠ غلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية استكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس

الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه مايجرئه على معاناة امثال هذه المشروعات .

لما فشل ارسطاغوراس فى اسبرطة قصد آتينا لانها صينارت شيئا فشيئا أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان اليبزستراتيين ، واخذت ترسل السفراء الى ارتافرن مرزبان سرديس حتى لايصبغى الى مزاعم هينياس الذى التجأ اليه . ولما لم ينجح ارسطاغوراس فى استمالة كليومين ، ونجح فى استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفا - كما ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهكم ، اذ ذكرهم - بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم - فتقرر أن يرسلوا الى يونيا عشرين سفينة لنصرتها . وكان ذلك - كما زوّاه أيضا هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها لبست الجمهورية ظلل الفخر بتخليص الاغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاسية كانت طلائع لخرباتها العاجل . وقد حمل ارسطاغوراس البيون أيضا على الثورة ، وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف استريمون الى فريجة بأفسس دارا ، وهنكبوا منها الى شيوز وسافروا من شيوز الى لسبوس ومنها الى دورينكوس ومنها عادوا الى بلدتهم الاصلى .

لما وصلت السفن العشرية الى ايفيزوس وانضم اليها خمسين سفن أخرى من اريتريا لاقوا اخوة ارسطاغوراس يقودون جنود ملطية لان اخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البحرى الاسطول فى مياه ايفيزوس وتقدم هو على ساحل « قايسنتر » يجوس خلال طمولوس حتى وصل الى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقتها بغاية السهولة ، لان سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن ارتافرن الا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والميديون لما رأوا المدينة غنيمة النار ، ولكنهم استجهموا شجاعتهم وخرجوا الى المحاربين وثبتوا أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان فى سرديس فاقتفوا آثارهم الى ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا فى واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الاتيينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على رغم رجاء ارسطاغوراس والحاخا ، ولكنه هو لم ييأس ، بل اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة واذ ذاك كان اونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما آتاه الاتيينيون من المشاطرة فى احراق سرديس أقسم

أن ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الإساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بديا
لليميد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان
بخير . بل ان قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت ثائرة
ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت في قبضة ارتافرن وأوطانيس ، وكذلك
سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فانزوى
في مرسين بلد حميه هستيا . وكان هيكاط المظي يرى ان الاوفق لهم
الاتجاه الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ماطية في
الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل امام قلعة وهلك
جيشه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان ارتافرن تظن في
أمره ، وأطلع على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز
فانتبهذوه بفكرة انه صنعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبتهم بأن
أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله
أهلها بفتور ، لانهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون ان يعيد اليهم أيام
طغيانه ، ولما نفى من وطنه حصل من أهل لمبيوس على بعض السفن يطوف
بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون أن ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهوى على رأس يونيا . القام
تتقهقر امام هذا الخطر المزعج . انعقد البانيونيون وقررا الحرب ، ولم تكن هناك
فكرة في جرب برية فلم يؤلف

جيش ماوعولت ملطية على أن تتفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو
ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهي جزيرة صغيرة
قبالة ملطية ، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى ان الايوليين
ارسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة في الجناح
الايمن جهة الشرق ، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة ، ومع
الميونتين ثلاثة ، ومع أهل طية سبع عشرة ، ومع الشيجوزيين مائة
سفينة ، ومع الاريتريين ثمان ، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين ، وكان
مع أهل سموس في آخر الجناح الايسر الى جهة الغرب سبعون سفينة ،
فكان هذا الاسطول الكبير العدد في طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين
هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون ، ولكن تسلس الشقاق
بين اليونان ، وحقد بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا
كما ينبغي . وكان السموسيون واللبوسيون أول من فر من حومة
القتال . ويكاد الشيجوزيون ان يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعي
الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من الا يهزموا . وختمت
الحرب بهزيمة تامة . وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا ، وكانت

هزيمته بحيث يضمن الظفر لو أظاعوا أمره ، فلما انهزم لم يجد مناصا
من الهرب على شواطئ فينيقيا ، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة
على انحرطجيين والطرهينيين .

بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسن الدفاع عن
نفسها ، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك ، قذبت رجالها وسبيت
نساؤها وأطفالها ، وسبق بهم ارقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة ،
واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطاو بقية ما كان
يتبعها من الارض الى بيدازى قاريا . أما آتينا التى تخالفت عن ملطية
وتركتها ، فانها ألت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر . ولقد
صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر الماسائى فرينشوس فى رواية تمثيلية
أبكت جميع شهود تمثيلها ، فحكم على الشاعر بتخريمه ألف درهم ومنعت
الرواية منعاً باتاً .

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رأهم أهلها ومعهم أقيس
ابن سيلووزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا
ماسينزل بهم القدر فاستحبوا الرحيل من أوطانهم على آت يحتملوا ظلمه
مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قلقة حيث كان يدعوهم الى صقلية
أهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا
هذه المرة هم والمطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل
أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين استثنوا معارضة هذه المدينة
وحدها من الاحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تخاذلوا عن
اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديده بعد أن انضم اليه بعض
اليونان والايوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة فى ميزيا وسبق الى
ارتافرن فى سرديس فقتله صلبا وأسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا فى
صوص .

ولما قضى الاسطول الفارسى فصل الشتاء فى ملطية فتح جميع الجزر
شيوخ ولسبوس وتندوس . . . الخ فى حين أن الجيش البرى يستكمل
فتح جميع المدائن الاغريقية .

ولما كان لا تنصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أنذر الفرس بذلك
قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون
الرجال ويخسون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوص ،

ويحرقون المداين وما فيها من المعابد لينتقموا لحرق معبد سيبيد الهسه سرديس . وفي اثناء ذلك كان ارتافرون عامل اخيه دارا يدخل في اصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقي مقدارها ثابتا لم يتغير الى زمن هيرودوت اى بعد ستين سنة ، ثم اخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيسا يقيم حكومة شعبية متجها الى اوروبا ليعاقب آتينا واريتريا على مساعدتهما في عصيان مستعمرات اسيا الصغرى . فاما اريتريا فقد اسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصعد رجالها في الاغلال يساق بهم ارقاء الى صوص . واما آتينا التي هددها الخطر بعد اريتريا بأيام فانها اقتحمت الحرب وحدها هي والبلاتيون اقتحام الابطال ، وصدت الغازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون امسك عن القول لاني لا اقصه روايه عجائب الشجاعة والوطنية . وماذا انا قائل في الوطنية ! آتينا التي سيكون من امرها ان تنير العالم يذكائها قد خلصته وقتلتها بعزيمتها التي لا تنزع ، فاذا كان قدر للفرس ان ينتصروا ماكان عسى ان تصير اليه المدنية العربية ؟ وماذا يكون مصير اوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا ابديا بجهيلها . وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وارتميزيوم وسلامين وبلاته وميكال تجاه سوس من الممكنات . وكان اول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التي استنتها يونيا والتي اخذت بها آتينا في هذا الظرف امام خطر مزعج . لقد افتدتنا مدينه مينرفا (آتينا) من الاستعباد الاسيوى منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم اسيا بعلاقة اننا نمدنها نستطيع ان نرى اكثر من اغريق ملنياد وطمستوكل من أية هاوية انتشلونة . ونستطيع ان نحلف كما فعل ديمستين باسماء الابطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي ان تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وانه ليخاطب في اولبيا رجالا اخذوا بخط من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن ان يكون هو لها شاهد عيان . فلا أريد ان أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لاتهمى بالحوادث الى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس مذاهب مدرسة ايلي .

لما قهر اليونان اضطروا الى ان يخدموا سادتهم ويتبعوهم في حروبهم ضد اغريقا ، ففي سلامين كان من سموس اثنان من قواد

الاسطول الفارسي ، طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستينا
وقد ابلوا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون يحاربون
سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لاغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف
جزء عظيم من اسطول دارا واكراركسيس ، فانهم لم يكونوا الليتربصوا
الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء اسطول الفرس
يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد ان وصلت الملك المغلوب ومعيته .
فلما جاءت السنة التالية حضر الاسطول الاغريقي تحت قيادة ليوتيكيدس
ملك اسبرطة يبحث عن اسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى اظهرت
له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرة والعصيان على
الفرس ، وعلى الاخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا الى
خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فارسلت
لهذا الغرض رسلا الى ليوتيكيدس سواء في اسبرطة او ديلوس ،
ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخابرات هي التي قوت
رئيس الاغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ولكن المتوحشين
منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليحربوا على اقتحام
حرب بحرية . وقد اذنوا للاسطول الفينيقي ان ينسحب ، ولم يكن يبقى
معهم الا يونان واغريق من الشاطئ ، فغيروا مركزهم من سموس الى ميكال
حيث جروا سفنهم الى البر واحاطوها بسور يصح ان يكون خط دفاع والى
جانبها جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تيجران الذي عهد
اليه اكراركسيس في المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون انهم من
موضعهم هذا في حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من اهل
سموس الذين كانوا يتهمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيكيدس والذين كان
منهم ان افتدوا بملهم اسرى آتينا وردوهم الى وطنهم ، وفوق ذلك فقد
كلف الفرس الملقطين بحماية الطرق المؤدية الى قمم ميكال ، وعلى ذلك لم
يكن لديهم ادنى ريب في ان يصعدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ،
ولكنهم مع ذلك قد اهلكهم الاتينيون والقورثيون بفضل شجاعتهم
وبانتفاض اهل سموس واهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قذره
تيجران وحرق اسطولهم ورجع الاغريق ظافرين من هذه الموقعة بشدين
بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الاجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن
هل تستطيع ان تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حمق المتوحشين متى
تركت الى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه ان لها طاقة على المقاومة ،
فاجتمع القواد في سموس وتداولوا فيما اذا كان الواجب على اليونان ان

يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى ويلتجئوا الى قسم من اغريقا يعين لهم ، فعارض الاتيينيون جد المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميدية . وأما البلوبونزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الامر عند عقد معاهدة محالفة مع السموسيين والشيزيين واللبوسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان اكراركسيس باقيا منذ رجوعه المخجل ثم تركها توا الى صوص ليستمر عاره . ويكظم غيظه . ولما أصبح الاسطول الاغريقي سيديا على بحر ايجه كانه لا يهاب فيه عدوا رجع الى جهة بينوبونيزساذرا على امتداد كل الشواطئ حاملا من أيبدوس بعض بقايا قنطرة اكراركسيس المشهورة لجمعها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شر غارات الفرس أخذت تعمر ما تخرب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدرة الامكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد أسبرطة التي كان ملكها ليوتيخيدس وبوزانياس موضعا للتظنن فيمما يتعلق بعلاقتهم مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين أن أسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو إرادتها . من أجل ذلك أخذ اليونان بحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء المتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث بلاتة وميكال اى في نشوة الاستقلال اشتريدبحبوحة الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوثنته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والأحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بيلوبونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه ارسطو ، يشغل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاتنتية ظالمة (٤٦٧-٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الاتيين في أوامرهم . غير أن الاسطول الاتيني وهو دواف من مائتي شراع كان يبحر دائما على شواطئ آسيا عزيز الجانب مهيبا من الاسطول الفينيقي الفارسي الذي هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية

ليونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتهان الذي كانت تجنيه عليها حليفاتها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التي تنالها . والظاهر أن اعترافها بحميلها كان إلى انفاية القصوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التي وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) وهذه المعاهدة التي يرجع الفضل في نصوصها إلى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التي يقطنها الاغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجندوها إلى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفائهم الا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الاغريق سفراء إلى صموص حيث صدق على المعاهدة وكن قلياس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد) (١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحري تكاد تتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الاحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر ايجه وعلى الهلسبون وبحار الاغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهي لذلك كانت تتطلع إلى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الاغريقي . وهذا الطمع هو الذي أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهي أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة بقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يألف وما تضمنه الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ، فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض برين الصغيرة جر إلى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قد دعت الفريقين إلى التقاضي أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس للملطية التي هي وطن أسباسيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لازغام سموس على الطاعة ، فقبلت حكومتهم من الأولين جارشية إلى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من اعيان الاهالي وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة لمنوس . وبقيّة حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيلا فقبول بمثله لان منفي

(١) الج ج جروت الحاشا شديدا في بيان الاصمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الاغريق

(ج ٥ ص ٤٥١ وما بعده) .

لسموس ذهبوا الى بيسوتنيس مرزبان سرديس يستنجدونه فأمدهم ببعض مقاتلين فقصدوا سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وانقضوا على حرس الجزيرة الاتيني . بيانا واسلموهم الى بيسوتنيس . وفي الوقت عينه كرة رابحة مثل الاولى على جزيرة لنوس ردت اليهم رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التي تكاد تكون مثلهم في التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مقينا لهم . كل هذا انما هو خطر جدى يتهدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس لذهب ذلك برئاستها وبسلطانها الذي كانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما التي عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التكنيل بسموس تكنيلا يمنع سواها من أن يهجم بتقليدها . ستون سفينة أرسلت سراعا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة اما لمراقبة الاسطول الفينيقي على شطوط آسيا ، لان بيسوتنيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين ، واما لياتي بالمدد من جزيرتي شيوز ولسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن من الجائز عليهما أن تلقيا ظهر المجن . وبقي الأربع والاربعون سفينة امام سموس تحت قيادة بيريكليس احد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذي نشر « انثيجون » السنة الماضية . ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدين اذ التقوا مع بيريكليس بالقرب من جزيرة تراجيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلتهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذي جاءه وقدره اربعون سفينة جاءت من آتينا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، اذ نزل الاتينيون الى الارض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا في اقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات في حين انها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفي هذا المركز الحرج تشنى للسموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت أمرة استيزاغوراس يستعجل الاسطول الفينيقي الذي كانوا أحوج ما يكونون اليه . وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هذا الاسطول اسرع بستين سفينة مما معه امام سموس متجهسا الى قونوس في قاربا حيث كانت هي موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس خرج السموسيون مستقبلين ، ولم يكن خط دفاع الاتينيين قد تم بعد فانهمزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة في البر والبحر ، ولكن نجاح السموسيين لم يكن ليلبث مدة فان بيريكليس لما رجع بعد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن في تلك المدة كانت المدينة قد

استطاعت أن تلحق الزاد وفيرا واستعدت لمقاومة حصار جديد • عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحري بستين سفينة جاءت من آتينيا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدة مجموع السفن مائتي شراع تحيط بسيموس •

في هذه الحادثة نال ميليسوس القذح المعلى في الوطنية وتشتد الطالع ، اذ كان على رأس الاستطول والجيش فانتهر غيبة بيريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذى تكلمنا عنه آنفا • ويظهر على قول بلوتارخس في ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسوس هزم بيريكليس نفسه في واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس السندي شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية مجالا للشك ، ومع ذلك فان النجاح الاول لميليسوس لم يكن من شأنه ان يخلص وطنه ، فان بيريكليس لما جاءه نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقاءه ، ولكنه انهزم في حرب برية ، ويمكن أن يكون هزم أيضا في واقعة بحرية • وقد استمر الحصار على أضيق مما كان • وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر ، لان بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالاناقة حتى مع انفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الاتينية • فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس اسوارهم وأخذ سفنهم واضطروهم الى دفع نفقات الحرب التي قدرت كما قيل بألف طالنتن ، أى خمسة ملايين من الغرنكات في زمننا ، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ ، وتعهدت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائن قديموها • ويقال ان بيريكليس أيدى في هذا الظرف ما تقشعر له الابدان من الفظاعة في معاملة بعض الاسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام ، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخير من سموس وهو دوريس في عهد بطليموس فيلادلفوس • ولا شك في أن روايته تشفى عن الحقد الوطنى ، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التي لم يجد لها أصلا في طوكوديدس ولا في أرسطو ولا في ايفوريس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم في ترجمة بيريكليس •

يظهر ان آتينيا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس ، لان مثلها من شأنه أن يحتذى • فإذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الاتينية رأسا على عقب • من أجل ذلك قوبل هذا الظاهر فى آتينيا عند عودته اليها بأجل مظاهر التحمس ، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجربة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأيينهم الى بيريكليس • ليس لدينا نص هذا التأين ، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل •

ذلك التأنيب الذي أقيم لشهداء حرب البيلوبونيز ، فإن بين الحربين علاقة مشابهة . لأن كليهما فتنة داخلية تمرق وحدة الأغريق . ولقد قوبل مدح شهداء حرب سموس بغاية الحفاوة ، فإن بيريكليس لما نزل عن منصبه الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضله يعانقنه ويتوجنه بالأزهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمضارع المنتصر في حفلة الألعاب العمومية ، إلا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الإعجاب المجمع عليه ، تلك هي ايليبنس أخت سيمون السدي كان زما طويلا منافس بيريكليس وقبيلت عليه تقول له : « حق انها أعمال مجسد حقيقة بهذه الأكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أخى سيمون ، ولكن في تخريب مدينة مخالفة تدل بأصلها إلينا وجعل عاليها سافلها » .

لم يكن هذا الانتقاد المصادق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بخمرة الظفر . ولم يكن حظ سموس الا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الاغريقية الاخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها بيريكليس . والظاهر انه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا ياتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فاذا صدقنا فيه انشاعر يون الشيزوى لحسينا بيريكليس يفخر بأنه فاق إغاممنون الشهير الذي قضى عشر سنين في فتح مدينة أجنبية ، مع انه لم يقض الا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه إنما نقلها صديق لسيمون خصمه فهي بذلك بعيدة الاحتمال ، لأن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا تعد الا غشيا ، انها فخر شخصى سوء الذوق لمعاجزة في غير موضعها موجهة للحلفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا ، فإنه كاف في الدلالة على ما علقته آتينا من الاهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء . وعلى رأى طوكوديدس السدي هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لآخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ما هي مجل للاستيف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتينا شيء تخشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الأفراد .

لا أريد أن أباوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى ابعد من ذلك بل يظهر لي انها على ايجازها كافية لان تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الاعيان الذين تشغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . واني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الازمان أو بعض أجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في أسيا الصغرى قبل الميلاد بسنة
أو سبعة قرون ، انهما المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا
بيلوبونيز ، وهي التي أشعلت هذا المصباح في إقطاع نصف متوحشة
ونقلته الى آتينا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان انكساغوراس
الكلازوميني عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب افلاطون ، ويمكن ان
يقال انه أب لارسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل افلاطون وقبل
سقراط كانت بذور الفاسفة مبدورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم
ان تنقل الى أطيافا حيث تؤتي ثمراتها . نعم ان الفلسفة كانت مسبقة
هناك كما هو شأنها في كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل
ان يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم يجمع
صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع
الفلسفة وناصرها ، لان الفلسفة هي التي نفخت روح الحياة في كل هذه
الفروع واكتسبت بها قوى جديدة .

في وسط المنازعات المدنية والحروب الاجنبية والتجارة والصناعة
والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والاطار المتنوعة ، في وسط
حروب الابطال التي كان يذكى نازها فئة قليلة من الرجال الاذكياء الاحرار
على دولة فخمة ، في وسط كل ذلك يجب ان يوضع مهد الفلسفة الخاضع
المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث واكسينوفان الى شواطئ ايطاليا والى
اغريقيا الكبرى الا سخطا على الطغيان او الاضطهاد . وما لقحت ايطاليا
الا بهذين الاستاذين اللذين جاءها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها
لم تثمر لان النبات الغريب لم يجد فيها الاغذية الضرورية لنضجه . فكان
ان ترجع الفلسفة الى منزلها الاول الذي منه درج أوائل المهاجرين لتكسب
فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفي قسطها من العظمة
وحقها من الاستقلال الذي كللها به استشهاد أهليها . غير ان هذه
الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى انها ابتدعت في اغريقيا أفلا يكون من
المحتمل ان تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران اغريقيا ؟
فان طاليس قدهاش مع الليندين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث
الذي يمكن ان يكون هو أيضا من أصل فينيقي زار حقيقة سوريا ومصر
وكلدة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو عبارة أخرى بماذا تدين
الفلسفة الاغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرقي ؟ هل من عليه
يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليوناني بل العقل الغربي اقترض
شيئا ما من العقل الشرقي العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا
من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير اني بادىء ذي بدء

أبغى تكملة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها
فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلاسفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسية في حياتهم .
نعرف بعض مؤلفاتهم أن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو
وحد الذي وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن
يصل إلينا الآخرون إذا لم تكن المصادفة أعصمت تأليفهم التي هي
مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الإقدمون ومن ذا الذي يجعل ذلك
موضوعا للشك ! هذه النظرية التي أقر بها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق
بطاليس وفيثاغورث وأكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على
من قبلهم وعلى من بعدهم إلى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي
مؤلفيها تلك المؤلفات التي هي الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة
ومخرومة . وعلى أي مادة كتبت بادي الأمر وماذا كانت وسائل الكتابة
في عهد أكسينوفان بل في عهد ليكوريغوس أو هوميروس ولأجل أن يكون بحثنا في
حدود وضعية ضيقة نتساءل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الأغريقية
بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة
الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة
اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسألة بطريقة قاطعة واضحة
تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا الغز نرى من الحسن
تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي
بسنبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من
الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء
أخرى ولكنها تكاد تساوي المواد التي نستعملها اليوم إلا أعجوبة المطبعة .
لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالأوراق التي عندنا ، ولكنهم
كان لديهم ما يساويه وما يؤدي لهم المطلوب من الورق .

أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس وأكسينوفان وأفلاطون
وأرسطو وأخذ الأشياء كما رواها بل كما رواها وكما استعملوها

أضمر هربغوس وهو في معية أصطياغ ملك الميديين أن ينتقم من
سيده القاسي انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذي
على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملكة
فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هربغوس أن يتصل مباشرة بالأمير الشاب
الذي يحمل هو أيضا ما يدعو للانتقام ، أرسل خادما أمينا يحمل إليه
بعض الصيد ، وجعل في بطن أرنب كتابا أخفاه فيه يحرض به قيروش

على الثورة ، ويؤكد له مساعده اياه . ماذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن
الارنب بيده ، كما اوصى المهدي خادمه به ، وقرا الكتاب بعزل ، وضع
كتابا مزورا يفيد ان اصطياف قد عينه رئيسا على القرس التابعين وقتئذ
للميديين ؛ وقرىء ذلك الكتاب المزور على أعضاء عائلة الاشيمينيين
فصدوه ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم
اصطياف-وخلعه (١) . ولم يكن هر بغوس وقيروش مع ذلك الا متوحشين ،
ولكن ها نحن اولاء يصدد اناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر .
وهذا بوليقراطس طاغية سموس . وهسو على سرير ملكه متمتما

بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون
منه حذقه وسعاده . وكان له بامازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق
بل صلة صداقة فخاف اماريس على صاحبه ذلك الموفق المويب مما اجتمع
له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم انه لا ثبات للحظوظ
الانسانية فنصح له أن يحذر الغير في قلب القدر ، كتب له بذلك خطاب
عطف ونبوة اوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به سخط الحظ
الخادع الخائن ان استطاع . فاجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه
ما يخشاه صاحبه بخطاب ارسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي
اتخذها ليصيب نفسه بمخض اختياره بمصيبة موجهة . والمصادفة الحارقة
المعادة هي التي صيرت قربانه عبثا . فكان اماريس وبوليقراطس يتبادلان
الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار
في وقتنا الحاضر بين ازمير والاسكندرية (٢) . لست ادعى أن الخطاب
الذي نسبه هيرودوت الى اماريس صورة رسمية من خطابه الاصلى لا يتطرق
اليها الشك ولكنه لا محل لادنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل
الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما
ذكرنا آنفا ، وقد كانت في العالم الاغريقي احدى الباكورات التي استمتع
بها بوليقراطس وأنفق في جمعها مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة
الى بيزسراطس المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون انه أنشأ مكتبة
في آتينا وجعلها مكتبة عمومية ليلطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ،
ولكن ناقل هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ، لان أحدهما أطيني والآخر
أولوجل ، غير اني لا أجد أسبابا تحمل على الشك في روايتهم . فلما
بوليقراطس فان مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما
سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون

(١) هيرودوت ك ٦ ب ١٢٣ وما بعده

(٢) هيرودوت ك ٢ ب ٤٠ وما بعده

سكان الشواطىء الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراط فمن المؤكد انه اذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الاقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لفرض سياسى محض . وروى بلوتارخس فى كتابه «حياة طيسى» أن بيزيسطراط سلب من «هيزيود» بيت شعر كان يمكن أن يجرح صلف الاتيين ، وانه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الحذف وهذه الاضافة كيف يمكن اثباتهما الا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل فى العهد الذى نحن بصددده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقراطس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكه الوحشى سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه عاب عليه أحوالته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا سناخطا على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الإثم تلكا فى حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الأسباب التى تحمله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقبض جيشا عرمرما . ولان يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التيسر خضوصا فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاؤا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجملته ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصي اما بقتله واما بالقبض عليه وإحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقتنع بين أصحابه فصادفت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ماذا فعل باجى ؟ كتب كثيرا من الاوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الاوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لان كل مرزبان كان لديه ممثل للملك ، ففرض السكرتير الخاتم عن تلك الاوامر وقراها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الاوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام . فسر باجى بهذه المحنة الاولى ورأى أن فى استطاعته الاعتماد على طاعتهم ، فأفضى اليهم سرا ببعض الاوامر التى يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانقطاع

عن خدمته ، فأطاعه الضباط أيضا والقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا
المرزبان ، فلما تحقق بأجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم
أمره إياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليه فخر صريعا تحت طعنات سيوفهم ،
وبذلك أخذ منه القود لبوليقراطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام (١) .

على ذلك كان الفرس أنفسهم في زمن دارا يستعملون الكتب
بالسهولة التي يستعملها بها الإغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر
مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع اجزاء مملكته
الفسيجة الإرجاء . وكانت هذه الأوامر مكتوبة بالأوضاع وباللغات التي
ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية .

لما اتهم الإغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم
فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التي طالما خدمها في بلاتة ، فراسل
أكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد
الإغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب اليه بخط يده
كتابا أرسله اليه مع أرتطاز مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن أهل
إيفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى
أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجزؤ بوزانياس على
مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته
الجنايئة ، ولكن الرجل الذي سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لانه
لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ،
ففض غلاف الكتب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ،
فتحها ليري ما اذا كان لخوفه محصل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ،
فحمل الكتب الى أهل إيفورس وبلغهم أمر الملك الذي كان يسلم الإغريق
للمتوحشين .

ان تاريخ طيميستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وان كان
ثقل منه جنائية ، لان الاتيينيين كانوا حرضوه على الخيانة بأن عاقبوه
بالنفى ظلما فكاتب أرتطازكسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقر
ومنها الى الملك أدهينت ملك الملوص ، ومن عنده الى إسكندر ملك مقدونيا
جاء آخر الأمر الى إيفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجا
أباه عليه الإغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محصل
للتظن في صحته (٢) .

(١) هيرودت ك ٣ ب ١٢٦ وما بعده .

(٢) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

من غير النافع أن نعدد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتمثيل بعيدا ، فقد وضع أن الناس في أفريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الأعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التي كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يهتمون الأوراق على نحو ما نختار أوراقنا بالطابع الرسمية ، وبالاختام التي يمكن تقليدها من غير أن تكسر الخ

وماذا كانت تلك المواد ؟ -

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فإن ذلك المؤرخ العظيم للآزمان الأولى للعالم الإغريقي قال في عرض حديثه عن كيفية نقل «قدموس» الحروف الهجائية من فينيقيا إلى القارة عند اليونان ما يأتي :

« يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لانهم » لما لم يكن عندهم ورق في تلك الآزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى « والغنم ، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من » « هذا النوع » (١) .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجبا ، فإنه ذكر أنه رأى بنفسه عند زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الإسميني ثلاثة نصائب منقوشا عليها بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش باللغة في القدم إلى لايوس أبي أوديب أي بعد قدموس بأربعة أجيال .

إن الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة «بيلوس» ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فإن هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى مصر . ولم يترك تيوفراست محللا لأقل شك في هذا الصدد ، فإنه في كتابه «تاريخ النباتات» (٢) قد وصف النباتات المائية، وتبسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتعددة التي يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : أن من الخشب تصنع المراكب ، قال : « ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس أحيانا والنعال والحبال ، أشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب «بيليا» المعروفة عند الأجانب حتى المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس الذي ذكره

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراست وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

تيوفراسط هو ذلك الجزء من ساق البردى الذى لرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة بالنسج والى .

وخلاف مكتبتى بيزيسطراط وبوليقراطس ، فالثابت من الادلة التفصيلية التى أتى بها أفلاطون أن الكتب فى زمنه على المعنى الذى نفهمه نحن من هذا اللفظ كانت منتشرة جدا الانتشار باتينا . وقد روى سقراط نفسه فى كتاب « فيدون » انه سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الاشياء ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد فى انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجد فى طلب مؤلفاته وهو يظن انه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم فى القراءة خاب من رجائه فالقى بها الى جانب ليعود الى تفسكره الذاتى ، اذا كان لسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذى يطلبونه .

وروى أنتيفون فى أول كتابه «برمينيد» نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الايلى قال : « لما أتى برمينيد وكان قد تقسم فى السن الى آتينا مع تلميذه أقام فى حى السيراميك خارج الاسوار فانتقل اليه سقراط فى رفقة ليسمع قراءة كتب زنون » وكانت تلك هى أول مرة حمل فيها زنون وبرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذى يقرأ كتابه لان برمينيد كان غائبا فى تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة اذ عاد فيتودور ومعه برمينيد وستمع آخر هو ارسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور الا قليلا مما كان باقيا ، ولسكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك فى جلسة أخرى .

لما أصغى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل باعادة القضية الاولى من الكتاب الاول فأجاب طلبه مع الارثياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيها سقراط والتى أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل فى مناقشة المعانى : « اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لان غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابها ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا » وابتدأ الجدل وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريد ؟ فاكده زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى برمينيد وقال له : « اترى واضحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته » فالراقص

أنكما تقولان جميعا معنى واحدا ، وإن اختلفت العبارة ، فإن أحكما
يثبت أن الكل هو واحد ، ويثبت الآخر أن التعدد متنوع ، فاعترف
زنون بأن الحق في جانب سقراط ، وأنه ما كتب كتابه إلا انتصارا لمذهب
برمينيد ضد أولئك الذين يسفون جعله سخريا ، وأن كتابه جواب على
نصراء التعدد ، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج
أسخف من المذهب المضاد . وزاد على ذلك زنون بقوله : « انى ألفت هذا
الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة ، فسرق منى قبل أن أسائل نفسى عما إذا
كان ينبغي نشره أو لا ينبغي . على هذا كنت يا سقراط تتخذ نفسك إذ
اعتقدت أن هذا الكتاب إنما أملت على رغبة رجل ناضج بدلا من أن تنسبه
الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من خب المغالبة » .

واستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف
لديهم من المواربة والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه ، فحسبنا هذه
التفاصيل دلالة على أن زنون وبرمينيد لما جاء من ايليا الى غرب اغريقيا
الكبرى كان في بلدهما كتب كما فى آتينا ، وإن هؤلاء المتناظرين كانوا
يتخذون الكتب لما تتخذونه نحن من الاغراض يقرؤونها ويعيدونها ويقفون
بعض جملها للتحقق منها . ونحن فى شأننا لا نقلب الا على مثالهم
صفحات ما لدينا من الكتب التى فى حجم الثمن أو الاثنى عشرى التى
ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم .

وفى مقدمة فدر الرشيقه قابل سقراط ذلك الشاب السذى خرج
يتنزه فى الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا . فميم قضى فدر صبحه اذا ؟
فى استماع قطعة كان يقرأها له ليزياس بن سيفال ، وما زال مأخوذا
بما قرأ عليه . وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيره الى
مونيشيا ، فطلب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام
العجيب ، فامتنع فدر بفكرة انه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات
الجميلة ، ولكن سقراط الذى كان عليما بشغف صاحبه رقيق الحاشية
أكد له انه لا بد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب ، لانه لا بد
أن يكون استعاد من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل
لا بد أن يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وإن ذلك
كان شغله الشاغل الذى ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر
يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف فى المسألة فاطهره فدر على
الرسالة المخطوطة التى كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ
الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطئ اللصوص حيث كان يغمز
فيه سقراط قدميه ليبتعد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا
الى مجلس تحت شجرة سناج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر

نورها الهواء على مسمع من خريز عين صنافية بين الثماثيل والاصنام القائمة للحدود ولنهر اخلاوس ، فجلس قدر وسقراط في الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس في النسخة التي معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد اعجاب صاحبه الشاب وقال له : ان هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء في الازمان القديمة بما لا يقل اجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك أي كاتب من الكتاب ، فلم يصدق قدر من ذلك شيئا وسأله أن يأتي بأحسن مما أتى به ليزياس ، وان يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لقوره في مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس في نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والاشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة العافية في موضوع مطروق ، وانتزه هذه الفرصة ليعطي الشاب درسا في الخطابة والذوق . ان ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه في الحقيقة ، وان رجال السياسة البصراء يربأون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا بيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية اذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة في نقراطس ، احدى مدائن الدنيا ، ربما كان سولون قد رعاها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الاله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذي كان يحكم في طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التي يبعد عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية في كتبهم . قال سقراط مغضبا : « أي طاموس : « يكون الانسان » من البساطة بئس إذا تصور انه يمكن ابداع أي فن من الفنون في الكتب . وأنه » « يمكن تعلمه منها كما لو كان قد خرج يوما من الكتب شيء بين متين ، الا ما يكون » من تنشيط الذاكرة عند الذي كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وان محصلات » الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سئل لوحات الرسم تجنبك بسكوت جليليل وسئل « الكتب تحبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها علمة ، « ولكن مقالا متى كتب دار فكل ناحية ؛ فيقيم في أروم من يفهمه كما يقيم » « في أروم الذين لم يكتب لاجلهم ، وأنه لا يهتف لم يتكلم وأمام من يلزم الصمت » فاذا احتقره أو غابه أحد بغير حق التجأ

الى أبيه ليساعده ، لانه لا يستطيع أن « يقاوم ولا أن يساعد نفسه » .
 فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة في طي الكتابة التي يحوزها
 ويرفع فوقها قدر المقال الذي ينقشه العلم في نفس اندي يتعلم ، ذلك
 المقال : « الى الملى بالحياة هو اندي يبقى في الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب
 منه الا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح لغير أن ينشر العناية بمناولته
 ان الشعاع والنائر صححانه ويحرران أنف مرة ما قد كتبنا ، يزبدان
 عليه او ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شيء أن يتما بما في نفسيهما
 ويرعاياه حق رعايته ، تلك هي الوسيلة لاستحقاق ذلك اللفظ الجميل
 لقب الفيلسوف . ذلك هو الرأي الذي يمكن أن يعطيه فتراني ليزياس ،
 وذلك هو الرأي الذي يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبان
 يتذوقونه ، وعلى الاخص ايزقراط الجميل الذي عليه مخايل الشيوخ . »

أنا لا اناقش رأى الحكيم الاتيني مهما ظهر لي منه عدم اتلافه مع
 ذوقه اسليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته وانه ينتج منه ان سقراط
 وفرد جميع اصحابهما يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ، يكتبون
 مقالاتهم ومواعظهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهدونها
 كما نفعل نحن وينتج من هذا فوق ما تقدم انه منذ زمن افلاطون كان
 ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك في أن
 افلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك
 الاسطورة التي جاء بها جده الامجد من البلد الاجنبي .

وعلى هذه الوقائع القاطعة نزيد وقائع من العصر ذاته . نا وصل
 اكسينوفون رئيس قهقر عشرة الآلاف من بيزنطة الى سلميديس آخر
 نقطة وصل اليها في الشمال ، حكى أنه عند دخوله في البحر الاسود وجد
 سفنا كثيرة جانحة في الرمل تحت جرف الشاطئ وان اهل تراقيا سكان
 تلك المنطقة يسارعون الى نهب اولئك الفرقى التعساء ويتقاتلون على أيهم
 يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا
 الشاطئ الحبث ينقلها الملاحون في صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب
 لا شك في أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها
 ليبيعوها (١) . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية
 في تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر اولئك الملاحون
 في الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الاسميوية ومن
 آتينا والمدائن الاخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعضهم عن

(١) اكسينوفون . اباز . ٧ ب ٥ ف ٤ من ٣١٣ طبعة ليرمان ديدو .

وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج ما يكونون اليه
في غربتهم *

لا أقول بأنه في زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد في آتينا
أصلا كتبية يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس
عندنا على ذلك شهادات تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من
هذا النوع تنسب الى زنون الستيومي ، فان زنون قبل أن يترك مدينة
ستيوم وهى مستعمرة فينيقية في قبرص اشترى حمولة من الارجوان
ليربح فيها في آتينا وذهب يستفتى الهائف عن أحسن طريقة للعيشة
فنصح له انهاء ان يصير في لون الموتى ، وفسر زنون هذه النصيحة بأنه
يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الاقدمين حتى يشحب لونه . فلما
وصل الى آتينا بعد غرق محزون دخل عند كتيى وأخذ يقرأ بلذة شديدة
الكتاب الثانى من مذكرات اكسيذوفون على سقراط ، فسأل الكتيى وهو
مسخور بلذة ما قرأ : أين يمكنه ان يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل
هذه الملح ؟ فاشار له الكتيى بأصبعه الى «قراطيس» الذى كان مارا وقتها
في الشارع فجعل زنون الى الاستاذ يعجب خطاه حتى وصل اليه وتلميذ
عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الجفاء الغليظ اعتزل قراطيس اذ أصبح
في قدرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات استاذه وأخصها كتابه على
فيثاغورث (١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما وعلى الاحتمال الغالب ان
ارسطو وقتها كان لا يزال حيا فان ذلك كان في آخر ملك اسكندر .

اقص حادثة أخيرة استعيرها من نظريات ارسطو في الفصل السادس عشر
الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع
الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مصنفيا او
بانحراف ؟ اترك التفسير الى ناحية لانه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين ان
ارسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الاقل من جهة كونها مقصودة
على صورة منتظمة قليلا او كثيرا . بعد ذلك في الفصل الثامن عشر يبحث
ارسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك
يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات
المكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن . كان في آتينا بعضهم يقرأ في سريره
وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين ياثرون هذه البلعة
عندنا *

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر

(١) ديوجين اللايرثى ك ٧ حياة زنون الستيومي

فى الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجىء من مصر منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين اغريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وان أقدم الهجرات التى اتبع فيها سبيل اناخوس وسكروفس وكثير غيرهم انما عادت من شواطئ النيل جالبة معها الى الهلين فى عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة الى اللانهاية ؛ وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفى تلك القرون التى نحن بصدددها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى فى سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الاغريقية التى على الشاطئ ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه الغلافات أكثر توثقا واستمرارا فان اسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر ومن البديهي . ان الأمم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الاشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا فى انتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة الى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهى التى اكتشفت الكتابة وهى التى تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات انصادرة عن المهرة والذكاء أن تتصور ايضا انشاء المكاتب ، فان الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر ان تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فان اوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر انه اول من اقتنى مكتبة أو من اوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله الينا ديودور الصقلى الذى زار مصر فى الأوشية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعمائة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا . بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التى كان عددها سبعة واربعين على رواية الكهنة والتى لم تكن الا سبعة عشر حين زارها ديودور (١) . وصف بغاية التفصيل الاثر الشهير لأوزيمندياس ، ومن بين العماثر التى تنسب الى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : « دواء النفس » . ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة فى زمنه . فأما أنها وجدت فذلك مالا يكاد الشك يتطرق اليه . ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة فى القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر

(١) نزلت اليها بنسخ فى السنة ١٨٥٤ عند سياحتى فى مصر وجدت أن اعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير . (ر . رسائل على مصر طيبة وفيل ص ٢٧٤ وما بعدها)
(يارتلى سانتيلير)

لأربعمائة وسبعين فرعوناً وخمسة مملكات ، وألم يشأ ديودور أن يكرر بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطلع عليها ، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله . فإذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كنه لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قله أو كثرة « ١ » .

وعلى رأى علمائنا المشتغلين بالآثار شأن أوزيمندوس الذي كان يسميه الاعريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة . وهذه العائلة يعترف عهدها تقريباً بعهد انحوس اى بتاريخ نحو افي سنة قبل الميلاد . فان الهلسوس او عرب الرعاة تدون العائلة السابعة عشرة .

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة ، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بالغ من القدم حد الغاية ، إذا لم تكن حاصلين إلا في متاحفنا على الأدب ، التي لا تقبل التهم ، المثبتة لهذه الحوادث . ففي باريس وفي تورينو وفي ليون وفي برلين ٠٠٠ الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها إلى ثلاثه عشر وأربعة عشر قرناً قبل الميلاد المسيحي بل إلى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستقى شمبرليون ودى روجى ومرييت وأميدى بيرون وليمانس ولبيسيوس ٠٠٠ الخ . أن بردية تورينو الشهيرة التي تكلم عنها شمبرليون في خطابه إلى دى بلاكاس (ص ٤٢) هى على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لبيسيوس « تودتنبوخ ص ١٧ » وفي كتاب الملوك نقل لبيسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها إلى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وذلك ما يبلن بنا إلى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) بردية وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى العائلات الأولى للإمبراطورية الجديدة ، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٣٥ ر. ارتفاعاً وهى من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا

(١) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر . ر . المجموعة التاريخية ك ١ ب ٤٤ ف ١ ب ٤٦ ف ٧ . وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع الكتاب عينه ب ٤٩ ف ٣ . وإذا ما حدث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سنويات البلد منذ ثمانية آلاف عام (وطيماس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩) .

النوع الى مايشاء ، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة
بالايضاح الى ابعد من ذلك فقد كمل .

اكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح
لكتابتها. فنماجين تحوى المادة الملونة وقصب الاقلام ، وذلك ما يعدل عندنا
المنحابر والريش ، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه ،
والمقالم التي توضع فيها الاقلام . وفي دار الآثار بلندن توجد الواح
الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود او الاحمر
وقد جف في باطنها ودوى من البرنز . . . النخ . وكل هذه الآثار انما
هى سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليانيس (ص ١٠٨ ف
٢٤٥) وفي دار الآثار ببولاق توجد ألواح الكتاب ، ومعها كل لوازمها
وهى كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون
عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً . وفي باريس في متحفنا المصرى أيضا جميع
الأدوات اللازمة للكتاب (القاعة المنسية - دولا ب P درج X)
وكذلك في قاعة الموتى (درج LM ترى المخطوطات اما على ورق البردى
أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوسة
بالاطر المغطاة بانزجاج والتي تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفى لندن
مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر مترا . والواقع انه كان يمكن صنع
ورق البردى الى طول غير متناه لان العرض وحده هو المحدود ولا يكاد
يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا ان نزيد في ايضاحها عند
الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية انتى هى كذلك ، كما
يظهر لى ، حوادث ثابتة:

ان فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم
سواء فى آسيا الصغرى أو فى اغريقا الكبرى ، وقد وصل الينا بعض
أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التى كانت تقترن بنقل الكتب
قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من انقطن ومن الكتان أو استعمال
الرق . وان كتب اكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث
أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى .
ولابد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ فى دور الآثار . ومن
الممكن أن تكون أوراق البردى رتب ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ
عهد ارسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبها الحاضرة . ومن ثم تيسر
جميع الكتب فى المكاتب ، فاه المكاتب التى ينسبونها الى بوليكراتس

وبيزيسطراط لم تكن بلا شك الا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذي بقي علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذي تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة في دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولوثائق الكتاب . ومن محاش المصادفات ان بلان الذي ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل اليينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى في زمنه . ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذي يبتدىء من عهد أوزيمندياس الى القرن الاول للميلاد ، ولكن الاصول الرئيسية لهذه الصناعة لابد أن تكون قديمة جدا بل الظاهر أنه لم يكده يدخل عليها أقل تغيير (١) .

وقد عني بلان عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى « أن المدنية وتذكارات الاشياء مرتبطة باستعمال الورق ، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال » . أما فرون فإنه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الاكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية . وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق في روما ، ولكننا قد رأينا آنفا انه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى افرىقا ، وبلان لا يشاطر رأى فرون مهما كان معتبرا . وهاك ما يقوله في ذلك التبت النفيس الذي يريد درسه :

ينبت البردى في المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمق لا يزيد على ذراعين ، جذره المعوج في ثخن النراع تقريبا ، وساقه مثلث الاضلاع ويندر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق . فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية ، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب ، ومن قشرته تنسج الشرع (٢) والحصر والملابس والأغطية والحبال . وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلان بلا شك . وإن بردى مصر في كل الاستعمالات التي ذكرناها خيز من كل بردى آخر ، فإن البردى الذي ينبت في سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا في صنع الورق

ولصنع الورق يقسم البردى الى اشربة رقيقة جدا وعريضة بقدر

(١) بلان . التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .
(٢) وهذا ما كان يبصره هيرودوت حينما كان يسبح في مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا في متحف الموقر نعال من البردى .

الممكن . وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب . وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هييراتى . وبعد حين اعطى لا على درجة من الورق المنقى بالفصل اسم أغسطس ، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليفى امرأة أغسطس ، وكان الهييراتى اذا فى الدرجة الثالثة وورق الدرجة الرابعة سمي انفتياترى نسبة الى المكان الذى كان يصنع فيه . ومن انواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذى يصنع من قرطاة البردى ثم ورق الطينىوطيقى من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الانبورييتيك أو ورق المتجر ، ولا يصلح الا للظروف أو لف البضائع ، وبعد هذه الاشرطة تأتى قشرة البردى وهى اشبه ماتكون بقشرة الخيزران لا تصلح الا لصنع الاحبال التى لها خاصة البقاء فى الماء .

كل انواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة ولا يكون الاختلاف الا فى مادة الورقة ، ومتى أخذت الاشرطة بعناية تنشر على نحو خوان مندى بماء النيل ، فان هذا السائل الحامل للطمي يصلح كزق لتقوية الاشرطة وضمها بعضها الى بعض . وعلى هذا الحوان الممال نوعا تازق الاشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية فى الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذى يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الاوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائم الورق التى لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض وأحسن ما كان فى عرض ثلاثة عشر اصبعاً ، والهييراتى لم يكده يتجاوز عرضه الاحد عشر، وقال فانايوس ان هذا الورق الهييراتى الذى اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذى أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان فى عرض ستة اصابع . وكان يمكنهم أيضا أن يصلوا الاوراق اطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لانهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما نقدره نحن برقته ومتنائه وبياضته وصقله . وقد اهتم الامبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذى كان يجده أرق مما يلزم واكثر شفافية فجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من اشرطة الدرجة الثانية واللحمة من اشرطة الدرجة الأولى ، وبهذه الطريقة زيد فى عرض الورق اذ بلغ عرضه ذراعاً فى الفرخ الكبير . وكانوا يفضلون ورق كاود فى الكتب ويستعملون ورق أغسطس فى المخططات . وكانوا يصلقون الورق بقطعة من العاج أو بمحارة ناعمة ، ولكنه كان

من اللازم الوقوف بهذه العملية عند حد معين ، والا زلق الحبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لأن تنمحي عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر منا يلزم • ربما يكون حسد في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفlec بهم • وقد كان يحدث ماء النيل الحمى ضررا من هذا النوع متى صب من غيب احتراس في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقموها بغاية الدقة حتى لا يظن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، الا بالاستعمال اذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ الا قليلا •

لذلك قال بلاين انه لتوقى تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد ان هذه الطرائق فعالة جدا قال : انه رأى عند أحد اصحابه وكان مغرما بخطوط امونين مخطوطات لشيثيرون ولاغسطس ولفرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كل الزمان •

وبعد أن اورد بلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأى فرون في أن استعمال الورق حديث في ايطاليا وحاول ان يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم ان الكتب كانت معروفة منذ زمن «نوما بومبيليوس» فقد عثر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية سيتيفوس وبمبيوس طنفيلوس ، بعد موته بخمسمائة وخمس وثلاثين سنة ، على كتب من الورق • كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العرافة الى طرخان الاجل كانت مكتوبة على ورق حرق منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم بادى حريقه روما • واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الاثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المريد الا أن يتصفح رسائل شيثيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع • فان الناس مازالوا يستعملون الاوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها الى الغاية • كتب شيثيرون الى اتيقوس كل يوم بل مرات عديدة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة يرسل اليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة اذا لم يكن لديه مايقوله اكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخر لها اذا انطلق قلمه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة • ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة اشخاص عمل منه نسخ بعدهم أو صرح للمرسل اليه باتيان هذا العمل ، أما اذا كان

موضوع الكتاب دقيقاً يشطب الكاتب غير مرة العبارات الناقصة عن نادية المعنى المراد تملأ ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذه ويحرره . وإذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثير ماخذاً يبيكه ترك دمعه أحياناً تمحو الكتابة ومضى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فإذا نسي الكاتب شيئاً أو أهمل تفصيل معنى من المعاني فتح الكتاب من جديد فإن كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكتاب المرسل اليه وكان لا يتضمن شيئاً يراد حفظه مرقه . ولا يتساهل في ذلك إذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فإذا طرح الكتاب مطرحاً من غير أن يمزقة فيمكن رده الى مرسله إذا طلب رده اليه . فإذا لم يجد أحدهم ورقاً مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل اليه بغاية الأمانة . وقد تنتهز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين في جهة واحدة ، فإذا فك المرسل اليه الصرة وزع الكتب على المرسل اليهم ، وعند الحاجة قد ترسل الرسل الى الأشخاص البعيدين .

ويمكن أن يجعل الإنسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختصها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيراً يكل اليه كل ذلك ، يعلم عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فإذا كان المرء متعباً ، وعلم الاخص إذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بحجزه عن أن يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهذه الأسكاتة هم محاسب أمانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والأعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يفتنون آياها ، ولكنهم أحياناً يخونون ساداتهم ويقرون بما معهم من الأوراق . ولما أنهم عادة من الأصدقاء يقتفرون أثرهم ويقبض عليهم إلا إذا أبعدوا في فرائدهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو الماحض خادماً أكثر أمانة وأقل كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ينقطع سير الرسالة زمناً طويلاً .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فإن تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة . ومتى استكملت هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المنتفعين بها . كذلك الأوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالأعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الإدارية تحصل بوسائل سريعة تمامونة يظهر أنها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فالى أقاصى حدود الجمهورية تصل الأوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من

هذه الاوامر صور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ٠٠٠ الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي انفس للتاريخ منها لارضاء حبنا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به اوراق البردي المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كآفة ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا ، فلم يكن أحد من الاهالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم الا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لاهالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون (١) . كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكنه من ذلك أو كآفة معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع . وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس إذ كان في آتينا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي . ولما كان أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لانه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس ، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته ، ولا يكون عليه بعد ذلك الا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الاربعين ، ومع ذلك يفكر في أن ينزوى من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه « تلکم الصحب القبياء » التي يجب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لفرون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والابحاث المتنوعة في قدينيات وطنه وقديميات الامم الاجنبية . حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية . ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض

(١) نقل سويتون أن قيصر كلف فرون بإنشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية . وقد وضع فرون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف . راجع كتاب جستون بوايزير ص ٢٢ ، ٤٧ على فرون .

الاصحاب مثل هذه الحاجة قضاها لهم على خير وجه فيكلف كتبه ومقربيه وسكاترته بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في اعدائه كما كان يسره أن يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى في عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . واذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير اياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة في ذلك والناس يعلمون أن الرومان في آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى ايجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كنوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذة الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الاغراض الاجتماعية عينها وينفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام فى الشهوات والمباراة . كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا الا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف الا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والامور الادارية والخطابات أمرا غاليا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر وانقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمنا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حيا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه الا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصري طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى الا الذى يحملها فى طيات نفسه لانها منعزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش الا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العنبر ما لا ينبغى للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا . من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتبة الأقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكمية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .

بعد ان ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعثور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الإقامة أو فى

حال التشريد • وبعد أن بيننا الظروف الحسية التي ألغوا فيها مؤلفاتهم صار جائزاً لنا عن بينة وشيء من الاطمئنان ان نتسائل الى أى حد كانت أصلية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد في آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شيء هي مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئاً ؟ أم هل هي مستقلة تمام الاستقلال لم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئاً من غير مناهلها الذاتية ؟ إكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان محض ابداع لها من الأصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايبوس؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذي فتح صدره للحياة العلمية يدين بشيء للشرق الذي هو مخالف له والذي هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير في هذا الطريق، الوعر الذي حده النهائي هو الفلسفة ؟

أحب من غير تردد بالسلب وأن نقول له تدن لاجد غيرها ، وأن المساعدات التي وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن أي نقا في العلم أيضا كانت ذات أحداث وابداع ، شأنها في بقية الأشياء الأخرى ، وإذا كانت تلتقت شيئاً عن جيرانها فما هو إلا أصل عديم الصبر قصورهما هو وبلغت من تصورها حد التمام بحيث يمكن القول بحق أنها هي التي أوجدتها في العالم .

وعلم أن أقدر دأبه ذلك دله ماذا يشعر بالفلسفة ؟ وجسسه حدها وهذا : « اتجاه العقائد اتخذها شيئاً إلى العالم » . المشاهدة لاحت العلم من غور غرض آخر ألا قدم العالم الذي تمردت فيه وفاءه . وأصله ونمايته • هذا هو المعنى الذي تولد وقتئذ لأول مرة في العقائد الإنسانية والذي ، من طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان إلى عهدنا ، لا يزال ينمو من قرن إلى قرن، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع مادامت القرون وما دام الزمن الذي يقاس بها على بقاء النوع الإنساني • ذلك هو ما أجادت الفلسفة في بداية أمرها عمله أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء • وما هو إلا بسبب ضعف عقلنا وضرورات البحث العام انه انفردت العلوم الخصوصية شيئاً في شيئاً وانعزلت أمها الفلسفة عن أولادها • ولكنها ما زالت تغذيها وتوكل عليها • ولم تلبث الفلسفة أن حسدت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاءها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أسسها وتماهى ، ولكنها في تلك الأيام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لأن العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها • من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجليل المتواضع ، فان فيثاغورث لما سأله ليعون طاغية الفلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوفاً وهو اسم لم يسمع من قبل •

الفيلسوف ليس الا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك ان العقل الذى يدرس الاشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : « حال الناس فى الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الاعياد الرسمية . ففى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائعهم مدفوعا بحب الكسب وآخر لا يقوده اليها الا حب المجد والرغبة فى ان ينال قصب السبق فى القوة أو فى المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها الا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع . كذلك فى الحياة ، للناس الذين تضحهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المجتهدون بجواذب الثروة والتمتع التى لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بأنطع فى السلطان والشرف وهما لا ينالان الا بالحروب الحادة والمنافسات التى تستفك الدماء ، ولكن الغرض الاسمى للرجل هو امان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لانظارنا وبذلك يستحق عنوانا فيلسوف ، فمن الحسن أن ينظر المرء الى اقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الافلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا الا بالمبدأ المغفول المجرد الذى يسير الكون ويخصى كل شىء عددا ومقياسا ، فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الالهية الايدى الاولى التى لا تتغير . والفلسفة ليست الا التتبع المستمتر لهذه الدلائل الشريفة التى تميز الناس وتصلحهم (١) .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل ، منذ خمسة وعشرين قرنا لم تبحث الفلسفة الا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الاولى بالتدرج تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وان كانت العلوم قد رقت رقتا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فإنه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الاشياء ويلاحظها ليقومها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه الى أغريقا دون سواها . فمن أغريقا تلقينا من غير أن يكون افكره أحد من قبلها فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع أغريقا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ؟ أمن مصر

(١) إميليك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة لفرمان ديدو على اثر ديوجين اللايرتى . فبكل هذه الوثائق وثائق إميليك وفرغوريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبرة تامة عن مذاهبه الاصلية .

ام من فينيقيا ام من الفرس ام من الهند ؟ لا ارى غير هذه الامم احدا كان يستطيع ان يعلم الاغريق شيئا وأقول: ان هذه الامم ولو انها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم الفلسفة أصلا . لا شك في أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الاخص سائحوا سياحات طويلة في تلك البلاد وانهم ذهبوا اليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذي ربما كان يدلى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : انه لقن الاسرار الخفية . وقد يمكن تصديق ذلك بسهولة ، لان سولون ذهب اليها ايضا . والظاهر يدل على انه لم يقف عند محادثة كهنة سايس (١) في أمر الاطلانديد ، ومن المحتمل أيضا ان فيثاغورث جاوز مصر الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين . والفضل في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة الا طول السباحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى ازماع مثل هذه السياحات في حين ان السياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضى كل وقت علاقات من هذا النوع . وقد كانا حكماء الاغريق مشوقين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدة وهي البلاد الشحيقة التي كانوا يؤمنونها ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع انهم جابوا تلك الاقطار الشاسعة مع ما عليه الوصول اليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى اثر الاكتشافات اللغوية والاثرية التي جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفيه والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول ان طريق الجواب مفتوح أمامنا ، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الاغريق ، نرى ماذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي ان لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء نعلم ماذا تساويه وماذا يمكنها أن تؤتيه ، يبحث فيها عيشا عن الفلسفة وهي عنها ثنية فكيف يكون الاغريق حتى مع تناول الاسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها مادامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فان التوراة اثر ذو قيمة لا تقدر ان بما تشتمل عليه وان بما خرج منها، ولكي لا أرى ان اغريقيا استعارت منها شيئا أيا كان ، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت اليها بأية

(٢) راجع طيماوس: فلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها .

طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهي قد اعلنت اعلانا عاليا بل عاليا فوق ما يلزم حكمة مصر وحكمة المجوس ؟ أى عقبة اعترضتها فى اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتها ؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن أيضا أن اغريقا التى كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ما علمت منها شيئا . والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على إيمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الاغريق أن يقرءوها وليس يرى أنهم تحركوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثا غورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لمسا كادوا بفهمونها ولا يصغون اليها . والواقع انها لم تفهم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينيقيا ويهوذة تقريبا ، فحن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شمشبوليون ومن كل الاعمال التى تبعتها وأيدته يعلم ماذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة الا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على ما فيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى الخاص لم يكن بها ، وكل شيء يساعد على اثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، ان ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغى أن ننتظر منها ما ليس فيها . لها سنويات وليس لها تاريخ . يمكن ان يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الاخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينيقيا جارتها وحال يهوذة التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تملأها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ما ذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا إياه الكتب الدينية المجموعية التى فتح لنا مغالقتها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم ايجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كتب فانهم لا يكادون يكونون الا عرافين . عندما أراد اصطياف ملك الميديين ان يفسر الحلم الغريب الذى رآته ابنته مندان قصد الى المجوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحرج ، اذا امر بقتل حفيده قيروش . وعندما يريد قمبيز أن يزعم حملته الجنوبية على مصر يعهد الى مجوس القيام بأعباء الدولة مدة غيابة فيسئ المجوسى فى ثقة الملك به ويجلس على العرش أخاه

سمرديس الكاذب ، ولكن الفرسان غاظمهم هذا الاعتصاف الذى يفضى الى خضوعهم للمجوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت امرة الفارسى دارا بن هستانسب وذبحوا الاخوين اللذين تبوءا الملك غضبا ، وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم اكزاركزيس ، اذ يهيم بمحاربة اغريقسا وعلى رأيهم يمشى ، وبينما هو فى الطريق على ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبجون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر . فلما شنت الاسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس سبباس ، غير بعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا بالمجوس يقربون قرايين للريح ليهدهوا ثائرته فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب قربان الا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجوتى (أنشودة الآلهة) ليتم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس وكراهة لهم فى آن واحد ، ومن اسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو « السحر » وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد يستحق (١) . ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بمجوس الفرسان والكلدان ، فان هذا الفيلسوف قد أفرده مؤلفا خصيصا بذلك وسماه « الماچيك » (٢) ليدفع عنهم التهم التى ظهر له فسادها . وفى كتابه المسمى « فى الفلسفة » ظن أن من الواجب عليه أن يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم تكلم عن الاصلين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقيس « اوروماز - وأريمان » . ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجموزوفست (فلاسفة الهند المتريضين) بل آباء اليهود أيضا . وفى كتاب دانيال الذى كتب فى عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا الا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام ، ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التى تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرسداد فلكية فى بابل قدرها أرسطو خير تقدير (٣) .

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التى نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح .

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسألة .

(٢) ديوجين اللايرتى فى مقلته ف ٨ .

(٣) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتى .

هان الفنديداد واليسنا واليشث وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراتسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل ما يمكن اسناده الى مجوس كلدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فانه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة وخرافات ليست هي خرافات الفيدياس وليست كذلك من خرافات الاغريق ، ذلك على الاخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فان تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الاصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى اغريق يونيا شيئا .

أفتكون الهند ؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الاصول الهندية وأخبارها ، ولان هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها نصادف أكبر العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختباط الذي يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الاصول الرئيسية الحق على ما فيهما من شدة الابهام ، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع الفيديا وعلى الاخص الفيدا التاريخى اندى لقب مع التسامح بلقب « الريك » هي مقدمة على سائر البقية وجماعة الفيديا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أن هذه الاناشيد الشعرية ليس فيها شيء من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانها تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفلسفى معدوم منها بالمرّة . وأما الاوبانيشاد التي يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الأزمان التي نحن بصددّها ، فمع أن طاليس وفيثاغورث واكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فان الاوبانيشاد لا يمكن أن أقدمها إلا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الاغريق ليستعبروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن في ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكام شواطئ الهندوس ، بله حكماء أو انسط شبة جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الاغريقى بجماعة الجمنوزوفست إلا بتجريدة الاسكندر وسفارة

ميفاستين ، ولكن الاسكندر وميفاستين هما متأخران بمائتي عام عن حكماء
سمنوس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها
في مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثا ندرسها دراسة تامة
تقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة
للعلم على النحو الذي نعينه نحن اليوم ، والذي كان يعنيه الاغريق دائما .
انها مستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم
والإنسان . ولا شك في أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها
جعلتهما شغلها الوحيد ، فينبغي أن يكون لها بمذاهبها الستة التي تقاسمها
وتؤلفها مركز عظيم في التاريخ العام للعقل البشري .

ما هو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أي زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا
في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذي هو مذهب سعنخيا الملحد
من قبل كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد
يكون سعنخيا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يقفون مذهب
سعنخيا بالمذاهب الأخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا
باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة
آسنيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ،
لأن أغزر البراهمة علماء متفقون على ترتيب سعنخيا بعد البوذية بزمان
طويل . أن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم إلا لاستئصال شأفة الالحاد
أو على الأقل لتفيل من غرض به . وأن مذهب سعنخيا الذي هو ملحد وروحاني
معا ما يكون إلا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات
الجاثية من فيدا ، ويكون « النيايا » أو المنطق جاء نفسه قبل سعنخيا
لحاجات المناظرة وتكون الفيدعنتا متأخرة عن الاثنين (١) .

ليس بي من حاجة إلى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد
أن أجاوز بالبحث حدود ما قمت به من القول ، والا كانت افاضة في العبث
فإن من البين أننا حتى إذا وضعنا سعنخيا في الترتيب الرجودي قبل
ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه
شيئا عندما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سنيحة فيثاغورث

(١) ر . مؤلف بترجا « حوار على الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ في قطع الثمن
٥٠ وما بعدها . وكان الاستاذ بترجا أستاذا في مدرسة بيشوب بكلكتا أهدى مؤلفه
إلى جون مونز .

بلغت به بابل وصوص ، فأما لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت في بنجاب
أو على شطوط نهر الجنج.

ينبغي أن يزداد على هذا أن « داراسانا » الفلسفة الهندية على ماهي
معروفة عندنا منذ كولبروك وماتلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس
بينها وبين الفلسفة الاغريقية في تلك الازمان الاولى علاقة مشتركة . فلا
في طاليس ولا في فيثاغورث ولا في اكسينوفانث يمكن العثور على اثر
للمشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداهة مادام الظاهر كله يدل على
أن الفلسفة البرهمانية لم تتم الا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة .

وسمى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبت أن نبليغ بالبحث
الصين ، فإن لاوتسو معتبر أنه عاش في القرن السادس قبل الميلاد ،
ولكن الفلاسفة الاغريق الاول لو كانوا قرعوا الثاوتى كنج وهو كتب
الطريق والعضيلة لما استطاعوا ان يجلوا فيه ما يصلح لهم (١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم
الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلي أى حظ من التأثير كان
للمذاهب المصرية في مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن
الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها في مهدها فلسفة بالغة في الاصلية غايتها .
وبأن معنى العلم على الصورة التي صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان
ياكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هي نتيجة كبرى اعترف بغاية
الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التي تقدمت
بل قد تقدمني بزمان رجال ارتأوا هذا الرأي من غير أن يكون قد توفر
لديهم كل مالدينا من الادلة .

فان العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل في هذا الموضوع
وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة في الارض
جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانين والفرس
والهنود العرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ، فلم يعثر
فيها على الفلسفة التي ينشد لهم أياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : « الآن
لنبليغ الاغريق هذه الامة المشهورة منذ كانت صنيعة في المهد بدرن الحكمة
والفنون ، والتي عندها وجدت الفلسفة مقرها الذي بغته زمنا طويلا بعد
أن تلقت هذه الامة عن المتوحشين بعض الجرائم من المعساروف الالهية
والبشرية » .

(١) راجع مؤلف استايلسلاس جوليان « لاو - صيني - اتي - كنج » المطبعة الملكية
سنة ١٨٤٢

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لانساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم مايل محدثا عن مدرسة يونيا :

« الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق الا وهي صبيحة ترت في مهدها ، ولكننا قد بلغنا الآن منها الطور الذي فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة ، ويظهر بالافكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الاشياء فالى العبقورية الاغريقية ينبغي ان ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الاصول الصحيحة للفلسفة « ١ » .

واما انا من جانبى فلا ازيد على ترديد عبارة بروخر ، وأعدينى سعيئاً باستنادى الى هذا الحجة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عام مالدينا في هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتى كنتيجته . نعم اغريقاً أصيلة على الاطلاق . اعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئاً الا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة فى غيرها فعرفت هى وحدها ان تنبت .

لن أتوسع فى الكلام على مذاهب طاليس و فيثاغورث واكسينوفان بل افترض انها معروفة بمقدار ما يمكن ان تعرف من القطع النادرة التى نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم . من البين أن اكمل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث . ونحن لانستطيع ان نتعرفه الا من خلال الشروح التى وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون ، ولكنها مع ذلك كافية فى بيان أن الدراسة التى كان يزاولها حكيم سموس شدد ماكانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطاً من دراسات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريباً مع اجزائها الاصلية التى تتألف هى منها . وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الاخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأواً بعيداً . ومن البلية أن شخص فيثاغورث كمذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شئ يمزقه ، ولا شبك فى أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذى التزمه فيثاغورث والزم اياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال . وكان فيلولاوس السابق لافلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة - على ما يؤكدون - ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الاستاذ أيضاً .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤ ، ٤٥٧

كان يحتفظ في نظرها بشيء من النجس الديني اذا لم يكن في افكاره فعلي الاقل في الجمعية التي ألفها والتي لا يدخل اليها الا بعد امتحان قاس يعجزه المريد ، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة كالذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كمنهج ماوراء الطبيعة لأكسينوفان . لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء الجمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تجتاز ، انها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث ان ارتاب في أمرها جيرانها فخرّبوها بالحديد وبالنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا الى ان هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا وإن تناسخ الأرواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم في العالم الهلنستي مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه الا أشياعه ، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الاغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي ان يوضح ان سياحاته في مصر وكلدة هي التي أوجدت في نفسه مقاصدا من هذا النوع فنقلها الى بلاد قلما توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقى به علما فردا متميزا عمس قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومنهجه الأخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى أن مذهب أفلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجع عليه في طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى ان الفلسفة الاغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الامر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك البلاد ، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل انها اعتمدت فوق ذلك على أحسن معتبرة انها الهية ، ومع ذلك اقامت قرونا طويلا كافلة لسد الحاجات الادبية والاخلاقية في تلك الأمم . وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو لموا كبيرا متحللة من القيود الأولى وإن كانت تجاحها لم يكن عظيما . أما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب الهية ولا موحى بها . وقد كان أرفو وليموس وسائر المرتلين الاقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الاسرار الأولى كلهم ما كان يتكلم الا باسمه هو دون أن يستند ما يقول الى الاله . ولما كان الأمر كذلك بالله متغير الصور منشورا في البسلا لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع

الوصول الى تاليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص فلم يكن للكهنه نقابة قوية ذات سلطان وكاذا الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين الا مفككة العرى ، لانها انما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة اساطير محلية لانهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن الزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ؛ وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ بمجامع قلوب الاغريق انما هو قصيدة حماسية . ان قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، انها تنمى الاحتساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبيل السلوك . فما قصيدة حماسية بالثوراة ولا هي بالزاندافستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقسربان المثلث عند البوذيين . فالواقع ان الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلين

وما تستب غظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تدهشنا وتعلم منها . بعد خمسة وعشرين قرنا الا الى استقلالها المطلق . ولو انما كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام المكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ او كانت تخيا تلك الحياة الطيبة القوية ؟ او كانت تلد للعالم تلك الملح من التاليف وتؤتي ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذي يعرف ذلك ؟ لا شك في ان الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح في ميدان الفلسفة ، كما نجح في ميادين الاعمال الاخرى ، ولكن اما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو ان العنصرة التي تغذيها جرت في قنوات اخرى من قبل وخصوصا في قنوات الديانة ؟ ولم يكن تاريخهم انخراقي الا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس في سعة من ان تتخذ لها نحا جديدا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل في باب الحق ، بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكن لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لاوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل في الجدة مما كانت عليه بكثير وتلك خسارة لا تعوض على الاغريق وعلينا أيضا لاننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن انسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التي كانت مقيمة على شواطئها كل المجد الطارف في اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الاخرى ، فان لا أقصده الى أن أعط آتينا حقا من المجد المقطوع النظير ، ذلك لانه من آتينا خرج في زمن قديروا أهل بعض هذه المستعمرات التي جمعت بين النضاط

والذكاء والشاعرية والحربية ، وفي آتيننا اجتمع اليونان • بل يمكن القول بأن آتيننا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التي لم تستطع ان تظلم تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا • ثم أن تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ في أوطانها جراثيم للفلسفة التي تخضعت هي عنها ، فانه اذا كان طاليس بقي في ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سموس الى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا • فلما نفيت الفلسفة مؤقتا من افرىقا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقي في آتيننا آخر مطافها ، وجدته بسقراط وأفلاطون في عهد انكساغوراس وبيريكلئس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتيننا قد حوت اسمى مظهر للذكاء الاغريقي ، وتكون الامم المخصبة التي ولدت الملح من كل نوع ، فأن الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت الى الارض الاولى التي منها خرجت المستعمرات اليربانية لتؤتي فيها اجيل زهرها وأنضج ثمارها • ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى الا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فاقامت فيها قليلا ولكن بعد ان انبعث نورها الساطع • فلما استقرت بآتيننا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكلئس الى عهد جستنيان فهي معلمة روما وجدة الإسكندرية ومنافستها الجديرة دائما بالاحترام •

من اجل ذلك يظهر لنا ان آتيننا ويونيا او بلفظ واحد افرىقا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن اجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجد في أوجها ، لا يقاربها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الامم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع انها تربى عليها في العدد الف مرة • فمن ذا الذي يقام له وزن بجانب الاغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعنى السيتيين ولا سائر تلك الشعوب الرحل في شماليها ، ولكننا أعنى الفرس والهنود بل المصريين أيضا ماذا عسى أن تكون القرون الاولى لولا الهلين ؟ ما هي تلك المعارف الانسانية التي ليس لهم فضل في أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرود أن يتلمسوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف ولواضع كلها مادية كشكل ارضهم وحال جوهم وحاجات تجارتهم • الخ ، ولكن مع أن تأثير هذه الظروف لا ينكر الا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيرا مقنعا ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضياف بحر ايجه وأطيقا ، وبيلوبونيز وافرىقا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك أين هي تلك الروح التي كانت تنعش الهلين في تلك العصور الحنبية ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك

العهد الى اليوم فان اخلافهم لا يعدون الاّن شيئاً فيما يتعلق بارتقاء
المدارك الانسانية .

لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً ممكناً الا الواقع نفسه ، فانا
لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الامم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت
اليّنا من أعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين
خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الابدي الهادي لجميع الامم فيما
يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من أسرار العناية الالهية ليس لنا بالنفوذ
في كنهه يدان ، بل هو كسائر أسرار الله تنال اعجابنا ولا ينالها
فهمنا . ان الاغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الانساني سعة النظر
التي تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشق الملاحظات ، قد حاولوا
مع ذلك أن يفسروا لانفسهم أعجوبة عبقريتهم . وإنى اوتر أيضا في
هذا المقام ان استجوبهم بدل ان أجيب عنهم في هذه المسألة ، أولئك
هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريبا وهم بقراط وأفلاطون
وارسطو ، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الاعضاء ، والثاني باسم
الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة ، ولا بأس من ان نتخذ
بجانب هؤلاء شاهدا على الشعر ايشيل الذي كان يقاتل في موطن .

فمن كتاب بقراط على الاهوية والمياه والاماكن ، ذلك الكتاب
الذي يتخيل قارئه كأنما مدده فيما أتى به من النظريات هو العلم
الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة
بين الجنسين والوطنين الذين يعرفهما حق المعرفة ، لانه عاش فيهما
فقال :

« أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن ابين كيف ان كليهما تخالف
الآخرى » « في كل شيء » ، وانه ليس بين الامم التي تقطن كليهما أية
مشابهة في البنية . وقد « يكون من التزام ما يلزم تعدد جميع
الفروق ، بل أكتفى بأكثرها أهمية ، واشدها » « بروذا للعيان ، لاعرض
رأى الذي ارتأيته في ذلك ، فأقول : ان آسيا تختلف عن » « أوروبا
اختلافا عظيما بطبيعة حاصلاتها جميعا ، تنوء فيها ما تخرج الارض
وما يخرج » « من ظهور الناس الذين يزعمونها . فكل ما يتولد في آسيا
يفضل ما يتولد في أوروبا » « فضلا كبيرا في الجمال وفي بسطة الجسم .
جوها أكثر اعتدالا ، وأمها أدمث » « أخلاقا وأسهل قيادا ، والعلّة في
ذلك هي التوازن التام بين الفضول . . . فان الماشية » « التي ترعى في
أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر الى حد مدهش ، وتربيتها ،
« ناجحة الى الغاية . وأما الناس فيها فنموهم عظيم يمتازون عن الاجناس

الآخري « بجمال صورهم وفضل قامتهم ، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرواء ولا في الصورة . » ويمكن أن يقال : ان مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا « بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها ، ولكن لا شجاعة الرجولة ولا مصابرة « المشاق ولا اجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو « في مثل هذه الطبيعة ، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون ، بل ان حب الملاهي « عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الآخري » .

« أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فان الاسيويين اذا كانوا أقل ميلا « للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الاوروبيين فعلة ذلك انما هي على الخصوص « في حال اقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحر ولا في البرد بل « قليلا ما يشعر بتغير الجو ، وحيث لا يعتري العقل صدمات ولا يعرف الجسم « تغيرات . وتلك انفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا « للجماح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . ألا إنها التغيرات « من النقيض الى النقيض هي التي تنبه العقل الانساني وتمنعه من أن ينم « في ظلال السكون . تلك هي الاسباب التي يتعلق بها على ما يظهر لي ضعة « نفوس الاسيويين » .

« ينبغي ان يضاف الى ذلك حال النظمات ، فان جزء آسيا الأكبر خاضع للملوك . » وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المروء باستعمال السلاح ، بل « يصرفون كل عنايتهم في أن يظهرها بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية . » ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة ، اذ يسعى الرعايا الى خوض غمار « الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن « أبنائهم وعن نسائهم وعن كل ما هو عزيز عليهم . وفي حين أن كل ما يأتونه من « ضروب النشاط والبسالة انما يجنى أسيادهم ثمرته يكبر به قدرهم وتشتد به عصيتهم ، « فان أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الاخطار والهلاك . وفوق ذلك « فان هؤلاء الرعايا لابد لهم من أن يروا في الغالب دخول الاعداء وانقطاع الاشغال « سببا لجعل غيظانهم حصيدا جزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه « الامم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها . » وان أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الامم الاغريقية والمتوحشة « المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسناتها هي أكثر « الامم

الاسيوية ميلا الى الحرب . ولما أنها كانت تتعرض لاختطاس الحروب لحسابها ، الخاص فكانت تتمتع بشرة شجاعتهما أو تحتل سوء نتائج جينها ليسوا كالاسيويين ، المحكومين بالملك ، فان الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين ، لحكم الملوكية ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاناة الاخطار بمحض ، ارادتهم من اجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الامر على ضد ذلك اذا كان الانسان غير خاضع الا الى قوانينه الذاتية واذا كان يعرض نفسه للخطر من اجل منفعة ، الخاصة لا من اجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا يختارا ويلقى ، بنفسه بكل قلبه في جميع مهادى المصادقات لانه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره . من اجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة .

« تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الاشياء » (١) ، ذكر أفلاطون في كتابه المينكسين حيث لايزيد سقراط على أن يكرر مقالات اسباسيا الشاعرة الملطية تمجيدا للاغريق الذين قهرروا قبائل آسيا مانصه :

« لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسعون لاذلال أوروبا قائلهم » « أبأؤنا أبناء هذه الأرض فقروهم ودحروهم . ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغي » « أن نتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث ، (٢) » « فأولهم قيروش الذي لما مكنته عبقريته من تحرير موأطيه الفرس أخضع اليه » « ساداتهم الميديين ، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر . ثم فتح ابنه مصر وسائر الاقطار » « الانريقية التي استطاع أن يضلل اليها . وثالثهم دارا قد بسط حدود مملكته » « ومدها الى سبتيا بفتوحات جيشه البري ، وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر ، « واذا كان لا يجزو أحد على مقاومته قد دلت له هجمات الأمم فكم من أمة قوية » خريجة ألقت غنائها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم اذا استحضر » « الانسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أتاها يوم مرطون » « أولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين ، وعاقبوا بجمع آسيا وكبرياعها ، « والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الانفال والغنائم

(١) بقراط كتاب الا هوية والمياه والامكن ب ١٢ : ١٦ : ٢٣ : ص ٥٣ : ٦٣ : ٨٧
طبعة ليثرفي ج ٢

(٢) ايشيل . (:الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) . يذكر عدد آخر . يرى أن آسيا في عرف ايشيل وأفلاطون كان حدها الشرقي أرض فارس .

أن قوة الفرس لا تستعصى « على المقاومة ، وانه لاشيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ٠٠٠ » لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الاول الى اولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه « مسند الى الظافرين فى الوقائع البحرية بسلامين وأرطيميس . وقد ضرب أبطال « مرطون مثلاً للاغريق عامة أن فئة قليلة حرة تكفى لرد غارة جيوش المتوحشين « البرية ، مهما كانت لاتحصى عددا ، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن ايضا « فى البحر كما أمكن فى البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك « البحارة المجرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر ، ولانهم « صيروا الاضطليل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من « وقائع الاستقلال الاغريقى من حيث الترتيب التاريخى ومن حيث شدة الاقدام « فى واقعة بلاتة ، وهى أول واقعة اشترك فيها اللقدماتيون والأتينيون وباءوا « بمجدها جميعا ، وقد كان اللقاء فيها حرجا والخطر محيقا فتغلبوا على كل شيء . وياله « من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل .

الى أى شيء فى الاغريق نسبت أسباسيا هذه الشجاعة : هذا المجد ؟ الى علة واحدة ، الى الحرية التى كانت تتمتع بها آتينا . كانت : « ها أنتم هؤلاء ترون كيف أنا اجداد هؤلاء المقاتلين واجسادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية (١) » .

وما كان هذا النشيد الا اليق ما يكون بالاعمال التى يشدو بها . وحقيق بأسباسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام ميكنسين يشكر ستقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهر بهذا القول : « وحق المشتري أن اسباسيا لسعيدة بأنها وهى امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات » .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، الا أنه فاتته ان هذه المرأة كانت من ملطية وألا أجدادها ، مع انهم كانوا لا يزالون اضعف من الأتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن تتولى آتينا أمر قهرهم .

(١) ميكنسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا ايشيل على لسان جماعة المنشدون يجيبون أتوسا أم اكزار كسيس : « لا يستطيع مخلوق أن يقول أن الاتينيين عبيده أو رعاياه » الفرس البيت ٢٤٢ .

وأخيرا فإن أرسطو يشرك أفلاطون وبقراط في رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة في سكان المدينة في حكومة منظمة قال :

« لكى يلم المرء بهذه الصفات ماعليه الا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن » « الاغريقية والى بقية الامم المختلفة التى تتقاسم سطح الارض ليرى أن الامم التى » تسكن الاقاليم الباردة حتى فى أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم » « على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة » وبهذه المثابة يحتفظون » « بحريتهم خير احتفاظ » ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا » « مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فإن أهمها أكثر » « ذكاء وقابلية للفنون ، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير » « العبودية المؤبدة . أما الجنس الاغريقى الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء » « وهؤلاء فانه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة ، يعرف كيف يجمع بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات » « غاية فى النظام . فهو جدير اذا توحدت كلمته فى حكومة واحدة أن » « يفتح العالم (١) » .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقراط فى عبقرية اليونان ، انهم لم ينفوا عن الاغريق المؤثرات الخارجية التى آثرها اظهر من اذا تخفى ، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالاسباب الاخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا اليه ، لاننا نحن الآن مع اننا أكثر ثنورا ، بما أصبنا من التجربة الطويلة ، لانستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الحس ، فلتبقى اغريقا اذا ما كانت فى انعصور الاولى مدفونة فى طيات مجدها ، ولكن خالدة ما خلدت اعمال الانسان التى تقع فى يوم من الايام ثم تتلفها أيدي البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغى ، ولكنها من هنا لا تكون كاملة اذا لم أرجع بها الى الكلام على الكتابين اللذين تتقدمهما وإذا لم أبسط القول على المسألة الكبرى التى تشبثت بها مدرسة ايليا ، تلك المدرسة التى يمثلها اكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ماهى تلك المناقشة التى ثار ثاثرها فى بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا فى الاعمال الحيوية من

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

حرب وسياسة وسياسة واستعمار ؟ واذا نراهم فلاسفة ونظريين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمة مدهشة ، واني لنا ادراك التوفيق بين الحالين اذا لم نلم بالاخلاق والعادات والضرورات التي كانت في تلك الازمان المضطربة ! كان طاليس في جيش الياط وكان احد المؤتمرين في البانيونيوم ، وفيثاغورث يجوب البلاد الاجنبية زمنا طويلا على كثرة الاخطار وبعث الشقة ، واكسينوفان الذي نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام الى الفوكيين فيما وراء البحار ، وميليسوس يدافع عن سموس ضد الاتيين بعزيمة لم يتغلب عليها بريكليس الا بعد طول العناء ، اولئك قواد وساسة يشتغلون بسا وراء الطبيعة ! امر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فانهم يظهر عليهم انهم فنوا في دقة التدليل ، تلك الخاصة التي كانت تنهم بها عن بيئة مدرسة ايليا . اذا سلمنا بما ذكره افلاطون في كتابه المسمى « برمينيد » فان ذلك الانتقاد والتهمة كانا من الناحية بامكان ولا شك ان من الغريب ان تملك التديقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير انه يجب التنبيه الى ان برمينيد مع كونه تلميذ اكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فمسخ من افكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك اثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ في اغريقيا الكبرى ، تلك الروح التي كانت وقتئذ تبدع في صقلية فن الخطابة والتي غلت في نظريات فيثاغورث على العدد الى حد الافراط .

ليست تلك روح اكسينوفان انتي تتجلى في المقطوعات التي بقيت لنا من آثاره وفي الكتاب الذي اترجمه الآن في هذا المجلد . وعلى رأيي ان هذه النقطة هي التي ينبغي ان نوجه النظر الى الامعان فيها للاصابة في تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتي لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا في العقل الانساني في بداية هنيوه من سباته .

اول نظرة في الطبيعة التي تحيط بنا تظهر لنا بادي الامن وحدة الوجود ، وما يكون الا بعد ذلك بانزمان ان نميز بالجهد والتحليل اجزاء مختلفه في هذا المجموع العام الذي يسحر خلاله ابصارنا ويعني ادراكنا . ولم تستطع الهند لاقبل الفلسفة الاغريقية ولا بعدها ان تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فنيت فيها بكليتها وبقي العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الاطلاق طول حياتها ، كانت لها نظريات للتجهم فيها نصيحت قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على الاصل العام للاشياء ، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية ، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها . لا يوجد

شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهانا والوبانيشاد . والإناشيد
الحماسية والقوانين في الدراسات الفلسفية . أما العنصرية الاغريقية
فانها اتقت ان تسحرها ظواهر النظرة الاولى في الوجود ، ودفعت بذلك
الخطر عن نفسها ، ولئن كانت قد اتجهت وقتا ما الى فكرة الوحدة
فانها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة
منتجة بعض الاجزاء الاصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع الا صورة
اللانهاية عينها .

ذلك هو الواقع حتى ان طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية
العالم كان يدرس الاصل المادى الذى تكون منه ، ومع انه قد اخطأ هذا
الاصل الذى ظنه الماء فانه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس
في الطبيعة ليتعرف اسرار الاشياء . يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان
الكواكب في افلاكها مادام انه كان على وشك ان يتنبأ بكسوف الشمس .
وعلى رأي ارسطو ، وشهادته قاطعة في هذا المعنى ، ان طاليس كان
ينسجم بان العالم مملوء بالالهة القائمة بأمر النفس والحركة ، وليس
فيثاغورث باقل استمساكا بفكرة الوحدة مع انه كان يجزئها ، ولم تلمحه
استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام
العالمى ، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام ، ولكنه مع
ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة ، وعلى رايه ان الاضداد
اثنين اثنين تكون كلا واحدا يكون ارقى منها . وان الوحدة هي الاصل
الحقيقى في العالم المادى كما هي في العدد ، وبذلك ارتقى فيثاغورث الى
تعريف الله دون ان يميزه تمييزا تاما عن العالم الذى ينظمه ويسيره .

أما عند اكسينوفان فان فكرة وحدانية الله وقدرته هي ظاهرة بغاية
الوضوح دون ان يتعمق فيها كما تعمق فيها افلاطون من بعده وكما هو
الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى ، وأظن ان هذه النظرة الاولى
في الوحدة الالهية هي التى ألقت جلالها الباهر وخفائها في نظريات
مدرسة ايلينا . وعندى ان ذلك هو الذى يفسر اغلاط هذا المذهب
الشريف . ان نظر اكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، ان شئت ، ولكنه
على الاقل لا يضل . أما برمينيد فان به ميلا الى السفسطة التى حملت
تلميذه ذنون على ان ينكر الحركة وحملت غرغياس على تأييد أبعد مذاهب
العدمية ضلالا وأقلها تنزها . وأما ميليسوس فانه لزم الجدل الوسط
بين الاستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال .
وانى مقارب بين اكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الاساسية بينهما
على ما يظهر لى :

لقد كان اكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه

أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه
خيالات الشعراء النطيفة التي تحط من مقامه كما نفى عنه الانثروبومورفيزم
الخالق الذي هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الانسان » .
تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور
هؤلاء التعساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شيء في الوجود
لانه لماذا يكون المثل خالفا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وان الله الذي لا يمكن
أن يأتي من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتي من شيء يكون
دون مقامه . اذا هو لم يخلق من شيء فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا
بنتيجة ليست أقل ضرورة من الاولى يكون قديرا على كل شيء . لو
كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك
لا يكون إله ، لان خاصة الاله أن يملك كل شيء ولا يملكه شيء أيا كان .
ولما كان الله أزليا قديرا على كل شيء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لانه
لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق ارادته العليا .

من ذلك ترى أن في اكسينوفان بعض مبادئ جلييلة لم يرفضها
اللاهوت المسيحي بل قبلها بالعناية قبولا حسنا ، ولكن نظر اكسينوفان
قد اضطرب في هذه النقطة ، وليس في ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد
أزاد أن ينفذ نظره في حقيقة الذات الالهية فأخذ العثار في هذا
الطريق الوعر الذي ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذي لا يشابهه
شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته ، وهو هو في جميع أجزائه
وهو بأكمله هو في كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن اكسينوفان
لما وقع في الاستعارات التي لا تساوي قيمتها الا ما تساويه
الانثروبومورفيزم التي انتقدتها بحق أخذ يشبه الله بفلك ، وكانت
النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهايا ولا متناهيا ، وأنه
لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون ، كما أنه لا أول له ولا وسط
ولا آخر . ومع ذلك فان اكسينوفان لم يخدع نفسه في أمر الصعوبات
غير المتناهية التي تقف في حل هذه المسألة ، ودليل ذلك ما قاله في هذه
الآبيات الجميلة التي نقلها الينا سكستوس أمبيريكوس .

« لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا في هذه الاعماق
ولن » « يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم ، تلك الماهية
التي أحاول الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التسامة
لما عرف هو نفسه أن يقبل ما وصل اليه منها ، وليس في كل ما يقال
في هذا الشأن إلا محض تشبيه وتقريب » .

والظاهر أن برمينيد لم يتمش بالبحث في هذا الموضوع الكبير
الى الحد الذي وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ برمينيد وواضح

من الجدل فانه ، على مقال ديوجين اللايرثى نقلا عن أرسطو ، قد وصل
فى هذا الموضوع الى لا أدريه غلا فيها غرياس الى أقصى حد ، ولكنى
أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا بهرمينيد بل أخطأها الى ميليسوس فهو
الذى أقصد درسه بعد اكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ،
فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، إلا انه ، عوضا
عن أن يبقى متمسكا بآله اكسينوفان الواحد الاذلى القادر على كل شىء
بل والمدرك لكل شىء أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الاله
فاشتغل بالموجود آخذا اياه فى كل تجرده وفى كل عقمه . غير أن
التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها
ولا من تعمقها الاستثنائى .

الموجود لا يأتى من الموجود والا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا
تناقض . ومثل ذلك فى التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على
ذلك لم يكن الموجود قد وجد فى زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا
وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لانه اما أن يتغير الى معدوم
وهذا محال ، واما أن يتغير الى موجود آخر واذ فلا يكون منعذما ، فالموجود
على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا
أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا
آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهي فهو واحد ، لان اللانهاية
منافية للتعدد ، اذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومضى كان
الموجود أبديا واحدا لا متناهي كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ،
لانه فى أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية
المطلقة فأى تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل
بغيره أيا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولانعدمت صورته الاولى
وجاءته صورة أخرى . ومع تقدم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدى
واللانهاى ويتحول الى لا شىء . ولما كان الموجود أبديا لا متناهي واحد
كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لانه اذا
كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا
ينافى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لاشى كائن حقيقة الا الموجود .
وجميع الاشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست الا مظاهر خداعة
متحولة كثيرا أو قليلا ، هى غير موجودة بالمعنى الخاص مادامت متغيرة
ومادام أنها تهلك بعبء أن تولد . أما الموجود الحقيقى فانه
لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الاشياء التى تظهر أمام حواسنا كانت

موجودة كما نطلبها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود الا الوحدة ، وأما التعدد فلا وجود له أصلا .
أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالدراسة التي هو أحد أعضائها . لاشك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير ، وربما كان هذا الغمط منه أرسطو .

واني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد أكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس (ميليسوس) هو الذي جلا الفوضى عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره عقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائج ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من إثبات الجميل على أنكساغوراس إذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين (١) . فمن البش أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينزاع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الاوفى في هذا المذهب ، وليس شاذاً عن المألوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال إن أكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة ايليا التي طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الايلية الا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الاولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الازمان اذ العلم والمشاهدة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد الى ماقرره أنكساغوراس من الادراك الالهي ولا ماقرره سقراط وأفلاطون من العناية الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجرثومة الاولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن

(١) أرسطو المتافيريقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان . وقطع فلسفية الطبعة

توجيهها الى المذهب الذى يراسه اكسيتوفان ، فلا شغتك فى أن تلك التوجيهات البليمة هى التى آتته عظمته وخطره فى تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد والخص بيان أوفى تلك المعاني التى جئت على ايضاحها بشيء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لى أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربى حادثة من الخطير بحيث أردت أن أحيطها بكل مايجوز خفاءها معتمداً فى ذلك على استيعاب التاريخ عن الامم وعن الظروف التى اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه الحادثة انما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا ، وإن كان ذلك قد حصل من قبل فى حزب طروادة إلا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانباً لأنها خرافية أو لقللة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل فى بقعة من الارض ليس فيها من السعة إلا بمقدار ما يلزم لتخسر الجاليات الاغريقية وفى عصر يعتبر نسبياً عصر توحش ولكنه كان مملوءاً بالخصب الذى لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هى السابقة على آتينا التى فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التى حملت بهذا الاصل العجيب تحت تأثير امم غريبة عنه لم تستطع تعهده وانماهه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الارض العتيقة التى كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقريّة الاغريقية هى التى دانت العالم بهذا النفع العلمى الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغربها . فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئاً من العلم فما هو الا مدد مبهم غاية فى الابهام . لا وراء فى أن المصريين والكلدان والهنود لهم فى ماضى الانسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك فى الفلسفة أو فى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئاً مذكوراً فى جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات فى أيامنا هذه أن لغة الياذة ولغة الفيدا كانتا فى الاصل لغة واحدة ، وأن اللسان الاغريقى والسبسكرىت أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه اذا كان الاصل الذى اطرأ فى أزمان ما قبل التاريخ واحداً ، فإن ما قدر على الاخوين كان مختلفاً جد الاختلاف ، لأن العالم الاغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشباطر بحظ عظيم فى تقديم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج الا البرهمانية والبوذية ، فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الاغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان ، ولكنهما لم تشغل مركزاً يذكر

لها ولم تستفد منها الاغريق الا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتباد وليونيداس وطيستوكل والاسكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس واغريقيا ومصر ويهودة نفسها . مهما كانت الفروق بينها فى المعقولات ، كلها هى الخمسة فروغ متفرعة عن جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغي أن يكون له أهمية عظمى فى هذه الابحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغي أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منطوية تحت فروق فى الاخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو مايسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وان الامم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالاخرى وان كانت قابلياتها تخالف قابليات الاخرى على الاطلاق فهى قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الاغريق بجملتهم فى صفها الاول . وحينما كانوا يستمرون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم بالغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فان الهلين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغي . والآن ونحن فى وسعنا ان نحكم حكما خلوا من الغرض نقول انهم أحق من سواهم بقصب التنبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن ينزعهم من هذا المقام . أما أنا فلسنت أتردد فى اسناد هذا المجد اليهم ، مع انى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق فى بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه فى حلبة المجد فى مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟

ولقد بينت ، على مهل الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة ايليا وما لأكسينوفان وميليسوس من الاهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية انما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الاغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فان اغريقيا هى التى علمت روما ، وبواسطة روما واغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تخلصها ومهد لها السبيل . وان العلم على جميع صورته كان معدوما فى الشرق ، فاخترعه الاغريق ونقلوه إلينا (١) . وما كان من

(١) راجع مقدمتى لكتاب السماء لارسطو ص ٧٩

روما والعالم الحالى بتمامه منذ اغارة المتوحشين الا أن اقتفوا هذا الاثر
الذى عفا رسته أحيانا ولكنه لم ينعلم أبدا .

وانى اذ عنيت بايضاح هذه الآثار الاولى أردت أن أوفى أجدادنا
حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكزهم وخدماتهم
للإنسانية . ان العقل الانسانى بطيء فى سيره فيحسن به وهو سائر فى
طريقه غير المتناهى أن يلقي نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من
أين ابتداء سيره ويسند خطاه فى المستقبل غير المحدود السدى ينشظر
قدمه !

الكون والفساد

الكتاب الاول

الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات
انكسار نوراس ولوكيبيس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب امبيدكل - الاستشهاد ببعض
أبياته - المعاني المختلفة التي يحول عليها كون الاشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد
للعناصر الأولية .

١ - لاجل أن ندرك الكون والفساد في الاشياء التي تتولد وتهلك
بالطبع يلزمنا ، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة علمها ونسبها .
وسننظر أيضاً عند معالجة النمو والاستحالة ماهي كل واحدة من هاتين

- ك ١ ب ١ - أخذ فيلوبيون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء
ودليله الاصل في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادلها
الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعاً جداً . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين
مرتبط بعضها ببعض بفضل ارتباط ، وإن أرسطو بعد ما درس السماء والخواص العامة للأجسام
اللامتغيرة التي تؤلفها أمكنه أن يفكر في اتمام هذه الدراسة بدراسة الاجسام التي من شأنها
في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكتابين
موجودة كما نبه اليه فيلوبيون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضاً حق .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالاجسام المكونة أو الهالكة بفعل
الطبيعة أن يخرج جميع الاجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه
الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - عللها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي
عبرت عنه بالنسب هو أيضاً مبهم جداً . وقد حاول فيلوبيون أن يوضحه فلم يوفق الى
ذلك . وربما كان اللفظ «تحولات» صالحاً أيضاً . - النمو والاستحالة - ينبغي الرجوع
الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ و ك ٥ ب ٣ ف ١١
وما بعدها . فان النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فأنها حركة في الكيف . - الكون
والاستحالة أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . وأما الاستحالة
فهى ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لاتمام
الفكرة . لاجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة أستشهد فيلوبيون ببسبب شعورهم بمبرور
ولكن هم مبرور لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والميتافيزيقية .

الظاهرين ونبحث ما اذا كان طبع الكون وطبع الاستحالة ههما واحدا بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم السدال على كليهما ؟ .

٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس الا استحالة والاآرون منهم رأوا أن كون الأشياء . واستحالتها ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كل ذو صورة واحدة ويعملون الاشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص انما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كما مبعدل وأنكساغوراس ولوكيبس . هؤلاء يجب أن يكون لهم رأى مضاد للاول تماما .

٣ - ومع ذلك فان أنكساغوراس فى هذا قد نكر التعبير الخاص

٢ § - من القدماء - سبرى أن أرسطر يعنى بهم أمبيدل وأنكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس . الخ . - كونا مطلقا - يعنى الانتقال من العدم الى الوجود . ليس الا استحالة - يعنى ادماج ظاهرتى الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان هذا الرأى هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن أدماجهما أحدهما فى الآخر . أن العالم كل ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد الا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شىء بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على المصوم اليونان وأصحاب مدرسة ايليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود . - مجرد استحالة - قد زدت على المتن كلمة مجرد . - ما يولد بالمعنى الخاص هو الذى سناء التولد المطلق كما نبه إليه فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه لا يوجد أكثر من مادة واحدة . ولقد سبى هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك يقبل الا الماء عنصرا أوحدا . وأنكسيميذ وديوجين الابلونى يقول كلاهما بأنه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه النار . أما فلاسفة التعدد فان أمبيدل كان يقبل القسول بالعناصر الاربعة كما قال به أرسطر النار والهواء والماء والارض . وأما أنكساغوراس فانه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الاجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيبس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللا متناهية فى العدد وفى اختلاف أشكالها . (ر ر الفقرات الآتية)

٣ § - نكر أنكساغوراس التعبير الخاص - فى عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . - كما يفعل فلاسفة آآرون - يعنى المذكورين بعد ذلك . - العنصرين المحركين - هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدل هما التنافر والعشق أولهما يفرق الاشياء والثانى يجمعها - ستة عناصر - يعنى، عنصرى الحركة مضلذ الهملا العنصر الاربعة العادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدل أن هذه الاربعة الاجسيرة منفصلة فقط . وأما الآآران فانهما فاعلان ومحركان . من أجزاء متماثلة المتشابهة الاجزاء (هوموميريس) - أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فان جزء العظم يسمى عظما وجزء من اللحم يسمى لحما فى حين أن جزء اليد لا يسمى يدا . الخ . وعلى ذلك يوجد من العناصر الأولية المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر أنكساغوراس غير متناهية فى العدد .

وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير . على انه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل ان عناصر الاجسام كانت اربعة وانه باضافة العناصر المحركين يكون المجموع ستة عناصر . اما انكساغوراس فانه ارتأى انها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيبيس وديمقريطس . والواقع ان انكساغوراس كان يعتبر عناصر الاجسام المركبة من أجزاء متماثلة : المتشابهة الاجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الاخرى التي كل جزء منها مرادف للكل .

٤ - - ويزعم ديمقريطس ولوكيبيس ان جميع الاجسام مركبة في البداية من اجزاء لا تتجزأ او ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . واذا الاجسام لا تختلف في اصلها بعضها عن بعض الا بالعناصر التي تتركب منها وبوضع هذه العناصر وترتيبها .

٥ - - ويظهر هنا ان انكساغوراس من رأى معارض لزايدة أمبيدقل لان هذا الاخير يقول بأن النار والماء والهواء والارض هي الاربعة العناصر وانها أبسط من اللحم أو العظم أو اى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الاجسام المتشابهة الاجزاء . ولكن انكساغوراس على الضد من ذلك يزعم ان الاجسام المتشابهة الاجزاء هي بسيطة وانها هي العناصر الحقيقية بينما ان الارض والنار والهواء مركبة وان جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

٦ - - على ذلك متى ادعى ان جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا

٤ § - اجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . وبسم الذرات اكثر استعمالا وقد بين فيليون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فان أبيقور يقول بعدم تنامي الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بانها غير متبلية في الاشكال . - الا بالعناصر التي تتركب منها - أو بعبارة اخرى « التي هي منها » هذا من اجل التخالف غير المتناهي في طبيعة الذرات . - بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الاشكال .

٥ § - من رأى معارض - لا يجد فيليون بين رأى انكساغوراس ورأى أمبيدقل من مسافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والارض - ذكرتها بهذا التركيب لان أرسطو ذكرها كذلك . - انها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة ان أمبيدقل كان يعلم مذهب انكساغوراس وينتقده . ولكن التاريخ الزمني لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم اتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الاغريقية لا أمبيدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم ضد ما تقارب اذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

٦ § - ادعى ان جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا غير هذا مذهب لم يقبله أرسطو أبدا . - كمنزلة مستحالة - وف (١) أنفا . - الموضوع للظواهر جذت على النصر اللفظ الاخير . - يعانى استحالة - يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يسكن ان يكون على

غير لازم ضرورة اعتبار كون الاشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون اذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بمعنى . فانما على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال انه يعاني استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستحالة تخالف الكون . لان كون الاشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر او بافتراقها .

وفي هذا المعنى أمكن لامبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل الا اختلاط وافتراق

§ ٧ - هذا تعبير ، كما يرى ، يلائم تماما فرضي هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . واذن فإن هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فإن من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي نقرره هنا . فالواقع أنه كما ان الجواهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة .

§ ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال ايضاح الاستحالة على حسب ما يقوله السذيين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لان التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول ، الحار والبارد ، والابيض والاسود ، والجاف والرطب ،

التعاقب محلا للاستحالة التي تنتابه اذا يمر من البارد الى الحار ومن الابيض الى الاسود . الخ او على التبادل . بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « اجناس متعددة » . باتحاد العناصر او بافتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أمبيدقل . § ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر . - وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - او بعبارة أخرى « أن الفرض الذي نسلّمه اليهم هو الذي يسلمون به » . مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن أمبيدقل أنكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن بوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . نجده يعتريه - انما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رايه ان الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو أو الذبول اللذين تدرجتهما حواسنا بغاية السهولة . أن الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلوبون وتفسير اسكندر الافروديزي الذي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - او تغير الكيف .

§ ٨ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - او التغيرات - فصول للعناصر - او بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة كل المتقابلات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بصفة . - ينتج من ذلك - ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أمبيدقل . - وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة - ولا يظهر أن أمبيدقل ينكره .

واللين والصلب ، وجميع الخواص الاخرى المشابهة كما يقوله أبيقور
أمبيدقل : الشمس فى كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة وفى كل مكان
المطر ينشر غشائه وبرده .

انه يقرر المميزات عينها لسائر الاشياء . وينتج من ذلك انه اذا
كان الماء لا يخرج من النار ، ولا الارض من الماء . فان الاسود لا يمكن أن
يخرج من الابيض ، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق
على جميع التغيرات الاخرى . وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن ليس من البين انه يلزم دائما افتراض وجود مادة
واحدة لا غير لاجل الاضداد ، سواء أ تغيرت بالنقلة فى الاين أم تغيرت
بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون الا عنصر واحد
ومادة واحدة بعينها لاجل جميع الكيوف التى تتبدل بعضها ببعض . واذا
كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر
واقعية ويناقض نفسه معا . لانه يزعم معا أن العناصر لا يمكن أن يجرى
بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتى منها سائر الاشياء ، وفى
الوقت عينه بعد أن رد الى الوحدة الطبيعية كلها كاملة ما عدا التنافر ،
قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التى تخيلها . فعلى رأيه الاشياء
بانفصالها عن هذه الوحدة العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير
فهذا الشيء بعينه صار ماء وآخر صار نارا . وبهذه المثابة يسمى الشمس

§ ٩ - ولكن ليس من البين على هذه النظرية واجمع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧
ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ - بالنقلة فى الاين . بالنمو . بالاستحالة - تلك هى انواع
الحركة الثلاثة التى يقول بها أرسطو وقد شرحها فى كتاب الطبيعة . مادة واحدة بعينها -
عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . التى تتبدل بعضها ببعض - التى هى بناء
على ذلك اُضداد ، فان الجسم بعينه هو الذى يكون بالتناوب حارا أو باردا أو أبيض أو
اسود . الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - بانكاره وجود الاستحالة وهى ظاهرة مشاهدة
بغاية السهولة - رد الى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) اله المادة المظروف فيه العدائى
على رأى أمبيدقل بفعل العشق الى أن يأتى التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل
العناصر . ما عدا التنافر - ما دام هو الذى يجب أن يقطع من جديد الوحدة التى
أوجدها العشق . فعلى رأيه - يظهر أن ما يلى هو نقل حرفى لعبارة أمبيدقل ولكن
البيان غير جلى وفيه القموض العادى الذى يوجد فى نقوض أرسطو . فهذا الشيء بعينه
صار ماء - لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقى فان رأيه هو أن العناصر كلها
مكونة ولا تتغير ، بل هى فقط تجتمع أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . -
ويمكن أن تمحى - قد لا تكون هذه هى فكرة أمبيدقل الحقيقية . ما دامت متولدة فى
وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه الفروق أبدية . بل
الحى تتغير أيضا فى هذه اليوم فى مذهب أرسطو . ولكن لا فى مذهب أمبيدقل .

يضيء حارة والارض كثيفة صلبة . ولكن متى بحيث هذه الفصول ، ويمكن أن تمحي ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للارض بالجداهة أن تلاقى اذا من الماء كما يمكن أيضا للمساء أن يأتي من الارض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التي جرى عليها التحول والتغير ، لا في الزمن الذي يتكلم عنه فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتنفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الأبدى المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما يظهر تتولد اذا من مبدأ واحد . لان النار والماء والارض وهي لا تزال مجتمعة لم تكن لتكون كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف ان كان يلزم الاعتراف بأن لهن مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة وأعني بهن الارض والنار والعناصر التي من هذا القبيل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يفترض كمادة مبدأ منه تأتي الارض والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد اذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناها المطلق ، وسنعيد البحث فيما اذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فإن المعارضة الجديدة تنحصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدآن سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حيثما يتكشف (سفروس) اله المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأ واحد أو مبادئ متعددة - يكون على الأقل الاثنان التنافر والعشق . - كمادة - يمكن ألا تكون هذه ايضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر ولما يعلن بها لفظ - أشد عنصرية - هذه هي عبارة النص نفسها .

§ ١٢ - في دورنا - زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين سيبين مذاهبه وسنتكلم أولا على الكون مرجحا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها الى ما بعد .

الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكييس - نظرية جديدة على كون الاشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة اللوات - رأى ديمقريطس ولوكييس - رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ دؤلا، وهؤلا - وجوب الأخذ بملاحظة الاحداث على الاخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - افكار في قابلية الاشياء للقسمة - يمكن الترافى للقسمة لا متناهية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية اللوات - نفس هذه النظرية - المعنى العام الذى يحمل عليه كون الاشياء.

١٨٨ - لم يدرس اذا أفلاطون الكون والفساد الا من حيث طريقة وجودهما بالاشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومته بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل شيئا على تكون جميع الاجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الاجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية ادراكه اياهما فى الموجودات .

١٨٩ - على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات بطريقة سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فإنه يظهر انه فكر فى كل المسائل ولكنه يخالفنا فى ايضاح الطريقة التى بها تحدث الاشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا فى ايضاح النمو الا ما ربما يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة . أعنى بأن يقال ان الاجسام تنمو لأن الشبيه يأتى فينصاف الى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن .

١٩٠ - لم يدرس اذا أفلاطون - رجع أرسطو الى فحص مذاهب أسلافه . - اذا - هذه الكلمة موجودة فى النص دون أن يكون لها وجه يبررها . - طريقة وجودها بالاشياء - يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول ان أفلاطون لم يدرس الكون الا فى المجال الراهنة للاشياء من غير أن يحاول الصعود الى الاصل ، فاذا كانت حسنة هى فكرته فقد لا تكون صادقة تماما اذ قد يوجد فى طيمائوس ما يناقضها . - على كون العناصر - دون كون الكيوف التى تتتاب العناصر . - على الاستحالة ولا على النمو - يعنى النوعين الآخرين للحركة .

١٩١ - ما عدا ديمقريطس - مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيما جدا بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه الى أفلاطون . - كل المسائل - ليست عبارة النص فى هذا القدر من الضبط . - التى بها تحدث الاشياء - هذا ليس تام الوضوح ، ولكن عبارة النص ادى من ترجمتنا ، ولاشك فى أن أرسطو يريد أن يقول ان ديمقريطس موافق لما فيما يتعلق بكون الاشياء ولكنه يخالفه فى كيفية حدوث هذه الظاهرة . فى ايضاح النمو - لا يرى ان أرسطو نفسه قد بب هذا النص (ر . الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ف ٥ من ترجمتنا ٢٠) .

§ ٣ - ومع ذلك فتم تدريس أيضا بـ - مسألة الاختلاط ولا اية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الأشياء وتنفعل وكيف ان شيئاً بعينه يفعل الاحداث الطبيعية وآخر بعينه ينفعل بها .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر استخرجنا منها استحالة الاشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادهما يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد مما اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهية أيضا بحيث ان الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الرائي أو ذلك تبعا لتفسيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزداد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما انه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يختار .

§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الاشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جسدًا ، وأن الاشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين أنها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يعرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . اذا لم يجعل كون

٣ - ومع ذلك فلم تدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس اياها كتاب الطبيعة واما في الكتاب الرابع من الميتولوجيا (الآثار العلوية) ولكن لا أعرف اذا كان أرسطو قد تعمق في البحث فيها الى أبعد مما فعل أسلافه .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلوبون وقد يمكن ترجمته هكذا : « بعد أن تخيل ديمقريطس ولوكيبس صور العناصر » . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يقبل في الحقيقة الا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر : - هذا هو المذهب الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حاربه سقراط (ر . فروطاغوراس لافلاطون) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتفسيرات وضعه - مثل فيلوبون لذلك بطوق الحماة فإنه تبعا لمقطه الضوء وموضع الرائي يتلون بالألوان المختلفة .

- جزء واحد من أجزائه - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . - تستخدم الحروف بعينها - أو بعبارة أصح « حروف الهجاء » .

§ ٥ - كل الناس - يشمل انكساغوراس وامبيدقل . - كون الاشياء واستحالتها - من الصعب في الواقع خطط الظاهرتين وجعل احدهما الاخرى . وان عبارة النص في التمييز جلية غاية الجلاء . - وجب علينا أن نقف - سيكون ذلك موضوع هذا الباب والابواب التالية . - طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد - هذا مبهم .

الاشياء ، مثلا ، الا اتحادا فان لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الاشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر الا مجرد اتحاد وانه اذا كان الكون ليس اتحادا فمن ثم لا يوجد كون أصلا وانه ليس الا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه التصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الاصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما اذا كانت الاشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظما أولية غير قابلة للانقسام أو ما اذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للانقسام . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتسائل أيضا عما اذا كانت - كما يريد ديمقريطس ولوكيبيس هذه الأعظام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيماوس .

§ ٧ - ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الاجسام الى حد تصييرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على انى لا اعترف أن هذا الرأي هو أيضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الاشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتماسه أو تبعا لاختلاف اشكاله . ذلك ما يفعل ديمقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون ما دام اللون في عرفة لما يكون من حركة الاجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لانه بجمع السطوح ذرات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى ايجاد أى كيف جسماني .

§ ٦ - هي معرفة - ما اذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد - تكون وتستحيل وتنمو - تلك هي الأنواع الثلاثة للحركات التى الاشياء قابلة لها . - الظواهر المضادة لهذه - يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص . - أعنى - أضفت هذه الكلمة . - هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى - لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليها مرات عدة - كما ذكر في طيماوس - ر كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١٤ .

§ ٧ - في غير هذا الموضع - في كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلوبون . - الى حد تصييرها سطوحا - هذا الزاى ليس هو رأى أفلاطون في طيماوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . - على انى لا اعترف - عبارة النص اقل وضوحا من هذه . - كما قد قيل - يرى فيلوبون أن الالفاظ التى يستعملها أرسطو في هذا الموضع على قول ديمقريطس هي الفاظ مأخوذة على الاخص من لهجة أثين . - دورانه ... تماسه - هذا التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا في أداء المعنى من نظريتهما باليونانية . الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح - مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرين . - أن يدركوا اللون - أو أى كيف آخر للجسام - عبارة النص اقل ضبطا من هذه .

§ ٨ - والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ،
الظواهر التى هى محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى
ضد ذلك الذين استزادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا فى
استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن تنسحب بعد على حوادث ما أكثر
عددها . ولكن هؤلاء الذين هم تائهون فى نظريات معقدة لا يلاحظون
الاحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة الا الى عدد قليل من الظواهر وهم
يحكمون بسهولة كبرى .

§ ٩ - ها هنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذى يفرق بين
الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لان هؤلاء الفلاسفة
من أجل أن يبينوا مثلا انه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمه يدعون
انه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثل الأعلى للمثلث ،
يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس فى هذه المسألة يظهر انه لم يعول فى حلها
الا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فان ما سبلى من
هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وانه عظم
قابل للقسمه الى ما لا نهاية وانه من الممكن تحقيق هذه القسمه . فماذا
يبقى فى الواقع فى الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمه كهذه ؟ فاذا
افتراض أن شيئا قابلا للقسمه مطلقا وانه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا

§ ٨ - محل وفاق بين الناس جميعا - عبارة النص مبهمه قليلا فلست وافقا من
أنى حصلت المعنى جيدا . عدم المشاهدة - يوصى ارسطو هنا بمشاهدة الاحداث كما
يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مبينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر .
معلقة ترجمتى للتكنولوجيا ص ٤٢ وما يليها . - التى يمكن ان تنسحب بعد - أو
بعبارة فيلوبون وهى : «التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره . » والفرق
بين العبارتين عديم القيمة . - تائهون فى نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا لكن
هؤلاء الذين هم بعيدون عن الافكار العامية . . . الخ . - بسهولة كبرى - وبخفة
أكثر .

§ ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعنى افلاطون
ومدرسته . - اذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التى يظهر أنها ضرورية . -
المثلث نفسه المثل الأعلى للمثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست الا تفسيرها لا سيقها . فان
المثلث نفسه فى لغة مذهب افلاطون هو المثل الأعلى للمثلث . - مؤلفا - أى قابلا للقسمه
وهذا يناقض تماما نظرية المثل . - ما على من هذه المناقشة سيبين لنا . . . وأوضح من
ذلك - يشعر ارسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بيننا تماما . يدافع
فيلوبون عن افلاطون ضد ارسطو الذى لم يحصل جيدا فكرة استاده . ويظن فيلوبون
أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر فى مذاهب افلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى فى هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط
عبارة : « من الصعب ان يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمه الى ما لا نهاية وان لا توجد فيه
الاجزاء التى لا تتجزأ . لان هذه القسمه تفنى الجسم عز آخره ولا يبقى منه شيء »

يكون من المحال في شيء أنه أمكن قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والامر كذلك اذا فيما اذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البته . كما لا يكون محالا أن يفترض إمكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ - ما دام الجسم معتبرا انه حائز لهذه الخاصة فلنسلم انه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن اذا ماذا يبقى بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لانه اذا يوجد شيء من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أي حد ومطلقا . ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فاما أن القسمة لا تقع الا على نقط واذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديدة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا .

§ ١٢ - ينتج من ذلك انه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالامر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون الا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط فلا يكون هنالك أيضاكم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تتماس لتؤلف عظما واحدا وان العظم كان واحدا وانها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لان الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون

= وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس لها ابعاد أصلا . - وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة - عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . - الذي يمكن أن يخلص من قسمة كهذه - لانها ستعتمد نهائيا كل ما تتركب منه الجسم . - فلا يكون من المحال - هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال . - اذا يقسم الشيء بالنصف - يعنى اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعداده كله بهذا التقسيم غير المتناهي . - المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد - لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ - معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة - عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . - حاذي يبقى - تكرار للمسألة الموضوعة في الفقرة الماضية . - بعد هذه التقاسيم - زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظما - يكون أيضا قابلا للقسمة . - من غير أي حد ومطلقا . - ليس في النص الا كلمة واحدة . - عديدة العظم لان النقط الرياضية مفروضة أنها لا عظم لها البته .

§ ١٢ - يأتي من لاشيء - أعني من نقط ليس لها أي امتداد . - ألا يكون الا ظاهرا . - تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من منحبر ديكرطس . - بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط - النص ليس بهذه الصراحة . - كم - لان النقط لا تمثل كمية ما . - لا أكبر ولا أصغر من ذي قبل - مهما كان عدد نقط القسمة . - عظم حقيقي - أضفت لفظ حقيقي .

لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث انه مهما جمّع من تلك النقط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليف عظم حقيقى منها .

§ ١٣ - اذا قيل انه يوصل بالقسمة الى ألا يحصل منها الا كمنشأة الجسم فحق على هذا الفرض لا بد من ان الجسم يأتى من عظم ايا كان ، وتبقى المسألة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الاخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل ان ما انفصل ليس جسما بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول الى نقط والى تماسات محولة بهذه الطريقة . واذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم يمكن أبدا أن يأتى من أشياء ليست أعظاما .

§ ١٤ - ولكن فوق ذلك فى أى مكان تكون هذه النقط تتواءم افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ انه لا يوجد أبدا الا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من افتراض انه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قبل اذا أن كل جسم ايا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل اليها :

§ ١٣ - كمنشأة الجسم - عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنه فى الحقيقة واضحة . فان أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وان قسمة الجسم لا يمكن أن تمتد الى الا نهاية . فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصوير الجسم مسحوقا كمنشأة الخشب عند قطعه ولكن قطع المنشأة مهما دق حجمها فان لها امتدادا وترجع المسألة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . - عظم ايا كان - فان قطع المنشأة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير . - فى دوره - زدت هاتين الكلمتين . - ان ما انفصل - أى بالقسمة البالغة اقصى حد لها . - قابلة للانفصال - قال فيلوبون ان فى هذا رواية أخرى وأنه فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسياق يقتضى على الظاهر أوفقية العبارة الأخيرة . ومع ذلك فان فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لأن الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه . ولقد أثبت فى ترجمتى عبارة الرواية المشهورة ولكن الأخرى هى مناسبة أيضا . - الى نقط والى تماسات - نظريات أبطلت آنفا . - أشياء ليست أعظاما - ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن أن يكون لها على ما هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

§ ١٤ - فى أى مكان - يعنى : « فى أى جزء من الجسم ؟ » - افترضت متحركة - كما يفعل الرياضيون اذ يسلمون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطا كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد شبه فيلوبون الى أنه يمكن اعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الإيجاب على السواء . - أنه يوجد شيء - يعنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان فى نقطة تفصلهما . - لو قبل اذا - ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته .

١٥ - من جهة أخرى إذا أمكننى بعد انقصة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الأولى وأن أجعلها مثل ما كانت تماماً فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك فى أية نقطة يبلغتها فى كسرى الخشب . إذا فبالقوة الجسم قابل دائماً للقصة مطلقاً ويبدون حد . ماذا يوجد إذا ها هنا خارجاً عن القصة وبمعزل عنها إذا قيل انها خاصة للجسم ؟ يمكن دائماً أن يستال كيف ان الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم .

١٦ § - إذا كان إذا محالاً أن الاعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقط فانه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذه الافتراض عينه للذرات يخلق محالاً لا يمكن تخطيه ولن أن هذه المسألة قد فحصت فى غير هذا الموضع الا انه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضاً . وللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية .

١٧ § - نقول إذا بادىء بدء انه ليس من غير المعقول فى شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معاً قابل للقصة وغير قابل للقصة فى نقطة ما ما دام انه يمكن أن يكون قابلاً للقصة بالقوة المجردة وغير قابل

١٥ § - من جهة أخرى - برهان جديد لايضاح وجود الذرات . مثل ما كانت تماماً يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقاً ف ١٣ - فى أية نقطة بلغت فى كسرى الخشب = وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . فبالقوة - أن لم يكن بالفعل لعة واحدة هي عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان . - خارجاً عن القصة وبمعزل عنها - لا يوجد فى النص إلا كلمة واحدة لهذا المعنى - الى خواص من هذا القبيل - تكرير لما قيل آنفاً ف ١٣ .

١٦ § - إذا كان إذا - تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . - أجسام وأعظام لا تتجزأ - أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقره ديمقريطس . للذرات - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . - غير هذا الموضع - ب . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ه وراجع كتاب الطبيعة فى مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملمع اليها الامعا لا مبنية بيانياً وضعياً . ويستشهد فيلوبون على الاخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا احد فيه الا ضيقاً من هذا القبيل . ويستشهد أيضاً برسالة الخطوط غير المنقصة التى ينسبها الى ثيوفراست بدلا من أرسطو اتباعاً لرأى بعض المؤلفين .

١٧ § - مما قابل للقصة وغير قابل لها - بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحسما إمكان مجرد والآخرى قصة بالفعل . وإذا فالجسم فى النهر قابل للقصة الى الا نهاية . ولكن فى الخارج تقف القصة عند حد بسرعة . قابل للقصة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل - عبارة النص اقل ضيقاً . - يكون قابلاً للقصة وبغير قابل لها مع بالقوة يعنى منقسماً وغير منقسم فى آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلوبون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم استطع ان ازيله بالمره . واليك البيان الذى يمكن فهمها به : ذ ان جسماً لا يمكن أن يكون معاً قابلاً وغير قابل للقصة حتى بمجرد القوة لأنه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضاً بالفعل . وهاتان القابليتان فى الخارج لا يجتمعان مطلقاً . فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلاً للقصة فى نقطة ما . وهذا لا

للقسمة بالفعل . ولكن الذى يظهر انه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لانه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل . بل انه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل فى نقطة ما . واذا لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم الى شيء غير جسمانى . ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانياة اما بأن يأتى من النقط أو أن لا يأتى من شيء أبدا على الاطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا .

§ ١٨ - أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل الى أجزاء متميزة ومنفصلة والى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنعزل . ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها الى اللانهاية وانه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم فى أية نقطة ما لان هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الاجراء ولا يمكن أن تتمشى الى حد معين .

§ ١٩ - يلزم اذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا اذا سلم أن كون الاشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفرق والاخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذى يظهر انه يبين ضرورة وجود الاعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات . ونحن نتكفل باثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستتورة يستار سنكشفها عنها .

= يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لانه حيثئذ لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم اذا الى شيء غير جسمانى . - الجسم ... غير جسمانى - هذا التقابل موجود بلفظه فى النص . - من النقط - التى هى ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديدة الامتداد . - من شيء أبدا على الاطلاق - أو ربما كان « من العدم » من لا شيء . - كون الجسم من جديد - عبارة النص ليست بهذا الضبط .

§ ١٨ - ينقسم بالفعل - أضفت هذه الكلمة الاخيرة لبيان المعنى تماما . - أصغر فأصغر دائما - على حسب المادة التى هى موضوع القسمة والآلات التى تستخدم لذلك . - تتباعد - هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة . - وتنعزل بعضا عمليا : القسمة . - التجزئة - أو التصغير أى تصغير الشيء الى أجزاء دقيقة ثم الى أدق منها . وهكذا . - الا الى حد معين - فى الخارج مع أنها فى الذهن ممكنة الى ما لانهاية .

§ ١٩ - يلزم اذا - حيثما لا يؤخذ الا بالظواهر المحسوسة القابلة للملاحظة يكون ملهيب الذرات ملهيبا حقا جدا . لان التجزئة فى الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر عقبة كؤودا فى الجزئيات التى لا تستطيع أن تنالها التجزئة - بالتفرق لناصر لا تقبل النقص ولا الزوال . بالاجتماع - بين هذه العناصر بعينها . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها وفوق ذلك فانها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها . - ونحن نتكفل - عبارة النص اقل ضبطا من هذا : ولكنى أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التى استعمالها المؤلف فى عبارته . - سنكشفها عنها . - ان البيان الاخير قد يبين عليه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا الوعد .

§ ٢٠ - كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالإعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلم بهذه النظرية يظهر أنه يسلم أيضا بأنه لا يوجد بعد إلا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . ونتيجة ضرورية فإن الصظم بالتجزئة يصير لا شيء لأن النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب إلا من التماسات أو من النقط .

§ ٢١ - وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع إلى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وأنه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لأن النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . ومنتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لأنه إذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فإنه يكون قابلا لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الأجسام وتركيبها بحيث أنه يوجد أيضا اجتماع وافتراق للأجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول إلى ذرات وأنه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا إلى حد ما . فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الأمر كذلك ولكن الجسم ينحصر إلى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الأجزاء .

§ ٢٠ - لا تتصل بالنقطة - ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها أقل امتداد . - ومن يسلم بهذه النظرية - التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . - بالتجزئة - في النقط التي يقال أنه مركب منها . - إلا من التماسات أو النقط - ر ما سبق في ١٦

§ ٢١ - بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا - هذا هو المعنى الذي اتخذه ليلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية . وأن هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . - يوجد في كل محل نقطة ما - يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيما اتفق . - لا يوجد أكثر من واحدة - في الواقع أنه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة إلا نقطة واحدة . ونتيجة أيضا - النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكن اضطرت إلى زيادة الضبط لوافق بينه وبين التبريد المذكور في الفقرة السابقة . - الآن النقطة - للكلمتان المقابلتان لهما في النص اليوناني أكثر تقريبا بينهما من الكلمتين اللتين اضطرت لاستعمالهما في الترجمة . - للأجزاء - أضفتها من عندي . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا إلى حد ما - وذلك يهدم منهج الذرات . على هذا يكون أرسطريرف الكلى ويقبل هذا المنهج لأنه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه أنه دليل حسم في النص بعض الحسرين

٢٢ - الكون المطلق الكامل للاشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكتلة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للاشياء باجتماع العناصر وافتراقها . انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بأكمله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

٢٣ § - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا انقبيل ولكن ها هنا فرقا عظيما . فان في الموضوع جزءا يرجع الى الكنه وجزءا يرجع الى المادة قمتي فقط حصل التغير في هذين الامرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون الا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيوف العارضة للشيء .

٢٤ § - فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها انها تصير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزا الماء الى نقيطات صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء بأبطأ من ذلك .

٢٥ § - على أن هذا سيوضح فيما يلي . ولكن ها هنا أردنا فقط اثبات أن من المحال أن يكون كون الاشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

٢٢ § الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الامر متباعدة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لان العناصر حينئذ هي أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عندما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص .

٢٣ § - الاستحالة - الاستطراد مستمر . عظيما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - الى الكنه - الحد والماهية . - هذين الشئين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة .

٢٤ § - فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها . ر ما سبق في آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزا الماء - المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد لان هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الاحيان (الميتولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي) . - تتحول بأسرع ما يكون الى هواء - أي بعبارة أخرى تتبخر .

٢٥ § - على أن هذا سيوضح فيما يلي - ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائما مبينا بقدر ما يطلب منه . - مجرد تأليف - سواء أكان اجتماعا أم افتراقا . راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد
الاضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - إبدية الكائنات
وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز لفظي مهم - استشهاد بـ «الفرق
بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأي العامي
في هذا الموضوع في أن شهادة الخواص تعطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة -
طريقة فهم إبدية الظواهر .

١ - متى تقرر هذا يلزم البحث أولاً فيما إذا كان يوجد في الواقع
شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت
بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء مالا يأتي
دائماً من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن
الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير
وكل الأشياء بلا استثناء «تكون» بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون
مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقاً من اللاموجود أي من العدم
بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي
يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك الأبيض يمكن أن يأتي
من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللاجمیل . لكن الكون المطلق يجب أن
يأتي من اللاموجود المطلق .

٢ - حينئذ المطلق ها هنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للموجود

§ ١ - بطريقة مطلقة - أعني من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج
- بالمعنى الخاص - يعني بالمعنى المطلق للكلمة . وفي هذه الحالة - يعني في حالة
افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائماً من موجود سابق عليه .
وقد قطعت الجملة لأنها في النص قلنا طالت أكثر مما يلزم ، من المريض يأتي الصحيح -
يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحاً . أو بالعكس يصير الصحيح مريضاً . فالموجود إذا
لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكمييات مختلفة . ولكنه كائن أولاً
ومن قبل أن يلحقه التغير . - يكون مطلق - يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد
وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . - من اللاموجود من العدم -
ليس في النص الكلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما أنه مغور في العدم
وإن «العدم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة
صورة التناقض على أنها صادقة . - الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض - أعني أن
شيئاً لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى الخاص بل هو
مجرد تغير أو مجرد استحالة . - الكون المطلق يأتي من اللاموجود المطلق - يعني أن شيئاً
يكون بعد أن لم يكن ، خارجاً من العدم الذي كان فيه .

§ ٢ - حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى - المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله
في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كله تحكم . في كل مقولة
للموجود - يعني في جميع المقولات إلا في مقولة الجوهر فإن الأولى هو الحد الأعلى وعلى ذلك =

وأما على الكلى أعنى الذى يشمل ويحوى كل شيء • فإذا كانا الأولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجهورات مما هو ليس بجوهر • ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداهة أن يكون لاي واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والايين • الخ لانه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيوف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها • فإذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفى الكلى لجميع الاشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء •

٣ - على اننا قد تكلمنا على هذا الموضوع فى موضع آخر وبجئنا بما طول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول فى قليل من الكلمات ان من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من انعدم اللاموجود • ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتى الا مما هو موجود • ذلك فى الحق ان ماهو بمجرد القوة وليس بالفعل يجب أن «يكون» أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما أنفا ولكنه لابد مع ذلك من العناية الكبرى فى فحص هذه المسألة التى يمكن أن صنعويتها قد هشمنا حتى بعد الايضاحات التى أسلفناها • وتلك المسألة هى كيف أن الكون المطلق يحصل سواء كان يأتى مما هو بالقوة أم يأتى بأى وجه آخر •

٤ - يمكن البحث فى الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم وللأين

= لفى مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه • - وأما على الكلى - يعنى الجوهر وإلى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق • - يشمل ويحوى كل شيء - ليس فى النص :لا كلمة واحدة • ومعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق • - فإذا كان الأولى هو مدلول المطلق - أضفت لكلمات الثلاثة الأخيرة لجمل الفكرة أكثر ضيضا وجلاء • - فهناك كون للجوهر - التمييز لا يظهر أنه على ما ينبغي • فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجوده وكيف تبعاً لكل مقولة فان شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل • - الخ - وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا • - كيوف - عبارة النص أعراض • مدلول المطلق - رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص • - النفى الكلى لجميع الاشياء - ولعل أحسن من ذلك أن يقال : « النفى الكلى لجميع المقولات » بما فيها مقولة الجوهر • - ما يولد وما يكون - ليس فى النص الا أحد الفعلين •

§ ٣ فى موضع آخر - يعنى فى الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٤٧٣ من ترجمتنا كما نبه اليه فيليبون • - آت من العدم من اللاموجود - ليس فى النص :لا كلمة واحدة • - لاشئ يمكن أبدا أن يأتى - ليست عبارة النص بهذا التامر من البيان • - ماهو بمجرد القوة - الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى إمكان وجوده لاجل أن يكون له وجود بنوع ما • - على الوجهين اللذين بينهما - زدت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا •

§ ٤ - اذا كان يوجد فقط - أضفت الكلمة الأخيرة • - كون للجوهر - ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » • - بالنسبة الى السادس - الذى =

... الخ . وهذه الاسئلة عينها توجه على انسواء بالنسبة الى الفساد .
وانه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح انه يجب وجود
جوهر ما بالقوة على الاقل ان لم يكن بالفعل وبانكمال منه يخرج كون
الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد .

٥ - هل من الممكن أن واحدة من المقولات الاخرى انى هى بالفعل.
وبالكمال المحض تتعلق بهذا الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة اخرى هل يمكن
تطبيق معانى الكيف وانكم والايين على هذا الذى ليس شيئا الا بالقوة
وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون
مطلقا أبدا ؟ لانه اذا كان هذا الموجود ليس أى شيء بالفعل ولكنه كل
الاشياء بالقوة فان الالموجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا
وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التى هابها الفلاسفة الاولون
أكثر من كل شيء وهى ايجاد الاشياء من العدم المحض ولكنه اذا لم يسلم
أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهرًا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة
فحينئذ يفرض كما قلنا آنفا أن الكيفيات والاعراض يمكن أن تكون
منفصلة عن الجواهر .

٦ ٥ - تلك هى النظريات التى يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب
كما انه يلزمنا البحث عما هى العلة التى تجعل كون الموجودات ابدية سواء
الكون المطلق أو الكون البعضى . مادام لا يوجد على رأينا الا علة واحدة أوحد
منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا الا مادة واحدة أوحد يلزم
ايضاح ما هى هذه العلة .

٥ - هو ضد الكون . ألا يوجد كون وفساد ؟ لا فى مقولة الجوهر ؟ اين يوجد أن أيضا فى المقولات
الاخرى . - بالفعل - زدت هذه الكلمة . - جوهر ما - كلمة جوهر عينها موجودة فى
النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد امكان .
- بالفعل وبالكمال - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

٥ ٥ واحدة من المقولات الاخرى - يعنى احلى المقولات الاخرى غير مقولة الجوهر . -
بهذا الموجود بالقوة - النص ليس بهذا الوضوح . - والايين - أو أى مقولة اخرى . -
ذا وجود منفصل - وهذا تناقض . - التى هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء - الفلاسفة
الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . من العدم المحض - عبارة
النص بالضغط هى « من العدم السابق لوجود » . - كائن حقيقى - يمكن أن يضاف
« متميز » فاذا كان الممكن ليس جوهرًا يقال أنه واحدة أخرى من المقولات . - المذكورة
- آنفا - كما قلنا آنفا - ر ف ٢ .

٦ ٥ - بالقدر المناسب - لهذا الموضوع الخاص الذى ندرسه فى هذا الكتاب . -
العلة التى تحصل كل الموجودات ابدية - ليس هذا شيئا آخر الا الإسناد الى الله الذى
هو خالق الاشياء وحافظها كما هو مبين بعد . - سواء الكون المطلق - يعنى الذى يخرج
الاشياء من العدم . - أو الكون البعضى - يعنى كون الكيفيات المتعاقبة على الاشياء . - علة
واحدة أوحد - هى المحرك الذى لا يتحرك . - مادة واحدة أوحد - - فيها يفعل المحرك
الاول . ما هى هذه العلة - ما هنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء . لان السباقه
يقضى علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ - ولكننا سيق بنا أن نكلمنا عليها في كتابنا «الحركة» أذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الابد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المحرك انذى يحسرك كل البقية ، لانه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة ، فاننا سنتكلم عليه فيما بعد عندما فوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة : وهنا نقصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الاشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجر أيضا الشك الذى أثرنه آنفا وسيرى كيف ينبغى أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء .

§ ٨ - ومع ذلك فانها مسألة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التى تدبر وتسلسل تناسل الاشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العدم وأن اللاوجود ليس شيئا لا ما ليس موجودا ليس جوهرها ولا كيفا ولا كما ولا أين الخ لانه حينئذ مادام فى كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذى يأتى منه كل واحد من هذه الكائنات محدودا ومتناهيًا ؟ فى الحق اذا كان هذا التوارث الابدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن ينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لان ذلك محال

§ ٧ - فى كتابنا « الحركة » هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . - اذا قررنا فيه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتطبيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . - بفلسفة أخرى عليا - يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزن . - سنتكلم عليه فيما بعد - ر . - الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف : - الظواهر - أو الكائنات . - العلة التى تظهر بصورة مادة يعنى العلة المادية . - لا يتخلفان - هذا هو التعاقب الابدى للكائنات . ولكن فى مذهب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغي أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى . وهذه المسألة قد بحث أيضا فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ - بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء . - يعنى امكان أن شيئا يجىء من العدم ويرجع اليه .

§ ٨ - التى تدبر وتسلسل - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - يرجع الى العدم أو ينهب الى العدم . - ليس جوهرها ولا كيفا - - اعنى فى أى مقول من المقولات . - ولا أين - ليس هنا الا أربعة مقولات معدودة عوضا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ . . . الخ . - العالم بتمامه - عبارة النص بالضببط « الكل » . - محدود ومتناهي - ليس فى النص الا كلمة واحدة . هذا التوارث الابدى - عبارة النص ليست بهذا الواضح . - وقد وضعنا - ر . الطبيعة نظرية اللانهاية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . - أضعف فأضعف - ذلك فى الحق هو نظرية أرسطو فى الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الاشياء غير متناه وكذلك قسمتها لما دام الموضوع من كل وجه تخيلية محضة . - بهذا السبب وحده أن فساد شيء - هذا الفرض عينه موجود فى كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا .

تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه إنما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة . وقد وضعنا أن القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم الفوات لأنه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكننا هنا لا نرى وجها للمشابهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو كون شيء آخر وان العكس بالعكس كون هذا موت ذلك أو فساده ؟ .

٩ - وبهذا تلغى علة يمكنها أن تكفى لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الأشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الأشياء يقال بطريقة مطلقة أنها تكون وتهلك في حين أنه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، إذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر وإذا كان العكس بالعكس فستاد هذا هو كون لذلك .

١٠ § - هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام أننا نقول عن كائن في حالة بعينه أنه فسد مطلقا لا أنه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون إلى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء . على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الإطلاق . أنظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم أنه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك أنه يصير ويكون على الإطلاق . وبإدراك ما قلناه غالبا من أن بعض الأسماء تدل على جوهر حقيقى والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتى المسألة المطروحة ها هنا . لأنه يهم كثيرا أن يعين فيتم تغيير الشيء الذى يتغير ، مثال ذلك تحول الشيء الذى يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع أنه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

٩ § - ها هنا في عمومها - النص ليس بهذه الصراحة . - بطريقة مطلقة - من غير تحديد ولا تقييد من أى نوع .

١٠ § هذا التباين في التعبير - عبارة النص هي : « هذا » فقط . - أنه فسد مطلقا - يعنى أنه يمر من الوجود إلى اللا وجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعد أن بقى فيه زما ما . - من وجه بعينه فقط - يعنى مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فإنه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا . - فقط أنه انقطع عن كونه أبيض . وأنه فسد من حيث أنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . - عن شخص يتعلم - وأنه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق أنه يصير كذا لو أنه ومد مثلا أنه يصير ويكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ما قلناه غالبا - يمكن أن يراجع كتاب المقولات ١٤٢ . - بعض الأسماء - عبارة النص غير محدودة . - جوهر حقيقى - عبارة

§ ١١ - بهذا المعنى كان برمينيد لا يعترف الا بشئين في الدنيا
الموجود والا موجود وهما عنده النار والارض . على انه ليس من المهم
افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لاننا لا نبحث الا في
الطريقة التي بها تحصل الظواهر لافي موضوعها . اذا التغيير الذي يوصل
الاشياء الى الوجود المطلق انما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها
مطلقا الى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التي يعتبر
فيها الكون والفساد سواء النار أو الارض أو أى عنصر آخر مشابه فان
الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للعدم وجود .

§ ١٢ - هذا اذا هو فرق أول في التعبير يمكن تقريره بين الكون
وانفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . وقرر آخر
يمكن أن يميزها وهو المادة التي يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى
تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هي أيضا ادخل في
الجوهرية والتي تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هي أدخل في الوجود .
وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست
الا عدما . وبهذه الفصول بعينها تتميز الارض والنار .

§ ١٣ - عنه العامى ، انما يقرر الفرق على الاختصاص بين الكون وبين

النص بالضبط « شى » « معنى » . فساد الشىء للارض مثلا - يعنى أن الارض يجب أن
تفسد لتصبح نار مع التسليم بأن هذا التحول ممكن كما يفترضه برمينيد . - فساد النار
- الملاحظة بعينها .

§ ١١ - الموجود واللاموجود في كتاب الطبيعة كتاب ١٦ هو البارود الحار والاموجود
واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد العنصرين الاولين . ومع ذلك فان البارود والحار هما
مرادفا أيضا في ذلك الكتاب للارض والنار . على أنه ليس من المهم - يحس أرسطو هاهنا
أن تحول الارض الى نار أو النار الى ارض فرض غريب في بابه . - لافي موضوعها - يعنى
الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذي يمكن أن يكون على السواء الارض أو النار أو أى
جسم آخر كيفما اتفق . فان الجوهر يمكن أن يتغير ولكن الظاهرة هي دائمة بعينها ومع
ذلك فان أرسطو قد بين عبارته بياناً وضوحاً فيما على .

- التغيير الذى يوصل - ليس النص بهذه الصراحة - سواء النار أو الارض - كما يريد
برمينيد . - أحدهما للوجود - وهو الكون أو التولد . - والآخر للعدم - وهو الفساد أو
التلف .

§ ١٢ - فرق اول في التعبير - ليست عبارة النص على هذا الضبط . - التى يحصلان
فيها - أضفت هذه الكلمات لايضاح الفكرة . - هذه الحقيقة بعينها أو تلك - عبارة النص
هي بالبساطة « شىء بعينه » . وعلى ذلك فالحرارة مقولة - قد لا يكون هذا المثل مختاراً
اختياراً حسناً . فإذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضاً بأن الحرارة عدم
البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء . ينفان أحدهما ضد للآخر . - تتميز الارض
والنار . - ر - الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلويون أن النار أدخل في الجوهرية من
الارض . فانها الايجاب أو الملكة في حين أن الارض ليست الا العدم . ر - آخر الفقرة
اللاحقة :

§ ١٣ - الفرق بين الكون وبين الفساد - الترجمة أضبط من النص . - فتمتى وجد

الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وأن الآخر ليس كذلك • فمق وجود
تغير في مادة محسوسة قال العالمى أن الشيء يولد ويكون كما يقول أنه
يموت ويفسد حينما يتغير إلى مادة غير مرئية • ذلك بأن الناس يعرفون على
العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما إذا كانوا يحسون الشيء أو لا يحسونه •
كما أنهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاموجود ما يجهلونّه • فحينئذ •
الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم • وكما أن الناس لا يدركون حقيقة
حياتهم وكونهم إلا لأنهم يحسون أو يمكنهم أن يحسوا • كذلك
أيضاً إدراكهم لوجود الأشياء إذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها
خيماً يقولون •

§ ١٤ - ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماماً تبعاً
لاعتبارهما على حسب الرأى العالمى أو لاعتبارهما فى حقيقتيهما الواقعية •
إذا الهواء والرياح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما
جسمين إذا كانت المرجح فى ذلك إلى مجرد شهادة الحواس • ومن أجل ذلك
يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول إلى هذين العنصرين فى
حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت إلى بعض عناصر يمكن
لمسها أى إلى أرض مثلاً ولكن فى الحلق ذاتكم العنصران هما جوهر ونوع
أكثر من الأرض نفسها •

§ ١٥ - إذا قد وضع ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث
كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كوناً لشيء أيضاً • وهذا
تغير - الترجمة اضبط من النص - يولد ويكون • • • يموت ويفسد - ليس فى النص فى
كلا الطرفين إلا كلمة واحدة • إدراكهم لوجود الأشياء • • • يعنى على حسب أن الأشياء
محسوسة أو غير محسوسة أولاً يمكن أن تحس •

§ ١٤ - على حسب الرأى العالمى - يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : أخذنا مجرد الظاهر -
أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين - عبارة النص هى بالضبط
«أقل» فقط - إلى مجرد شهادة الحواس - ما دام أن الهواء والرياح يحسان أقل من العناصر
الكثيفة مثل الأرض والماء •
- إلى هذين العنصرين - الهواء والرياح - مثلاً زحمت هذا للفظ لتسام الفكرة • ونوع -
أو صورة • وليس لفظ النص بالكثير ضيقاً من اللفظ الذى التزم استعماله • أكثر من
الأرض نفسها - ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشككة •
أما فيلويون فيزعم أن الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لأنه يحيط بها وإن له
خوق ذلك خاصة الحرارة التى تزيد فى ملمسه •

§ ١٥ - إذا قد وضع - ليس هذا الايضاح جلياً كالمرفوب • وربما كان هذا المخلص
الذى أثبت هنا سابقاً لوقته • أنه يوجد - يظهر أن الأحسن هو أن يقال : «داله يظن أن
يوجد» •
ولكنى لم أجرؤ على المخاطرة بهذا التغير • المادة - عبارة النص هى غير معينة أيضاً كاللفظ
الذى استعملته فى الترجمة فالداله يمكن أن يتعامل : مادة أى شيء • • • - الواحدة - يعنى
من هذين العنصرين •

يتعلق ، في الواقع ، بأن المادة مختلفة إما لان الواحدة جوهر في حين انه الأخرى ليست جوهرًا وإما لان الواحدة هي أكثر وإن الأخرى أقل وإما لان المادة التي يأتي منها الشيء والتي يذهب اليها هي أقل او أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة انها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين انها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك من غير أن يأتي واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذي نعنيه هاهنا . ونحن نقتصر في الواقع الآن على ايضاح لماذا . ما دام أن كل كون هو فساد لشيء آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا - نحن لانسند على هذا الوجه عينه الكون والفساد الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ - على أن هذا لا يحل المسألة التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا . بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم انه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة انه يولد ويصير . تلك هي التعاين أي المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئي والآخر يدل على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر انها تصير بطريقة مطلقة بل انها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الاحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا الا على الأشياء الداخلة في احدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال ان الشيء يصير اذا تكون نار . ولا يقال ذلك اذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة الكيف يقال عن الشيء انه يصير اذا صار الكائن عالما لا اذا صار جاهلا .

= - جوهر - يعنى شيئا شخصيا وخصوصا . - هي أكثر - أو بعبارة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروز وللأخرى وجود أقل حسية » . - تولد وتصير - لا يوجد الا كلمة واحدة في النص الاغريقي - بالتعيين - أو فقط . - الذي نعنيه هاهنا - اذا نقول أن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وإن الفساد المطلق هو أيضا تولد . - نحن لا نسند على هذا الوجه عينه - كل هذه القيود دقيقة وغامضة . - الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر - تلك هي الاحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق الكلام الاتي . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ - التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا - على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين الفساد المطلق . - أنه يصير عالما - إذ أن جهله ينقلب علما كما أن علمه يمكن أن ينقلب جهلا اذا نسي ما حفظه . - ينشأ طبيعة - كلمة النص يظهر لي ان لها ما لهذا اللفظ الذي استخدمته في الترجمة من القوة . - انه يولد ويصير - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة . - بعضها . . . الموجود الحقيقي والجزئي وهو مقولة الجوهر . والنص اقل ضبطا من ذلك . - والآخر على الكم - لا يوجد هاهنا الا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . - كتاب المقولات ب ٤ ص ٥٨ من ترجمتنا . - انها تصير كذا أو كذا من الأشياء - معنى انها تتغير بالكيف او بالوضع ما دام المفروض ضرورة ان الجوهر هو ثابت تحت جثبع

§ ١٧ - إذا فأنظر كيف نوضح لماذا بعض الاشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الأبدى للأشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الازدحام وانه بالنسبة للمجوهر كونه ظاهرة هو دائما فساد لآخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

§ ١٨ - على أنه لم يبق محل لأن يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للموجودات هو الذي يجعلنا شيئا يمكن ان يكون . لانه كما يقال ان شيئا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللامحسوس وإلى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال انه يكون ويأتي من اللاموجود متى أتى من اللامحسوس . والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشيء يأتي دائما من العدم بحيث أن الشيء في آن واحد حين يكون يأتي من اللاموجود وحين يفسد يعود الى اللاموجود أيضا . وهذا هو الفاعل في أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلو . لأن الكون هو فساد اللاموجود والفساد هو كون العدم .

§ ١٩ ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا اللاموجود المطلق هو ثاني

المقولات . - في إحدى المجموعتين - التي أحدهما موجبة والاخرى سالبة . ومع ذلك فإننا نرى كقيل بايضاح هذه الفكرة وان كانت الحدود التي اتخذت امثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار . - اذا تكون نار - لأن النار معتبرة حدا ايجابيا في حين ان الارض معتبرة حد سلبي . - اذا كان الذي يكون هو ارضا - ما سبق فـ ١٤ - اذا صار الكائن علما - هذا هو الحد الايجابي في حين أن الجاهل حد سلبي ولكن في الحالة الاولى والاخرى يقال ايضا انه يصير علما او يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية في الدقة .

§ ١٧ - حتى في الجواهر أعيانها - يعني في حالة ما اذا كان شيء مع كونه موجودا أقل في مرتبة الوجود من آخر لانه تابع له . ر . ما سبق فـ ١٥ . - الموضوع من حيث هو مادة - الموضوع يبقى لانه ماديا محل الازدحام التي تحمل فيه وتعاقب عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . - المستمر الأبدى - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة . - كون ظاهره او بعبارة أخرى تغير الكيفيات . فان كون الاسود هو فساد للابيض وكون الابيض هو فساد للاسود . والموضوع الذي يصير على التناوب اسود وابيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ - ان هذا الفساد الدائم للموجودات - ليس النص على هذا القدر من الصراحة في كل هذا الموطن . - حينما يمر الى اللامحسوس - ر . ما سبق فـ ١٣ - فان الشيء يأتي دائما من العدم - قد اتخذت عبارة كعبارة النص في انها عامة غامضة . وبعبارة أخرى سواء كان هناك مجرد تغير في الكيف فالظاهرة تأتي دائما مما لم يكن . - انقطاع ولاخلو - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومع ذلك فمن فرط التعقيد أو بالحري من الاسراف اللغوي أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساده .

§ ١٩ - هو ثاني الضدين - الذي ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن ان يكون بأن يشغل محل الضد الذي هو كائن . - لما أن الارض وكل ما هو ثقل هو اللاموجود - ضد الرأي

الضدين • ومثلاً لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو الالاموجود اذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الالموجود • ولكن يمكن أن يقال أيضاً ان الارض هي الالموجود وان الالاموجود هو مادة الارض كما أنه هو مادة النار على السواء • ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي اذا مختلفة ؟ وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر كما هو الحال في الاضداد • لأن النار والارض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة الا من وجه آخر ؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذى ليس واحداً • على أننا نقف عندما قلناه في هذا الموضوع •

العامى الذى يستند الى الارض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة ان الحواس تدركها أكثر • ما سبق فـ ١٣ •

— ان الارض هي الالموجود — يظهر فى الحق انه من الصعب انكار ذلك • — وأن الالاموجود هو مادة الارض — لا يظهر ان الالاموجود يمكن أن يكون مادة لى شيء ما الا أن يصرف ذلك الى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما مر • — وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد الا على شهادة الحواس • — لها أضداد — قد يكون مضبوط من ذلك بيانا ان يقال انها بعضها لبعض ضد • ما هو موضوع — يعنى المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقى بالفعل • — شكل الوجود هو وحده — هذا = — تتميز من لازعات أرسطو وهو فى الغالب غاية فى الصحة والضبط • — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا انه على الخصوص قد وضع بقدر الكفاية من الايضاحات التى سبقت •

الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحمول - الموضوع حد الاستحالة - امثلة مختلفة - حد الكون المطلق وامثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ - يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لاننا نرى أن هذين التغيرين للأشياء هما متميزان تماما احدهما من الآخر نظرا الى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقى والتكييف الذى هو طبعا محمول على الموضوع هما فى غاية الاختلاف وانه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالأخر .

§ ٢ - توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير فى خواصه المخصوصة التى يمكن أن تكون مع ذلك أصدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض منع بقائه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستديرة وتارة ذو زوايا مع بقائه جوهريا هو بعينه .

§ ٣ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكميته دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبجده وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتى

§ ٤ ف ١ - الكون والاستحالة - الكون أو التولد هو الحركة فى الجوهر يعنى الحركة التى تسير مما ليس موجودا الى ما هو موجود أى من اللا وجود الى الوجود . واما الاستحالة فهى الحركة التى تغير فى الموضوع ككمياته وتمقيها اصدادها . ر : الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا .

- التغير باحدهما وبالأخر - لفظ تغير مصروف هنا الى معنى الحركة .

§ ٢ - توجد استحالة - حد الاستحالة هذا لا يبعد فى شيء عن الحد الذى أعطى فى كتاب الطبيعة .

- وهو دائما محسوس - أو بعبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن تدرجها حواسنا أصدادا أو أوساطا - مثلا الجسم وهو يمر من الاسود الى الابيض أو وهو يمر بجميع الألوان المتوسطة التى بين ذينك اللونين . - مع بقائه هو بذاته - من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الأساسى وبدونه لا يمكن أن تقع الاستحالة . - جوهريا - أضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ - ولكن حينما الموجود يلحقه التغير - حد للكون أو لصيرورة الاشياء . - بكميته هذا هو الشرط الأساسى للتولد والا فلا يكون التغير الاستحالة . - الدم يتكون بأن يأتى من كل النطفة -

الامن على العكس النطفة هى التى تأتى من الدم الا اذا كان لفظ «النطفة» هنا له معنى خاص .

- كون الواحد وفساد الآخر - اتخذت تعابير مبهمة كتعابير النص . - بالمقارنة - زدت هذه الكلمة .

من كل النطفة وأثنى الهواء يأتي من كل الماء أو بالعكس الماء من كل الهواء .
حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على
الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس إلى المحسوس سواء بالنسبة
لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الأخرى مثلا حينما يوجد كون
الماء أو حينما يوجد تحلل الماء إلى هواء لأن الهواء هو بالمقارنة غير محسوس
تقريبا .

§ ٤ - ولكن في هذه الأشياء إذا بقي لحدى التقابل كيف ما متماثل
في الموجود الذي يتولد وفي الذي يفسد وإذا كان مثلا حينما يتكون الماء
بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فإذا
لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذي فيه يحدث
التغير ومتى لم يكن الأمر كذلك فلا يكون إلا مجرد استحالة . مثلا في
حالة ما الرجل الموسيقي ينعدم والرجل غير الموسيقي يكون ويظهر ، ولكن
الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ إذا لم تكن أصلا خاصة هذا
الموجود أو كيفه إلا المهارة في فن الموسيقي أو الجهل به فإذا يوجد كون
لاحدى الظاهرتين وفساد للآخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست إلا
كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقي
وللرجل الذي لا يعرف الموسيقي فليس هناك إلا تكييف للموضوع الذي
هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة .

§ ٤ - ولكن هذه الأشياء إذا - يرى مفسرو جادة « كويمير » بحق أن المعنى في
هذه الفقرة مغلق وتوضيحات فيلوبون لا تجلو غموضه . ويظهر أن ارسطو يقصد الرد على
اعتراض لم يبينه بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكليته والتغير يلحقه بكليته . أما في
الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير وإذا حق وقع كون عنصر جديد يمكن
أن يتساءل إذا كانت كيفيات الأول يجب أن تزول هي أيضا جميعها معه » . يجب ارسطو
بالسلب متى كن الكيف مشتركاً بين الكائن الذي يزول وبين الكائن الذي يتولد بالتفسير .
وعلى ذلك فالماء مع أنه يأتي من الهواء الذي انعدم له خواص الهواء من جية أنه مثله شفاف
بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقلته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر
توسعا . - فقط - زدت هذه الكلمة . - ومتى لم يكن الأمر كذلك - يعني متى لم يكن للشئ
الكائنات الكيفيات عيها التي للشئ الفاسد . - فلا يكون إلا مجرد استحالة - عبارة النص
أقل ضبطاً . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيراً جوهرياً . - في حالة ما الرجل
الموسيقي ينعدم . حفظت أسلوب عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في
الفرنساوية . - ولكن الرجل - يعني الموجود الجوهري الذي هو تارة موسيقي وأخرى غير
موسيقي . - خاصة . . . أو كيفه - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - إلا المهارة في فن
الموسيقي أو الجهل به - النص في غاية من الإيجاز لم تبلفه عبارتي في الترجمة .

- كون . . . وفساد - كما في الجواهر . - كيفيات - أو تغيرات . - للرجل - الذي يبقى كما
هو مع هذه التغيرات المختلفة . - للرجل الذي هو موسيقي - والذي ليس بعد مجرد رجل على
المعنى المطلق والجوهري .

§ ٥ - وإذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الاين فتلك هي نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذي أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك انه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر .

§ ٦ - وحينئذ فالمادة الق هي على جهة الأولوية والافضلية الموضوع القابل للكون وللفساد . وبوجه ما هي أيضا التي تعاني أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهي قابلة لتقابلات ما بالأضداد . على أنا نقف هنا فيما كنا نريد ان نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لتوضح ما اذا هي تكون أو لا تكون وكيف تكون .

§ ٥ - حد ضد الآخر - عبارة النص الضدية ر . المقولات ب ١٠ و ١١ ص ١١٩ من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . فتلك زيادة ونقص - فان الموجود يتغير اذا في الكم . فتلك هي نقلة - فان الموجود اذا يتغير فقط في المكان . في الملكية الخاصة او في الانفعال . بالمعنى الخاص - اضيفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى .

§ ٦ - المادة - مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو في الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتي . على جهة الأولوية - أو «على الخصوص» . للكون وللفساد - تبعا لانها تكون أولا تكون . وبوجه ما - بطريقة ملتوية لا بالطريقة الخاصة . أنواع التغيرات الأخرى - الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظ بحق فيلوبون أن أرسطو لم يكن يبيانه في أي موضع آخر اجلي منه في هذا الموضع فيما يتعلق بحد المادة الذي هو دائما من الصعوبة بمكان .

الباب الخامس

نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة - صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة - الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة العنصر الجسدي الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي

§ ١ - علينا أيضا أن نتكلم على النمو وإن نقول فيما إذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو وإلى تنقص أن تنقص .

§ ٢ - يلزم إذا أولا أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . إن تغيرا يقع من موجود إلى موجود آخر ، مثلا من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد ؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص ؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة ؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائما تغايرين أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال ؟ أو أيضا أليست طريقة التغير هي التي تختلف ؟ وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان الزوما . ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشيء الذي يتحرك في الأين .

§ ب هـ ١ - النمو - على تقدير دعوى النقص الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة ثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو

§ ٢ - في الموضوع الذي تتعلق به هذه العبارة غامضة قليلا كعبارة النص ويمكن ترجمة عبارة النص أيضا هكذا : في الموضوع الذي تحصل فيه . - من الجوهر بمجرد القوة من الجوهر الذي ليس موجودا إلى جوهر حقيقي موجود بالفعل . كما يخرج حيوان من حيوان بلذ . - هل هو كون وتولد . ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الذي يقع في العظم على وجه أو على وجه آخر . - الظاهرتين الأخيرتين - زدت لفظ «الأخيرتين» زيادة في البيان . - إلى الفعل والكمال . ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست حداهما إلا ترجمة للأخرى .

- التي تختلف - من الكون ومن الاستحالة إلى النمو وإلى النقص - يتولد ويصير - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يجب لهما التغير بالمكان . بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحال النمو والنقص .
- الذي يتحرك في الأين - أو «الذي تلحقه نقلة» .

§ ٣ - لانه الشئ المتحرك في الاين يغير مكانه بكليته في حين ان
الذى ينمو لا يتغير الا كشيء ينزلق ويمتد . والموضوع وهو باق في مكانه
أجزاؤه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على
نفسها لان هذه الاجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه .
وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامي تشغل حيزا اكثر فاكثر كما أن
اجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ - يرى حينئذ أن التغير في شيء يتولد وفي الذي يستحيل وفي
الذي ينمو هو يختلف لا بالشئ الذي يقبل التغير فحسب بل ايضا
بالطريقة التي يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشئ ذاته الذي
يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة ان النمو والذبول يظهر أنهما
لا ينطبقان الا على عظم - كيف ينبغي ادراك انه ينمو ؟ هل يجب أن يفهم
انه يتكون في هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظما الا
بمجرد القوة والذي هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقي ؟
غير أن هذا الايضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن ايضا
أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو . هل هو يأتي من
المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها ؟ أم هل يأتي من المادة التي
تكون في جسم آخر ؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو ليسا هما مستحيلين
على السواء ؟ فانه اذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فاما ألا تشغل اى

§ ٣ - مكانه بكليته - يميز المفسرون هاهنا حالين . ما ان الجسم ينتقل بكليته مارا
من مكان الى آخر واما ان اجزائه هي التي تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون
ان تغير مكانها كما هو مذكور بعد .

- ينزلق ويمتد - ليس في النص الا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . - أجزاءه
وحدها - أضفت الكلمة الاخيرة - الدائرة على نفسها - . ر . الطبيعة كـ ٨ ب ١٤ ف ١
ص ٥٥٤ من ترجمتنا .
- الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا اكثر فاكثر - دون أن تغير مكانها .

§ ٤ - في شيء يتولد . . والذي يستحيل . . والذي ينمو - تلك هي الانسواع
الثلاثة الممكنة للتغير . بالطريقة التي يحصل بها التغير - كما بين هذا في الفقرة السابقة
أما من حيث الشئ ذاته - أضفت هذه الكلمة الاخيرة . - أنه ينمو - أضفت هذه العبارة
لانه ظهر لي أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم أن يزداد ايضا «ويذبل» كما فعل ذلك
عدة من المفسرين . بالفعل وبالكمال .
ليس في النص الا كلمة واحدة . - يحمل على معنى مزدوج - هذا التحليل ربما كان
مجاوزا الى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء . - منعزلة ومنفصلة ليس
في النص الا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف ان المادة يمكن ان تنعزل وتنفصل دون ان
تؤلف جسما . - لفهم النمو - أضفت هذا لتكميل الفكرة . - اى جزء في الاين - أودى حيزه
لا يمكن ان تكون موجودة - ليس النص على هذه الصراحة . - في اين ما - ليس النص على
هذه الصراحة . - ما يأتي : منها - التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل ابهاما . - بحيث أن
هذا الجسم - أو بالاولى : «هذه المادة» المنعزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقي - =

جزء في الاين واما أن تكون كنقطة أو ألا تكون إلا من أنخلو وتكون جسماً لا تدركه حواسنا • ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة • وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لانا ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث أن هذا الجسم يكون فيه أيضاً اما بنفسه او بالواسطة •

§ ٥ - ولكن اذا فرض ان المادة هي في جسم وانها انفصلت عنه بحيث انها لا تؤلف البتة جزءاً من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة • وتوضيحه : مثلاً اذا تكون هواء آت من الماء فذلك ليس لأن الماء يتغير بل لان مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لانه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث يمكنها أيضاً أن تكون بالفعل وبالحقيقة يلزم أن يضاف زيادة على هذا انه ليس كذلك ان الهواء يظهر انه يأتي من الماء كما لو انه كائن يخرج من جسم يبقى دائماً على ما كان عليه •

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عددياً ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل •

§ ٦ - وبالسبب عينها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا

= أو بالواسطة - عبارة النص بالضبط «او بالعرض» ويلزم دائماً أن يذكر ان المقصود «هنا هو مادة النمو لا المادة على العموم •

§ ٥ - في جسم - عبارة النص غير معينة وهي «في شيء» ومع ذلك فانه يجب تقدير ان المادة هي في جسم ينمو كما يدل عليه المثل الآتي الذي فيه «لهواء يتكون بخروجه من الماء •• لان الماء يتغير - وهذا هو التفسير العام والطبيعي •• كما لو كانت في آنية ما - ليس عليها الا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعاني تأثيراً جديداً - المواد - التي يمكنها أن تفعل النمو • - غير متناهية في العدد - او فقط غير متناهية • كعبارة النص • - بالفعل وبالحقيقة - ليس في النص الا كلمة واحدة • أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء - يعني انه يوجد تغير فعلي يصير الماء هواء وان الهواء لا يخرج تماماً من الماء • - أن المادة - أي مادة النمو • - في جميع الاجسام - ربما يكون الاحسن قصر الفكرة والقول «في الجسمين المذكورين» • - عددياً •• في نظر العقل - هذه من التمايز التي اعتادها راسطون •

§ ٦ ليست الا نقطة أو خطوطاً - وهذا ما يؤول به الى : لا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية • - نهايات - لان النقط نهايات للخط والخطوط نهايات للسطوح • - بدون خاصية مادته مذكراً بحواسنا وتجعل منه جسماً حقيقياً • - ولا بدون ضرورة اسهل للدراك من مجرد خاصية • - شيئاً - أو «كائنات» • - كما سبق بيانه في غير هذا الموضع - يحيل فيلوبون على الكتاب الاوّل من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول وفي الحق انه يوجد في الطبيعة كتاباً ف٨ف٩ص٤٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهسده • - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة • - من صورته - او «من نوعه» • - من مجرد كيف الصلب - ليس النص هكذا صريحاً • فان الصلابة تختص بجسم حقيقي ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئاً • - مشتركاً • - كالمثل التي قال بها أفلاطون فانها مشتركة

نقطا أو خطوطا لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبدا أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئا يأتي دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال اما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعني بحقيقة ، بكمال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسمه أعني مادة جسم خاص معين مادام الجسم لا يمكن أبدا أن يكون شيئا مشتركا . وهي هي ذاتها سواء في العظم أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الالين الا ان يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الاجسام الحاضرة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الاشياء ليس تغيرا يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن الكيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا . وفوق ذلك فإن تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على الهندس بل على الكون . لأن النمو ليس الا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس الا انتقاصا له . فأنظر لماذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يمر الى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كونا لا أن يكون نموا حقا .

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها - الا أن يفترض - كما يزعم أرسطو أن أفلاطون افترضه في نظريته في المثل . - الخواص - أو الكيف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة - ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . - الكيف المشترك - لاحظ فيلوبون انه يوجد هاهنا رواية أخرى وان في بعض النسخ الخطية تحريفا في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على « المثل » بدل « الكيف المشترك » . وقد حاول فيلوبون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الأفضل . و « الكيف المشترك » هاهنا يجب أن يصرف الى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . - في غير هذا الموضع - على رأى فيلوبون في الكتاب الرابع من الطبيعة ، ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى ، بل يوجد في الكتاب الاول منها شيء من هذا القبيل ر . ب ٥ ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا - تغيرا من هذا القبيل - يعنى يمر من القوة الى الفصل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كونا لا نموا . فإن الشيء يولد لا انه ينمو . - أولا - أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . - واقعية العظم - يعنى الذي يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعي للشيء . - أولى به أن يكون كونا - تكرير لما قيل آنفا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد أن أثبتنا ماذا يعنى بنمو أو نقص . فى شئ ينمو يظهر إذا أن جميع الاجزاء بلا استثناء تنمو . كما انه فى النقص جميع اجزاء الشئ يظهر أنها تصير أكثر وأكثر صغيرة . وفوق ذلك فإن النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئا ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئا يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة الا بشئ مالا جسمانى أو جسمانى فإذا كان باللاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلا للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفا . وإذا كان بشئ ما جسمانى حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضا محال .

§ ٩ - بل لا يمكن أن يقال ان نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولهما بالطريقة عينها التى يأتى الهواء من الماء مثلا مادامت حينئذ كتلة الهواء

§ ٨ - فالأفضل حينئذ - يظهر ان المناقشة كانت الى الآن من الجد بحيث لا محل لاعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . - بعد أن أثبتنا ماذا يعنى - النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة التى أعطيها تستند الى شرح فيلوبون . - يظهر اذا - سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقى للفقرة السابقة . - الجزء المشترك - ر . ما سبق فى الفقرة السابقة وما سبيل فى الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا ان يدل الا على اليهودى مجردة عن كل صورة ومشترك بالنتيجة لجميع الاجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضا يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فقرأ « الخلو » بدلا من « الجزء المشترك » وقد عولت على هذه العبارة الاخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون ان يؤول العبارتين كليهما مع ان الاصل الذى تحت نظره يظهر انه يوجد فيها لفظ « الخلو » لا « الجزء المشترك » . - كما قيل آنفا - فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته - جسمين فى حيز واحد بعينه - مبدأ قرره ارسطو مرارا فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الاجسام للمداخلة .

§ ٩ - التى بها يأتى الهواء من الماء - يعنى متى أخذ الماء لاي سبب ما ان يتغير ويتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . - كتلة الهواء - المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لم أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . - لجسم جديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لقضاء . - لأن الماء مفروض ضد الهواء . - لهذا الذى هو مشترك هذا يؤيد ترجمتنا للجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . - هذا الجزء المشترك - زدت قليلا على عبارة النص ايضا لها . - فلا الماء نما - لانه فى الواقع قد باد لينقلب الى هواء .

- يلزم أن يكون هناك جسم - وهو اذا « الجزء المشترك » أى الهوىولى
ليست مع ذلك جسما فعليا .

قد صارت أعظم مقدارا . اذا ليس في هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون الجسم جديد فيه تغير الجسم الاول وهذا هو قساد لضده . وليس ذلك نموا لا لأحدهما ولا للآخر . ولكن اما أن ليس هذا نموا لشيء واما انه نمو لهذا الذي هو مشترك بين الشيتين الذي كان والذي فسد على السواء وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما وفقط أحدهما باد وانعدم في حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم ما دام انه وجد نمو .

§ ١٠ - ولكن هناك أيضا مجال جديد لانه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التي بدونها لا يمكن ادراك الجسم الذي ينمو أو الذي ينقص وهي ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر في عظم ينمو ، مثالا اذا كان من اللحم فإن جزءا ما من اللحم ينمو . وان شرط الثاني هو أن انمو يحصل بانضمام ما الى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أن الشيء ينمو وأن يبقى معا ، وفي الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقا فهو لا يبقى البتة . ولكن حين يعاني استحالة أو نموا أو نقصا فإن هذا الشيء مع أنه ينمو أو يستحيل يمكث ويبقى هو بعينه . فها هنا انما هو كيف الشيء وحده هو الذي لا يبقى بعد هو هو . وهناك انما هو العظم نفسه الذي لا يبقى هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فإن الشيء النامي يمكن اذا ان ينمو بدون أن شيئا يأتي وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء يبقى كما انه قد يمكن أن يقضى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن الشيء النامي يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط مادام انه افتراض أن النمو هو في الواقع كما قد ذكر .

§ ١١ - وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو ؟

§ ١٠ - مجال جديد - أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه آنفا على محالات أخرى . - عقلا - عبارة النص بالضبط هي : « بالعقل في نظر العقل » . - الشروط الضرورية - عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . - الجسم الذي ينمو - عبارة النص أدخل في باب غلم التعيين لانه يقول : « هذا الذي ينمو » . وهي ثلاثة - وهذه الثلاثة الشروط هي حقيقة جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا . - وأن يبقى - يعني أن يبقى هو ما هو كما كان من قبل الا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تصغر . - يكون أو يبيد - تلك هي حركة الكون والفساد أعني المرور من اللاوجود الى الوجود أو من الوجود الى اللاوجود . - يمكث ويبقى - ليس في النص الا كلمة واحدة - حفظ هذه الشروط - التكرير ليس في النص على هذا القدر من التمام .

§ ١١ - ما هو بالضبط هذا الذي ينمو - يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وانه هو الجسم عنه الذي ينمو بتخلله هذا الذي يأتي وينضم اليه . - في جسم انسيبان -

هل هو الجسم الذى يأتى وينضم شيء ؟ مثلاً متى فعل سبب بعينه
نمو الفخذ فى جسم انسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أسمن ؟
ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضاً ؟ وفى الواقع
لماذا أن الاثنين لا ينموان معا ؟ لأن هذا الذى ينمو وهذا الذى ينمى يكونان
أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والنبيد فإن كمية كليهما تصير أعظم على
السواء . اليس يمكن أن يقال أن هذا يرجع الى أن الجوهر فى حالة يمكث
ويبقى فى حين أنه فى الحالة الأخرى الجوهر ، وهو هاهنا ، جوهر الغذاء
يبيد ؟ وها هنا أيضاً إنما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج
كما هى الحال حين يقال على المزيج انه من النبيد لأن المزيج كله يفعل فعل
النبيد لا فعل الماء .

١٢ - والأمور كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة فإذا ، مثلاً ، بقى
اللحم ومكث دائماً ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل

= انحلت هذه الكلمات . - لا ينمو هو أيضاً - قد يمكن : لا يعطى هذا الجزء من القضية
صورة الاستفهام فيقال : ، فى حين أن هذا الذى يسمن : الفخذ لا ينمو - . يكونان
أعظم - العبارة مبهمه لأن المزيج من : الاثنين هو فى الحق أكبر من كليهما على حدة . ولكن
كليهما على حدة لم يكبر إلا أن يكون المقصود هو ذلك المعنى الملتصق فى المثال الآتى - كمية
كليهما - هذا ليس صحيحاً فإن كمية النبيد وكمية الماء تقبلان كملاً كلتاهما . ولكن مزيجهما
وحده هو الأعظم فإذا قيل انه يوجد من الماء أكثر أو من النبيد أكثر فليس ذلك إلا
تجاوزاً فى اللفظ . - العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج - وهذا أيضاً ليس
من الصحة بكان إذ لا يقال للمزيج انه من الماء أو من النبيد بل يقال انه ماء محض .

§ ١٢ - والأمور كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة - يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة
توجد أيضاً الشروط بعينها كما فى ظاهرة النمو . - بالبساطة قد استحال - هذا هو
المعنى الحق للاستحالة . فإن الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه . - فى
جوهره الخاص الذى لم يستحل - هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية . وليست
أيضاً فى شرح فيلوبون . ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه لى ترجمتى
هذه . - هذا الذى يحل - أو بعبارة أخرى أكثر ضابطاً « علة الاستحالة » . - شأنه
كشأن مبدأ الحركة - الذى يفعل أن الشيء ينمو ويدبل . - فى الشيء النامى وفى الشيء
المستحيل - هذا تطابق أيضاً بين النمو وبين الاستحالة . - المبدأ المحرك - هنا
للكركة وهناك للاستحالة . ولم يقبل الشراح الاغريق هذه النظرية بتمامها فعل رأى
فيلوبون أن الاسكندر الاثروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائماً
فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو . وهذا المبدأ هو غالباً فى الجسم العريب الذى
يجلب للأخر النمو أو الاستحالة . - يصير فيه هواء - هذا موجز أكثر مما يلزم ولا
يزال غامضاً . وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلاً يتصلبد وقتاً دام
انه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . - وهو يعانى هذا التغير -
ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك . -
والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد - فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير ، الذى يعالیه .

فالحجم حينئذ باليساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذى يحيل الشيء
أما أنه لا يعانى شيئا هو نفسه فى جوهره الخاص الذى لم يستحل واما
أحيانا أنه يستحيل هو أيضا • ولكن هذا الذى يحيل شأنه كشأن مبدأ
الحركة هو فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل لانه فيهما يوجد المبدأ
المحرك • وقد يمكن أيضا أن هذا الذى يدخل فى الجسم يصير فيه أعظم
كالجسم الذى يقبأه ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذى
يدخل يصير فيه هواء • ولكنه وهو يعانى هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك
لا يكون فيه بعد •

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يازم محاولة
استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

ان النمو ليس ممكنا الا بأن يمتك الجسم النامى ويبقى وانه لا شيء
يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا
يخرج منه • وانه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم
انماهى أو الناقص تصير أكبر أو اصغر • وأن الجسم ليس خلوا وان
جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه وأخيرا أن الجسم
الذى يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو بالللاجسمانى •

§ ١٤ - ونصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادية بده ان الاجسام

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات - يرى فيلوبون أن أرسطو
لم يبسط الى الآن الا الآراء العامة فى علل النمو والذبول وانه يشرع منذ الآن فى بسط
مذهبه الخاص • استكشاف حل هذه النظرية على ما يفهمها أرسطو • بالشروط
الآتية - ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة • ومع ذلك فان هذه الشروط
قد سبق عنها ألفا ف ١٠ • محسوسة - معنى مادية • وقد ألح فيلوبون فى أهمية
هذه الكلمة التى بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى • ان الجسم ليس خلوا - لا يظهر أن
هنا روايات أخرى كما كان فيما سبق فى الفقرة السابقة • ان جسمين لا يسكن
البتة • يشغلا حيزا واحدا بعينه - ذلك ما نسميه الآن عدم مداخله الاجسام • -
باللاجسمانى - قد حافظت على عموم اللفظ الاغريقى وهو مفهوم •

§ ١٤ - الاجسام ذوات الاجزاء غير المتشابهة - يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه
واليد • الخ • التى تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التى هى اجسام متشابهة الاجزاء
لا انها تنمو بأن وجعها او يدا تاتى فتقسم اليها ر • ما يلى ف ١٥ • ر لأن الاولى
ليست الا مركبة من الثانية - معلوم أن هذا هو مذهب أنكساغوراس فى « متشابهات
الاجزاء » ويمكن الاطلاع أيضا على اول « تاريخ الحيوانات » • فان الاجسام المتجانسة
الاجزاء هى التى فيها الاجزاء دائما هى بعينها والتى هى متشابهة للكل • على ذلك
جزيفة من الدم هى دائما دم • وجزء من العظم هو عظم دائما • ولكن جزء اليد ليس
يدا وجزء الوجه ليس وجها • لذلك ترى لماذا ان هذه الاجسام مكونة من اجزاء غير
متجانسة • - بمعنى مزدوج سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعنى بها على السواء أن
المادة هى التى تنمو او انها الصورة فقط • - نوعها وصورتها - ليس فى النص : لا =

ذوات الاجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لانه انما هي الاجسام ذوات
الاجزاء المتشابهة هي التي تنمو لان الاولى ليست الا مركبة من الثانية
ويلزم بعد هذا التنبيه الى انه متى ذكر اللحم والعظم ولى جزء آخر
مشابه لهما من الاجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي
الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي لها نوعها ولها صورتها
فى المادة ، لان المادة والصورة هما مسميان على السواء لحما وعظما .
فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتى
وينضم اليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنة ليس كذلك
باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء
بمقياس يبقى هو بعينه فان الماء الذى يجىء بعد هو آخر ودائما آخر .
كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما
اتفق . ولكن الجزء الفلانى يسيل والجزء الفلانى ينضم . فليس يوجد
ضم ولا يحصل الضم الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

١٥ - ولكن بالنسبة للاجسام المركبة من اجزاء غير متشابهة مثلا
بالنسبة لليد فمن الاشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لانه فى هلم
الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة
للحم وبالنسبة للاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى
على ميت يظهر أنه لا يزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن
يميز فيه اليد والزراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال ان كل جزء كيفما

= كلمة واحدة . - المادة والصورة هما مسميان على السواء - يظهر ان المادة اول هذه
التسمية من الصورة . - باعتبار الصورة - فى الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن
يلزم ايضا ان المادة تنمو . - باعتبار المادة - هذا يظهر عليه اثر الذقة أكثر من اثر
الصحة . - بمقياس يبقى هو بعينه - فان الماء الذى يس على التماثل من هذا المقياس
يمكن أن يختلف ولكن صورة المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسر
اختياره لان المقياس لا يمكن أن ينمو القول وأردت بهذا ايضا التوضيح . - المسمان الذى
يجىء - عبارة للنس « الذى يجىء » فقط . فأردت تخير الفكرة برقع بعض الشيء من
عصم العبارة . - تنمو مادة اللحم - يظهر أن هذا يتناقض ما أثبت سابقا وهو أن
النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . - لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما
اتفق - على رغم ما يعتقد العامة . - الجزء الفلانى يسيل - والواقع ان الاجسام الحية
هى فى سبيل دائم للجزئيات التى تفقد منها وللمعاصر الجديدة التى تلبثها تلك القطع .
- لا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل - وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة »
لان تعبير للنس مختلف ايضا .

١٥ - المركبة من اجزاء غير متشابهة - المثل المعطى فى النص كمال فى البيان
فان اليد لا تتكون من ايد كما يتكون الدم من الجزئيات النوعية . - بحالة متناسبة -
هذا ليس من الضبط على الغاية . - مادة النوع - أو مادة « الصورة » مادة اليد =

اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن ان يقال ان كل جزء ينمو .
فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب
المادة . ومع ذلك فان الكل صار أعظم لان شيئاً جاء وانضم اليه . وهذا
الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن
يتغير في النوع بعينه كمثله ما يأتي الرطب ينضم الى اليابس وبانضمامه
اليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابسا . وفي الواقع يمكن معا أن الشبيه
ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ - وقد يمكن ايضا ان يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء.

- متضاعفة التركيب . جلد أوتار ودم وعظم وأربعة دغضلات الخ - فهي أسهل تميزا .
- ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - اليد والذراع - (عبارة مشابهة لهذه
في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لان اليد والذراع هما عضوا
معل فتمت تعطلا عن العمل فكانهما غير موجودين . - ولكن لا بحسب المادة - بنفس
السبب الذي ذكر فيما سبق في آخر الفقرة ١٤ . - الكل - مركب معا من صورة
ومادة . - الضد - هذا التعبير ليس واضحا جدا . والاولى أن تنمو الاجسام بالمشابهة
كما سيحيى . - يأتي الرطب ينضم الى اليابس - مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح
جاف ويتبخر عليه . - أن الشبيه ينمو بالشبيه - تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة
القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلا . ومع أن الاجسام في الحق تنمو بتشبه العناصر
الجديدة فان هذا الايضاح ليس كافيا لتعبير ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ - الشيء - تعبير النص هو أيضا أقل تعيينا من ذلك . وان ما ينمو
الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتمثل في الجسم وينقلب الى جوهره .
- هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - الجسم بالقوة -
يعنى بعبارة أخرى انه يمكن ان يصير الجسم بتمثله فيه . - اذا كان اللحم هو الذي
ينمو - كالاغذية التي نأخذها فتنحول الى دم ولحم لتكوين حياتنا وانما جسمنا . -
بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . - أن يقصد - أو « يفنى » .
كذلك الحيز الذي نعلمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن يعد
أحدهما ولا الآخر - يحصل كون - أو « تولد » - في ذلك الشيء - هذه هي عبارة
الاصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لانه لا يمكن أن يقال أن اللحم هو في الحيز ولو
أن الحيز بعملية الهضم يتغير جوهريا ويصير دما . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » .
- بهذا العنصر الجديد - عبارة للنص ليست على هذا القدر من الصراحة . - أعاني
اختلاطا - اضطررت هنا الى ان ازيد النص بيانا . - يمكن ان يبقى نبذا - ذلك
ممكن في الواقع اذا كانت كمية الماء المصوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تفسيراً
محسوساً . - أم - كلمة النص « و » . - كما أن النار تحرق - المقارنة غاية في
الصحة على أكثر مما كان يعتقده أرسطو . ان الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في
تمثيل الاغذية نوعاً من الاحتراق فان القوى الحيوية هي نوع من النار يحول الاغذية التي
تدخل في أجسامنا . - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الجوهر
الباطن الذي له قوة الانماء - عبارة النص مبهمة جدا وقد اضطررت الى زيادة ضبطها
في الترجمة - بالفعل وبالكمال - هنا أيضا ليس في النص الا كلمة واحدة . =

الذى يحدث النمو . واضح ان هذا العنصر الجديد يجب ان يكون الجسم بالقوة . مثلا اذا كان اللحم هو الذى ينمى يجب ان يكون لحما بالقوة مع انه بالفعل وبالكمال شئ آخر . وهذا الشئ الآخر وجب أن يفسد ليصير لحما . على ذلك حينئذ ليس هو فى ذاته ما يصير اليه . لانه اذا يتخصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشئ الذى ينمو هو بالضبط فى ذلك الثمن فماذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى انه نما هكذا ؟ اعانى اختلاطا كما يصب الماء فى النبيذ بحيث أن المزيج كله يمكن ان يبقى نبيذا ؟ ام كما ان النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الامر فى الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذى له قوة الانماء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقترب منه ؟ يلزم اذا ان يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقتربا به فى الوجود لانه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن ايجاد نار من النار الموجودة من قبل بالقاء الحشيش فوقها ؛ وهذا بهذه الطريقة ليس الا نموا فى حين انه متى كان الحشيش نفسه يحترق فهاهنا كون حقيقى .

g ١٧ - لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هاهنا الا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لا هو انسان ولا أى حيوان خاص . وبالفعل الحال هاهنا بالنسبة الى الكم كالحال هنالك بالنسبة الى الكلى . فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الاعصاب والاجزاء المتشابهة من هذه الاعضاء

= هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - مع الآخر ومقتربا به - قد زدت على الاصل بل فصلت الجملة لان النص هنا غاية فى الاجاز . ولكنى لا ارى المعنى جليا تماما . فان « المسح والاقتران » قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الاخير يكون مجرد تمثل - كون حقيقى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - من النار الموجودة من قبل . - ليس النص على هذا القدر من التوسع . - متى كان الحشيش نفسه يحترق - ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لان الحشيش لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار . - فها هنا كون حقيقى - زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة . فان هذا الكون انما هو كون ظاهرة جديدة .

g ١٨ - مأخوذا على معناه الكلى - عبارة النص أقل تميينا . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية ما - الحيوان - على طريق العموم لا الخصوص . فان الحيوان بوصف انه مفهوم كلى لا يوجد ولكن الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاص او ذاك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . - الى الكم - بالمعنى الكلى . - الى الكلى - بمعنى « المثال » . فان الكم مفهوما على المعنى الكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . - الاجزاء المتشابهة - أى الاجزاء المنصيرية التى لا تفرق بعضها عن بعض والتى هى جميعا متشابهة . - كمية ما من مادة - كل هذه التمايز يمكن ان تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم الا يدعى من صعوبة وصفها وتقديرها - كمية مقدرة - أضفت هذه =

تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فتتضمن إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الجديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لانه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم انه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذى يعيشه ويمكنه بل الزمن الذى يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . فى الحق أن التغذية هي مماثلة للنمو وتشبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذى يأتي فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء .

§ ١٨ - وهذه الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو فى المادة كقوة لا مادية . ولكن اذا تجيء فتتضمن الى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة

= الكلمة الأخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الاغذية التى نغذى بها نجد فى الحق أن الحيز هو كمية تأتي فتضاف الى لحمنا . ولكن فى الحق أيضا انه لم يكن بعد من اللحم تماما العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - الواحد والآخر بالقوة - معنى أخذنا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا او بمباراة أخرى يلزم ان العنصر الجديد يمكن ان يصير معا لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها الى الجسم يمكنها ان تعطيه النمو الذى يأخذه . - العنصر المضاف - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - يمكنه تغذية الجسم - عبارة النص هي «انه يغذى» - عقلا وربما «بحديهما» . - الذى يفناه - ويمكن ترجمته أيضا هكذا : «بل الى أن يفسد» . - فى الحق - ضللت هاتين الكلمتين . - ولكن كونهما مختلف - تمييز معروف وغالب الاستعمال فى مذهب ارسطو . - على ذلك حينئذ - تلخيص للنظرية السابقة التى يظهر انها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .

§ ١٨ - هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض . ومن المحتمل ان النص فيها محسوف فيما يظهر . على انه وارد فى النسخة التى شرحها فيلوبون فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وانه لم يجد فيها صعوبة ما غير ان شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضها . - بلا مادة . . . فى المادة . . . لا مادية - كل هذه التكاثر موجودة فى الاصل . - الكم . . . هذه النقاط التى وضعتها هنا تقليدا لبعض الناشرين من شأنها ان تدل على احتمال وجود يياض فى الاصل ولكن الواقع انه ليس لدينا الا مجرد ظن لم يقم عليه دليل ما . - فهذه الاجسام اللامادية - فى النص استسم اشاراة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشئ مذكور ويثير فى النفس الظن بوجود النص الذى أشرت اليه . وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر فى علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الاخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فعلى رأيهم ان القصة هنا هو التمثيل بالرمز حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما فى كل آلة اخرى . وهذا الغرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن تصحيحها . -

مع أن لها أيضا بالقوة الكم . . . ، فهذه الأجسام اللامادية ستكون إذا أعظم . ولكن إذا كانت هذه المادة المضافة تصل إلى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا وإذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل إلى أن يصيره أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يحيله أخيرا تماما إلى ماء فحينئذ يمكنه أن يجر إلى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا .

= هذه المادة المضافة - عبارة النص غاية في علم التعمين وقد ظننت أن من الواجب أن يكون أكثر تعميما وضبطا في الترجمة . - تكون شيئا - هاهنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لأنني خفت أن أحرقها إذا حاولت أن أجعلها أقل عموما . - لأن لا تكون شيئا تفيد من غير شك أن المادة المضافة لن يمكنها أن تتمثل في جوهر الجسم الذي تضاف إليه . - فساد الكمية - يظهر أن الأولى أن يقال «فساد الكمية» ولكن ليس هنا رواية أخرى . - الصورة والنوع - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يبقيان كما كانا - يظهر على عكس ذلك قسما لنفس المثل الذي أورده المصنف أن الصورة والنوع يفتيان ما دام اللبذ يتقلب تهائيا إلى ماء بإضافة السوائل الذي صب فيه .

الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - دى ديوجين الابلوني -
لأجل ادراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماهيها -
المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به
ضرورية إلى مس الشيء الذى يحركه - الشيء المتحرك يمكن ألا يمس شيئا هو أيضا في
ذويته - آخر نظرية التماس .

§ ١ - لما أنه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادية
بدء ما إذا هى تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزليا أو إذا كانت
مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكاثر
بطريقة واحدة أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من
الضرورى أن تعين جيدا بادية الامر الاشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه
الساعة الا بطريقة جد مبهمه وغير كافية جدا .

§ ٢ - وفى الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم
كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التى تنتج عنها يقتصرون فى ايضاح كل
شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع
ليس الا اختلاطا ولم يحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط
الاجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة
ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لان أولئك السذجن
يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين
العناصر بعضها والبعض الآخر .

§ ١ - لما أنه يلزم - قد حافظت على اسلوب الجملة فى النص الاغريقى كما هى مع
انها طويلة فى الترجمة فيما يظهر . - إذا كانت مخلوقة - أو «تكون» . - التى لم يتكلم
عنها - يحتمل ان يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفتين اسلافهوان ارسطو لم يقصد الكلام
عن نظرياته الخاصة . - جد مبهمه وغير كافية جدا - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - يقبلون الخلق - عبارة النص هى « الذين يخلقون » الذين يولدون ، الذين
يكونون .

يقتصرون فى ايضاح كل شيء - ليس النص صريحا بهذا القدر . - على الانفعالية لكيلا
أقول «الانفعال» . - ليس الا اختلاطا - ربما لا يكون المعنى محكما . - لم يحد لنا جليا - عبارة
النص اشد ابهاما قليلا . - بدون موضوع يفعل وينفعل - هذا الموضوع هو ذلك الذى من
غير أن ينقطع كونه يمكنه على التوافق أن يقبل الاضداد كما سيجى بيانه فى الفقرة الثالثة .

§ ٣ - ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق اذ يقرر انه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وان الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير احدها في الاخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغيير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الاجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الاشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فان هذا لا يلاحظ في الواقع الا في الاجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن اذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضا دراسة ماهو التماس بين الاشياء . ان الاشياء لا يمكنها حقيقة الفعل والانفعال احدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . واذا لم تكن قد تلامست سابقاً بأي وجه ما فلا يمكنها أبداً أن تختلط احدها بالآخر . فيلزم اذا اولا حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل .

§ ٥ - فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الاشياء

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطررت كما فعل المصنف الى أن اكرر الكلمة عنها التي استعملت آنفاً . - ديوجين - على تقدير الابلوني . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة ضير جمع فالتزمت زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه . - تحمل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لأن أسلوبه النص يسمح بإضافتها . - الموضوع - يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقائه يمكن أن تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسيع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها أن يفعل بعضها في بعض وربما يمكن ترجمة العبارة هكذا : « في الاشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر » .

§ ٤ - بجلاء أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تتم الفكرة . - بين الاشياء . - أضفت هاتين الكلمتين .
- هذه الظواهر الثلاث - قد يمكن ترجمتها هكذا : « هذه الكلمات الثلاث » فان عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ - بالمعنى الخاص - معنى هذا في شرح فيلوبون أن المقصود منها هو التماس المادى المحض وقد يقال ان نية تمس الذي وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنى محض =

التي فيها الاختلاط يلزم مطلقا انها يمكنها أن تتلامس بينها . وإذا كان الواحد يفعل والآخر يتفعل بالمعنى الخاص فيلزم أيضا أن يكون هذا التماس ممكنا . هذا هو سببنا في الكلام بادىء بدء على التماس .

§ ٦ - لكن كما أن أكثر الكلمات الاخرى هي مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الاطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس . ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق الا على الاشياء التي لها وضع ولا وضع الا للأشياء التي لها مكان لانه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الاشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما . وحينئذ إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال أن هذه الاشياء تتلامس على التي ، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة ، نهاياتها مجتمعة معا .

§ ٧ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالاشياء التي لها أيضا أين وكان انفصل الاول للابن هو الفوق والتحت مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الاشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة

= وليس هذا هو المعنى الذى يقصده ارسطو من التماس : أو التماس اذ يطبقه على الاشياء . ما سيحى ١٠ - أن يكون هذا التماس ممكنا - عبارة النص بالبساطة هي : وبالنسبة لهذه الاشياء يلزم ان يكون الامر كذلك ، فأنزلت زيادة البيان .

§ ٦ - تارة بطريق لتواطؤ - ر . اول المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٣ من ترجمتى - بالاشتقاق هذا هو ما يسمى بالمشقة استمائها ر . المقولات ب ١ ف ١ ص ٥٤ - سابقة عليها - يعنى أبسط وأعم وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان . فان أصل الكلمة متقدم على المشتق الذى يخرج منه - وهذا التنوع في الاطلاق اللفظي - ليس الاصل صريحا هكذا كما يعنى الرياضيون - كان حق هذا ان يوضح وكان يلزم ان يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان - المكان والتماس - اضيفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى أكانا منفصلين عن الاشياء - يرى فيلوبون . أن هذا كان مذهب فيثاغورث الذى الخلفه افلاطون منهبا له اذا صيدقت الانتقادات التى وجهها ارسطو الى نظرية أثل - أم كاتا يوجدان بأى وجه ما - مثلا في الاشياء التى لا تكون منفصلة عنها جوهريا - كما بين سابقا ر . الطبيعة ك ٥ ب ٤ ف ١٤ و ١٤ ص ٣٠٠ و ٣٠٤ من ترجمتنا - ان تجتمع النهايات - عبارة النص هي : «معها» وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان . به نهايتها مجتمعة معا - الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق .

§ ٧ - الفصل الاول - يعنى الفصل الاظهر والذي يقرع الخواص بادىء الامر . ر . الطبيعة ك ٥ ب ٣ ف ٨ ص ١١٤ من ترجمتنا - مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل - يعنى البين واليسار والامام والخلف الخ - ينتج منه - هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات ارسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعى الخفة والحركة الى التحت تستدعى الثقل فالجسم لا يمكن ان يكون له مكان الا اذا كان ثقيل او خفيفا - او هاتان الخاصتان =

أو هاتان الخاصيتان معا أو على الأقل إحدى الإثنتين . وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فبسنين إذا بذاته أنه يجب اعتقنا أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وإنها بما هي أعظم من مفصلة ومتمايزة فنهياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر . ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وإن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه هو نفسه غير متحرك فعن البين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء أن الذي يحرك يفعل وأن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ - ومع ذلك يوجد هنا فصل ما : فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين .

= مما - هذا غير مفهوم إلا على طريق المقارنة ، فإن جسما هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر . - إحدى الإثنتين - على هذا في نظريات أرسطو إن الأرض ليس لها إلا الثقل ولها ليس لها إلا الخفة . وأما الهواء والماء فلها في آن واحد الخفة والثقل فيما لمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان . - طرفا لطرف - عبارة النص هي «مما» كما سبق . - أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك - عبارة النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . - مع بقائه هو نفسه غير متحرك . - كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة ٨٧ب و ٥٧٧ ص وما بعدها من ترجعتنا . - أيضا ما بعد الطبيعة ٧٧ب و ٢٠٢ ص ترجمة كوزان . - هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل - ليس النص خريحا بهذا القدر . - وإن الذي يفعل يحرك - هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم إلا إذا أدركت أنواع الحركة الثلاثة التي قررهما أرسطو وهي الثقل والاستحالة والنمو . وبين أنه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فإن أرسطو في الفقرة التالية قد عين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ - التمييز - وأيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الإغريقي في قوله : بالمقابلة - ألمعتي هاهنا ليس واضحا جدا . وماكه أكثر تفصيلا وبياناً : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانفعال . - كما سترى . - فإن جسم لا يتفعل - عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا . - تأثرا أو شهوة - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - مجرد استحالة - يعني بدون أن يكون هناك ثقل ولا وزن في العظم بالزيادة أو بالنقص . - في حالة ما يصير حارا - النص أقل صراحة . - فإن الجسم يكون في مجرد استحالة متى صار حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . - له من السمة أكثر - فإن الحركة يمكن أن تكون بالثقل أو بالاستحالة أو النمو وأما الفعل فلا ينطبق إلا على الاستحالة وحدها . - وحيث من البين - هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم .

ما يفعل فان جسما لا يفعل الا في الاحوال التي فيها تكون الحركة
تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة الا في حالة ما يكون بالجسم مجرد
استتالة ، مثلا في حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى
التحرك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل . وحينئذ من البين أن
المحركات أحيانا يجب أن تلامس الأشياء التي تحركها وأحيانا لا تلامسها .

§ ٩ - حد التماس مأخوذا على أعم معناه ينطبق على الاجسام التي
لها وضع بما أن أحد الجسمين في التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر
يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبتة إلا نسبتة
الفعل والانفعال .

§ ١٠ - في الاحوال الأكثر عادية الشيء الذي لمس يلمس الشيء
الذي لمسه لان كل الأشياء تقريبا التي يمكننا مشاهدتها هي واقعة في
الحركة قبل أن تحرك أيضا في دورها . وفي كل الاحوال يظهر أن هناك
ضرورة الى أن الشيء الذي لمس يلمس الشيء الذي لمسه . ولكننا نقول
انه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشيء الذي يعطيه

§ ٩ - مأخوذا على اعم معناه - وفي الوقت عينه على معناه الاخص - ينطبق على
الاجسام التي لها وضع - وما سبق ف٦ - أحد الجسمين في التماس - النص ليس
صريحا هكذا - الانسبة الفعل والانفعال - عبارة النص هي : في الأشياء التي بينها فعل
وانفعال .

§ ١٠ في الاحوال الأكثر عادية - يظهر ان كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوما
بما تقدم . - التي يمكننا مشاهدتها - أو التي هي أمثلة - قبل أن تحرك أيضا في دورها -
ليس : النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه . - لا يلمس الآخر هذا ممكن معنويا
كما يشعشع الوارد في آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل .
ومن المحال ان شيئا يلمس آخر من غير ان يلمسه هذا الآخر . وإن الفعل قد يأتي من
جهة واحدة دون ان يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائما متكافئ . وإن
محل المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لان اتصال الحركة يمكن ان يقع على مسافة ومن غير
تماس حقيقى الاجسام المتجانسة - هذا التعبير مبهم قليلا . وقد فسره فيلوبون بأن فهم
أن المقصود هو الاجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لانها بذلك تستطيع أن ترد الفعل
الذي تقبله ر . ما سنأتى في الباب السابع ف٥ - فيما يظهر - ربما كان الواجب ان
يكون التعبير أكثر تأكيداً . - فيلزم ان يمس - ان نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت
باسهت في الطبيعة ك٨ وفي ما بعد الطبيعة ك١٢ ب٨ . فان المحرك غير المتحرك يعنى الله
ينقل الحركة التي يخلقها بطريقة مغايرة لما تنتقل به الحركة للأشياء التي تتركها مشاهدتنا
في هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أنا الله يمس الكائنات كما تلمس الكائنات بعضها
بعضا . - يمسنا - هذا التعبير الذي اضطررت الى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما
في لغتنا وإن كان أكثر مناسبة في اللغة الاغريقية ١٠ ولكنه ليس الا على طريق المجاز لأن
هذا المس المعنوى لا دخل له في التماس المادى الذي هو موضوع البحث في هذا الباب كله .

الحركة ، وإن الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذي يلمسه . ولما أن
الاجسام المتجانسة لا تحرك إلا متى حركت هي أنفسها فيلزم فيما يظهر
أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا . وبالنتيجة إذا كان محرك ما ، مع
كونه هو نفسه غير متحرك ، يوتى الحركة ، فيلزم أن يمس الشيء الذي
يحركه دورا أن يمس هو نفسه شيء . وعلى ذلك في الواقع نقول أحيانا
على الشخص الذي يؤذينا أنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغي أن نقول على التماس معتبرا في الأشياء
الطبيعية .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغي أن نقول - يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التي
ذكرت ولكن باختصار في الطبيعة له به ف١٣ وكأب١٢ فان المذهب في الموضعين واحد .
- في الأشياء الطبيعية - لافي الأشياء المجردة والرياضية .

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد فهم هذا الموضوع
سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من التشبيه - العلاقة الضرورية بين
الفاعل والمنفعل - التشبيه والفرق بينهما - توفيق رأيين متعارضين في تمييز لفظي التشابه
بين الحركة وبين ظاهرتي الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل
الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - تعقبنا لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يعنى بفعل وانفعال .
ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها في هذا
الموضوع . ومع ذلك فإنهم متفقون باجماع على أن التشبيه لا يمكن أن يقبل
شيئا من التشبيه لان الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من
الآخر . وان الاشباه لها كيفياتها متماثلة مطلقا . ثم يزداد أن الاجسام
غير المتشابهة والاجسام المختلفة انما هي التي لها فعل وانفعال على طريق
التكافؤ بعضها في بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم
فلاسفتنا أن النار التي هي أقل انفعلت في الواقع بمقتضى مقابلة الاضداد
بما أن كثيرا هو ضد لقليل .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد ، خلافا لجميع الآخرين ، الذى قدم

§ ١ - بفعل وانفعال - لم يمكن ان اجعل في لغتنا عبارات تجعل كلمات النص اكثر
وضوحا . وقد يمكن ان يترجم ايضا هكذا : «ان يكون فاعلا وقابلا» . يفعل وينفعل هما
المقولاتان الاخيرتان للمقولات العشر . المقولات بـ ٢ و ٣ من ترجمتنا . - تلقينا من
الفلاسفة السابقين لنا - يلاحظ فيلوبون ان ارسطو يبقى على عهد طريقته العادية من بسط
النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . - ان التشبيه لا يمكن ان يقبل شيئا من
التشبيه - ذلك هو أحد المبادئ التي قد يوجد منها عدد عظيم في الفلسفة القديمة لا تستند
الى مشاهدات واقية وليست الا نتائج سابقة لاوانها ومنطقية محضة . - غير المتشابهة
والاجسام المختلفة - هذا التكرير هو في النص . - فعل وانفعال . ام انما هي الفاعلة
والقابلة . - بنار اكبر - يظهر انه ليس هنا اختلاف حقيقي . فان النار الاقل هي تماما
جسامة للنار الاقوى من جهة كونها نيرانا فقط احدهما التهمت الاخرى . ولكنه لا ينبغي
التشدد في طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . - بما ان كثيرا هو ضد لقليل - هذا حق
ولكنه لا ينتج منه ان نارا صغيرة تكون ضد نارا كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب ان
يكون ليصير المثل صحيحا وحقيا بالانطباق .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد - يظهر ان ارسطو في جميع مؤلفاته يفضل كثيرا
بديمقريطس ونظرياته وهنا يعطيه الحق على الاقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين .
رايا . خلاصا - كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما افادت ان ديمقريطس
قرر رأيا حيويا من بعض الوجوه ومعارضنا للنظريات السابقة . - من التشابه والمتماثلة -
ليس في النص الا كلمة واحدة .

فى هذا رأيا خاصا . فهو يقرر ان هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هو فى الحقيقة مماثل ومشابه لانه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أياها بعضها من بعض . واذا كان بعض الاشياء ، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رايه ، تقع فيها لا بما هي متخالفة بل بما هي على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة .

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء التى قررت قبلنا . ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم ، والسبب فى اختلافهم فى هذا الصدد هو انه فى مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء الا جزءا واحدا .

§ ٤ - وفى الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغاير مطلقا بأى وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه . لماذا ، فى الحق ، ان أحد الشئيتين يفعل دون الآخر ! فاذا كان ممكنا أن الشئ يقبل بأى طريقة من شبيهه اذا يمكنه أن يقبل ايضا من ذاته . وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شئ فى الدنيا يكون غير قابل

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء - قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشئ. ولكن يجب علينا في هذا الصدد ان نثق بصدق: وسطو الذى ما سعى البتة فى الخط من اقدار اسلافه على رغم التهمة التى اتهمه بها باكون - مجموع الموضوع - ليس النص على هذا القدر من الضبط . ومع ذلك فان الفكرة التى يعبر عنها أوسطو هي عريضة فى الصحة . وذلك يرجع الى القول بان هذه المذاهب على العموم اولى بها ان تكون غير تامة من ان تكون باطلة .

§ ٤ - أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ولكن لما أنه يوجد فيه أداة نفى اردت أن أوليه القوة بالفعلين ولو أن المعنى واحد تقريبا - من قبل شبيهه - معنى ما هو على جهة الإطلاق والتماثل مشابه له - أحد الشئيتين - زدت هاتين الكلمتين . - يفعل او يفعل - يمكنه أن يقبل ايضا من ذاته - يعنى يحتمل فعلا يحدثه هو نفسه فى نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر - مع التسليم بهذا او بمباراة اخرى اذا افترض ان: لشبيهه يفعل فى الشبيه وان شيئا يفعل مباشرة فى نفسه - غير قابل للفناء ولا غير متحرك - قد قرر أرسطو دائما انه يوجد فى الدنيا اشياء غير قابلة للفناء وانها بالاكل المحرك الاول هو غير متحرك . - يمكنه ان يعطى الحركة لنفسه - ليس للنص على هذا الضبط ويمكن ترجمته ايضا هكذا : ولنفسه وان ما هو مغاير له تماما وليس له معه ادنى تماثل يمكنه ان يعطيه لنفسه على السواء . وقد ظهر لى ان المعنى الآخر افضل من جهة النحو - وفى الواقع - لا يظهر ان ارتباط المعانى ههنا واضح - البيضاء الامثلة لا يظهر انها قد احسن اختيارها - من قبل خط - ان بالاولى سطح كما يفسره فيلويون . - بالمرحى والواسطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة - الخط او السطح عفوا من تلقاء انفسها - ربما صحت ترجمتها ايضا بالتبادل .

للفناء ولا غير متحرك اذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطي الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للموجود المغاير تماما والذي ليس له به تماثل ما . وفى الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطأ يفعل بشيء من قبل البياض الا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلا فى حالة ما اذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لان الاشياء لا يمكنها أن تغير طبيعتها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أصدادا بعضها لبعض أو غير آتية من أصداد .

§ ٥ - ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وانهما لا يكونان الا فى الاشياء الاصداد بعضها لبعض أو التى بينها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحددين بجنسهما بالاقبل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما على هذا تريد الطبيعة ان الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الاصداد هى فى جنس واحد ، وان الاصداد تفعل بعضها فى بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر . اذا يلزم ضرورة أن ، من وجه ، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفى الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

§ ٦ - ما دام اذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحددين

§ ٥ - أى جسم اتفق واخذ بالمصادفة - ليس فى النص الا كلمة واحدة - تضاد ما ليس النص على هذه الصراحة . بجنسهما . بنوعهما - هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين . يقبل فعل - أو بمباراة اخرى مماثلة لعبارة النص : ويقبل من الجسم وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الاولى ايضاحه . - مجانسا - او من الجنس بعينه . ما سبق ب٦ف١٠ - اذا يلزم ضرورة - تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ - ما دام اذا . الفاعل والقابل - تكرير آخر مساعد مع ذلك على ايضاح الفكرة أكثر منه على اطالتها . - نسب الاصداد - ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا . - مطلقا - أو على العنوم . - ان النار تسخن - ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كان يقال مثلا : « تسخن الجسم الذى تفعل فيه » . وأن البرد يبرد هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص . - يحيل الى ذاته - صاعنا ايضا العبارة قليلة الطبط و لو أن المعنى صحيح جدا - تحول الشيء الى ضده - النص غاية فى الاجاز فاضطرت الى بسطه . - الذى يفعل يتغير بهذا الذى يفعل - قد يكون فى العبارة بعض التجاوز لان الشيء الذى يسخن لا ينقلب نارا - ملخص الى الضد . - النص يستخدم تعبيرا يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذى حاولت تحصيله فى ترجمتى .

ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وان هذه هي نسب الاضداد
فينتج من هذا جليا أن الاضداد والاوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ
بعضها ازاء البعض الآخر . فان فيها مطلقا يحصل فساد الاشياء وكونها .
لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول
أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله . ما دام ان
هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان ، وان الكون هو على التحقيق
تحول الشيء الى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي ينفل يتغير بهذا
الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفض الى الضد .

٧ - هذا هو الذي يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن
يكرروا صراحة الاقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا الى
استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة انه الموضوع نفسه هو
الذي ينفل متى قلنا ان فلانا يبرأ وانه يندفأ وانه يبرد وانه يعانى
انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا ان البرودة هي التي
نصير ساخنة أو ان المرض هو الذي يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة
صادقة .

§ ٨ - والامر كذلك ايضا فيما يخص الفاعل فاننا نقول احيانا
انه هو فلان الذي يسخن الشيء الفلاني ومرة أيضا ان الحرارة هي التي
تسخن . لانه تارة هي المادة التي تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو
الذي يقبل . على ذلك فانه بنظر الاشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن

§ ٧ - فلاسفتنا - عبارة النص اقل ضبطا - الطبع والحق ليس في النص الاكلمة واحدة
- انه الموضوع - يعنى الموجود الذي له الكيف الممد لان يتغير وكيف مضاد - البرودة
يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا في النص ولانه على هذا التمايز يعتمد في التليل
فكان الاكلم ان يكون التعبير اظهر من هذا . وقد اجاد فيلويون ايضاح هذه الفقرة كلها بولن
انه اطلال في الايضاح . هي التي تصير ساخنة - في هذا التعبير شيء من الغرابة في
النص وفي ترجمتي ايضا - وعلى الوجهين العبارة صادقة - يعنى سواء قصد الى الموضوع
او قصد الى الكيفية نفسها التي تتغير .

§ ٨ - والامر كذلك - يعنى انه يمكن ان يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل
الذين هما متحدان بالجنس ومختلفان بالنوع . فلان الذي يسخن الشيء الفلاني - ليس
النص على هذا القدر من البيان . ان الحرارة هي التي تسخن - من جهة انه هو الموضوع
ومن جهة أخرى انها هي الكيفية أو كما سيجيء بعد في النص من جهة المادة ومن جهة
أخرى الضد . من هذه الجهة - يعنى بالنظر الى المادة التي هي مقولة بالاشتراك على
الفاعل والقابل معا . - من جهة مخالفة - يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التي احدها
تتغير الى الأخرى . ان الامر على الضد من ذلك تماما - ما سبق بيانه في آخر الفقرة
الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين انها لم تعتبر الا جزءا من الموضوع الذي
كان يجب فحصه في مجموعه .

الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شيء من التماثل .
وان الآخرين بنظرهم الاشياء من جهة مخالفة زعموا أن الامر على الضد
من ذلك تماما .

§ ٩ - ولكن التدليل الذى يمكن عمله لا يوضح ما هو يفعل وينفعل
هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك نلفظ المحرك
يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه
أن يكون المحرك ما دام المبدأ هو أول العلل وثانياً إنما هو الحد الاخير
بالإضافة الى الشيء الذى هو محرك والى كون الشيء .

§ ١٠ - وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول
على السواء ان الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النبىذ السذى أمن به
للمريض . وحينئذ لا شيء يمنع من أن المحرك الاول فى الحركة التى
يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى
أن يكونه ولكن الحد الاخير يجب دائماً لاجل أن يحرك أن يكون أولاً قد
حرك هو نفسه .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا الحد الاول ليس متأثراً ولا قابلاً ولكن

§ ٩ - التدليل الذى يمكن عمله - الجملة قلقة بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك
فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناها كما يستوضح معنى
يحرك ويتحرك . لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين - تما لما اذا كان القصد المحرك الاول
والمحرك الابتدائى - أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الاخير والاقرى بالنسبة للمتحرك
أى الشيء المحرك . - الشيء - اخترت التعبير بهذا اللفظ اللفظ المهم مجازة للنص . - يشبه
أن يكون المحرك - أو « يشبه أن يحرك » - المبدأ هو أول العلل - بتعريف كلمتى المبدأ
والعلة يتبدى الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة - الحد الاخير - معنى المحرك
الثانوى الذى هو الاقرب الى المتحرك . - الشيء - زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع
بدله « الظاهرة »

§ ١٠ - الملاحظة نفسها - النص أشد ابهاماً . وبعبارة أخرى « أن لفظ الفاعل يمكن
أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك » - الذى أمن به للمريض - زدت هذه
الكلمات التى تظهر أنها ضرورية لتمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الاول والعلة الاولى للشفاء
والنبىذ الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعلة التبعية للصحة المستردة . - فى
الحركة التى يعطيها - هنا رواية أخرى عديمة الاهمية استجبتها بعض الناصرين ولكنها
لا تساوى الرواية التى أثبتناها فى القيمة . - تكون هناك ضرورة - راجع نظرية المحرك
الاول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الاخير -
« المحرك الاخير »

§ ١١ - وفى الفعل أيضا - كما فى الحركة - الحد الاول - عبارة النص غير محدودة
أصلاً . ويمكن ترجمتها أيضا « العلة الاولى » - ليس متأثراً ولا قابلاً - ليس فى النص
الا كلمة واحدة . - يمكنه أن يفعل - زدت هذه الكلمات . - بادىء به - زدت بها =

يلزم أن الحد الإخيري ، ليتمكن أن يفعل ، ينفعل أيضا هو ذاته بفعل ما بآدى به . كل الأشياء التي ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هي أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثرا ما لانه إما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين انه يفعل . ذلك لانه من جهة الطب هو ما هنا ، بنحو ما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، ينحو آخر ، هو الحد الإخيري الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حينئذ كل الأشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما ، ونقول أيضا ان المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لآى واحد ما من الحدين المتقابلين ونعتبرها انها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير سناخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه . فانظر لماذا أن بين الأشياء التى تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الامر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك فى الواقع المحرك الاولى هو غير متحرك وهنا بين الفواعل انما الفاعل الاول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال .

§ ١٢ - ولكن اذا كان الفاعل علة كما هى حال المحرك متواء بسواء

= أيضا . - التى ليست من مادة واحدة بعينها - هى والأشياء التى تفعل فيها . - لا تقبل أى فعل - عبارة النص « لا تقبل شيئا » . - يقبل ويلقى - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - تأثرا ما - عبارة النص غير محدودة . - يسخن . . . يبرد - فى ظاهرة الهضم التى بها الجهاز الهضمي يتمثل . - كالمبدأ - أو بوجه ما المحرك الاول والميدنى . - هو الحد الأخير - هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - التى ليس لها صورتها فى المادة - يعنى التى هى والقابل التى تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الاسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . - يمكن أن تقبل فعلا ما - فى حين أنها تحدث فعلا فى الشيء الواقع تحت تأثيرها . - من الحدين المتقابلين - أو بعبارة أخرى « بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل » . - جنسهما المشترك - زدت الكلمة الأخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . - الشيء الذى يسخن - عبارة النص غير محددة . - كما قلت آنفا - فى أول الفقرة السابقة . - المحرك الاول - يعنى العلة أيا كانت التى هى أول ما يعين الحركة . وأظن أنه يلزم أن يخص ضمن المحرك الاول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الا حركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بطبهة توابع بعض - هنا - زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . - غير القابل وبمعزل عن كل الفاعل - ليس فى النص الا كلمة واحدة . § ١٢ - الفأية التى من أجلها يحدث كل الباقي - أو : واللم - كما هى عبارة النص . - الصحة ليست فاعلا - لانها الفأية التى ينشئها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك

عمن اين يجرى ان مبدأ الحركة ، اى الغاية التى من اجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فعلا ولا يمكن تسميتها كذلك الا بالمجاز المحض . ومنذ يوجد الفاعل ينتج منه ان القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . ان صور الاشياء وغاياتها يمكن أن يقال انها كيفيات وعادات فى حين أن المادة انما هى التى بما هى مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها فى المادة واذا كانت الحرارة شيئا ما قابلا للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التى تسخن واذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فان ما قلناه آنفا لا يكون صادقا الا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ - وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة فى ايضا ح ماهية فعل وانفعل لنبين بأى الاشياء يتعلق أحدهما والاخر وبأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

الاول . والادوية التى يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التى هى الشفاء والصحة . - القابل الذى يقبل الفعل - ليس النص على هذه الصراحة . - يصير شيئا ما - يعنى . يكسب كيفا جديدا يعطيه اياه الفعل الواقع عليه . - حاصلة تماما وحاضرة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - كل ما يجب أن يكونه - أضحت هذه الكلمات انما للمعنى . - صور - أو « أنواع » . فان صور الاشياء هى طبيعتها الخاص والنهائى . - كيفيات وعادات - فى النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما انها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا للتغير . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة . - قابلة تماما - من حيث انها هى المادة التى تقبل على التعاقب الاضداد التى تتناوب عليها . بالدور . - لها حرارتها فى المادة - التعبير مطلق قليلا على رغم الايضاحات التى تقدمت . - عن مادة النار - أضحت هذه الكلمات تكميلا للمعنى . - أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - عن النار التى تسخن - أضحت هذه الكلمات . - ما قلناه آنفا - أو بعبارة أخرى « هذه الاشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تنفصل لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة فى الطبيعة ك (١) ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ١٣ - وعلى الجملة - النص ليس صريحا هكذا . ولكن هذه الفقرة هى فى الواقع محصل كل ما سبق . وبأى طريقة . . . وكيف - هذا الجزء الخاص من المسألة سيبحث ايضا فى الباب الذى يلى بطريقة أخص وأوسع مما ها هنا .

الباب الثامن

نقض النظرية التي تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجوهر المادية بالمسام -
 رأى الفلاسفة القدماء - استشهاده من أمبيدقل - لوكيبيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق -
 وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية
 لوكيبيس - عرض نظرية أمبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين
 نظرية لوكيبيس - استشهاده من طيمائوس الفلاطون - مقارنة بين الفلاطون ولوكيبيس -
 اعتراضات على نظرية الفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية اللغات - استحالة قبول وجود
 اللغات رفهم من أين جاءت الحركة - الرؤية من خلال الأوساط تصوير غير قابلة للإيضاح -
 خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ - لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال
 ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة
 الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الاثر نهائيا وبطريق الاصعية ينفذ
 في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون أننا كذلك نرى وإنما
 نسمع وإنما ندرك جميع الإدراكات الأخرى للحواس . وفوق ذلك إذا
 أمكن أن ترى الأشياء من خلال الهواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن
 هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك
 شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر
 شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر .

§ ٢ - وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل
 أمبيدقل مثلا . ولكن لم تقصر هذه النظرية على الفعل وعلى الانفعال بل
 زعم أن الاجتماع لا تختلط الا متى كانت متسامها متناسبة المقياس على

§ ب ٨ ف ١ - مرة أخرى - ويمكن أيضا ترجمتها : « من جهة نظر أخرى » .
 - ظاهرتي الفعل والانفعال - ليس النص واضحا هكذا وقد اردت أن أجعله أبين خصوصا
 في ابتداء باب . من الفلاسفة من - يقصد الى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية .
 - يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال - النص أكثر إيجازا . - نهائيا - راجع
 ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ - وبطريق الاصلية - لأنه يفعل بتماس مباشر وبلا
 واسطة . - مسام أو قنوات - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ندرك للإدراكات
 - تكرار الكلمات هذا في النص . - هذه الأجسام - أو هذه العناصر لأن عبارة النص
 غير مائة . - نظام وترتيب - ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - كما فعل أمبيدقل مثلا - وهو الذي يلزم أن ينسب اليه الرأي المعروض
 في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . - على الفعل وعلى الانفعال - عبارة النص
 بالضبط هي « الفاعلات والمنفعلات » أي الأشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . -

طريق التكافؤ . وقد اختط لوكيبس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق ووضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية انتى يعينها الطبع . وفى الواقع ان بعض القدماء قد ظن ان الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة فى العالم مادام انه لا يوجد خلو منفصل عن الاشياء . وكانوا يزيدون على ذلك انه لا يمكن ايضا ان يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الاشياء ويعزلها . على أن دعوى ان العالم ليس متصلا لكن الموجودات التى تؤلفه متحاسة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة فى جميع الاتجاهات فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ماكان بحيث انه لا يوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلو كله ، يقولون ، انه اذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك ايضا أشبه مايكون بفرض مجازف

= متناسبة المقياس على طريق التكافؤ - يعنى ان الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما فى الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيقى . وقد مثل فيلوبون بالتبيد والماء فان مساهما متناسبة المقياس فى رأيه ما دام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة المقياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به . - بأحسن من غيرهما - أستخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . - نقطة الابتداء الحقيقية التى يعينها الطبع - ليس للنص على هذا الضبط تماما . - بعض القدماء يقصد برمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلوبون . - فعل رأيهم - أضفت هذه العبارة التى مضمونها متمشى مع سياق النص وكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى برمينيد ومدرسة ايليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة لهذه واباطالا لمذهب برمينيد وميليسوس فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣ من ترجمتنا . - وانه لا يمكن أن توجد حركة - هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هى منسوبة بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . - منفصل عن الاشياء - أضفت الكلمتين الاخيرتين . - وكانوا يزيدون على ذلك - هذه الكلمات ليست صراحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . - أنه لا يوجد خلو - ليس النص على هذه الصراحة . - يقسم . . . ويعزلها - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ليس متصلا - وواحدا كما كانت تزعم مدرسة ايليا . - مهما كانت منفصلة - ليس النص على هذا الوضوح . - اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة - واذا يؤول أمره الى لا شيء بالقسمة نفسها التى ذهب بها الى اللانهاية . - فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ما كان - أو بعبارة أخرى وحدة الاشخاص تنعدم مع الاشخاص أعيانها ولما انه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلو . - شطره على نحو - يعنى أن الاتصال يكون فى شطر العالم والخلو فى الشطر الآخر . - يقولون أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية معارضا برمينيد وأصحابه . - على رأيهم - أضفتها للفرض المتقدم . - لا يوجد حركة فى العالم - وهذا هو المبدأ الاساسى لمدرسة ايليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

فيه لانه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك
ومليثا فى حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل
أيضا على رأيهم الى تأييد انه بالضرورة لا يوجد حركة فى العالم .

٣ - بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس
والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة
الى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لانه ان لم يكن
كذلك فان الحد بحسبهم لا يمكن الا أن يحاد الخلو .

٤ - تلك هى اذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هى الاسباب
التي دفعتهم الى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك فى أنه اذا استمسك
بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه ان يكونا مقبولا ولكن اذا أريد
اعتبار الحوادث الواقعية فيوشك ان يكون من الجنون تأييد آراء كهذه .
لانه لا يوجد مجنون ذهب الى هذه النقطة من الضلال ان يجد أن النار
والثلج هما شئ واحد بعينه . ولكن خلط الاشياء الجميلة لذاتها بالتى
لا تظهر لنا كذلك الا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق
عابيتها ، ذلك لا يمكن أن يكون الا نتيجة التيه حقيقى للعقل .

٥ - فاما لوكيبس فانه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع
كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب

٣ § - بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها - يلزم الانتباه الى هذه العبارات
الشديدة التى توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع
ايضا الفقرة السابقة . بعض الفلاسفة - برمينيد وعلى الخصوص مدرسة ايليا - أن
لم يكن كذلك . . . بحسبهم - أضفت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لبيان
الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أر فيلويون يفسرها فى شرحه لانه
يلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة .

٤ § - الحق - ربما كان أحسن أن يقال « الحقيقة » التدليل العقلية المحضة
- ليس النص على هذا القدر من التاكيد . - فذلك يشبه أن يكون مقبولا - أو أيضا :
« ان الاشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه » . - اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية
- راجع مقلمتى لكتابه الميتورولوجيا على نمط المشاهدة عند القنماء وعلى الاخص عند
أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . - يوشك أن يكون من الجنون - من الصعب أن تصاب
نظريات مدرسة ايليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . - الاشياء الجميلة لذاتها -
هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلويون وفيها خفاء . فان كلمة النص التى ترجمتها
« الجميلة لذاتها » فيها ابهام وهى تدل على الاشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد
يكون المعنى أن أرسطو يعبث على مدرسة ايليا انها تقصد قاعدة الاخلاق بخلطها بين
الحير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح المتأخرين .

٥ § - فاما لوكيبس - راجع عن آراء لوكيبس وديمقريطس فى الخلو كتاب
الطبيعة كدب ٨ ص ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فان أرسطو يبين =

مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات .
ولكن بعد هذا التسامح الذي أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى
اولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة انه لا يوجد حركه ممكنه بدون
الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللاموجود ليس هو شيئا
مما هو موجود . واذا ، على رأيه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية .
والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون واحدا . وعلى العكس أن هذه
العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة
حججها للغاية . ويزيد على ذلك لوكييس أن هذه الجزئيات تتحرك في الخلو
لانه يقبل الخلو ، وأنها باجتماعها تسبب كون الاشياء وبانحلالها تسبب
فسادها ، وأن الاشياء تفعل أو تنفعل تبعاً لما أنها تتماس على طريق التكافؤ
وأنها على ذلك ليست هي شيئا واحدا بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها
بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لوكييس من هذا أن التعدد لم
يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضا
من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى .
وأخيرا كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الاشياء
الفعل الذي تقبله وتعاينه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى
لوكييس أيضا أن كل استحالة للاشياء وكل أنفعال لها إنما يحصل
على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو ، والنمو
حاصل كذلك بواسطة الجزئيات الجامدة التي تدخل في الاشياء .

= عليه هنا شدة الاهتمام بلوكييس أكثر منه في كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن استاذة
« انهما لم يطا عتبة المسألة » . - بحسب مذهب - زدت هذه العبارة لاطمأ الفكر
- ولا للحركة ولا للتعدد - وبالجمله كل ما تشهد لنا نكواس بأنها حقائق بينة . -
الذي أسداه الى حقيقة الظواهر - ليس النص على هذه الصراحة . - الا موجود
ليس هو شيئا مما هو موجود - يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد في النص . -
على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين . - متعدد للغاية - أظن ان هذا هو الرواية الحقة
وهي متفقة مع سبكه النص وفي بعض النسخ « ملء للغاية » ملء بالتمام « وليس بين
الروايتين الا تقييد سرف واحد . - هذه المقاصر - التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي
جملة النص غير محدد . - لطافة حججها للغاية - تلك هي اللزوات المقبولة أيضا عند
ديمقريطس استاذ لوكييس . - ويزيد على ذلك لوكييس - ليس النص على هذا الضبط
ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الاغريقية نفسها . - شيئا واحدا
بعينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - العالم كله - أضفت هذه العبارة لكيلا أكون
ما قيل آنفا . - ويستنتج لوكييس من هذا - ليس النص على هذه الصراحة . - الذي
تقبله وتعاينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - بواسطة المسام - ر . ما سبق
في ١ - ب - بواسطة الخلو - التكرير لما قيل آنفا في هذه الفقرة نفسها . - التي تدخل
- أو التي « تتولج » .

٦ - وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لوكيبس تقريبا لأنه يقول بأنه يجب أن يوجد جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة اذا كانت المسام ليست متصلة مطلقا . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لأنه حينئذ لا يمكن وجود شيء جامد ، الا أن يكون هو المسام ، والكل بلا استثناء لا يكون بعد الا خلوا ، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزيئات التي تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التي تفصلها تكون خلوات ، وهذا هو ما يسميه المسام . وهذه الآراء هي أيضا آراء لوكيبس في الفعل والانفعال في الاشياء .

٧ - تلك هي الايضاحات التي أعطوها عن الوجه الذي تكون به الاشياء تارة فاعلة وتارة منفعة . وحينئذ يرى مبلغ ماعليه في الحقيقة هؤلاء الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم في هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث .

٨ - ولكن في نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلج ، بجلاء أقل ، كيف يدرك كون الاشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التي بها تقع هذه الظواهر . فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للجسام هي غير

§ ٦ - وأما أمبيدقل - ر . ما سبق ف ٢ حيث يظهر أن أمبيدقل أنزل من أجل هذه النظرية في منزلة أدنى من ديمقريطس ولوكيبس . - جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة - وفي هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب اللوات . - ليست متصلة مطلقا - يعنى تلامس مباشرة بعضها بعضا . ولكن فكرة المسام عنها تستلزم ضرورة حواجز جامدة تفصلها وتغزلها بعضها عن بعض . - هذا الاتصال للمسام . النص ليس على هذا القدر من الصراحة وعبارته غير محددة . ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محل الشك الا أن يكون هو المسام - وربما كان أحسن « بجانب المسام » . - على رأى أمبيدقل - زدت هذه الكلمات . - التي تتماس - وتكون بنوع ما حواجز للمسام . - وحدها هذه الكلمة ليست في النص ولكن ظهرت لي مفيدة في اتمام الفكرة . - هي أيضا آراء لوكيبس - نتيجة وتكريرا لما قيل في أول هذه الفقرة .

§ ٧ - تارة فاعلة وتارة منفعة - أو أيضا « تفعل وتنفعل » . - هؤلاء الفلاسفة - هذا ينطبق بالأخص على لوكيبس وديمقريطس . - تكاد تكون مطابقة للحوادث - ر . ما سبق ف ٤ .

§ ٨ - كامبيدقل - هذا يشبه أنه مناقض لما قيل في ٦ حيث آراء أمبيدقل معتبرة لصيقة بآراء لوكيبس التي ووفق عليها . - فعلى رأى البعض - يعنى الفلاسفة الآخرين ما عدا أمبيدقل . - غير قابلة للتجزئة - هي الجواهر الفردة . - تتركب الاجسام في البداية - تكريرا لما سبق . - العظم - مهما كان . - يعنى غير متناه في الصغر مادام الامر خاصا بالذرات . - ان النان ذاتها عنصر . - فيها سيأتي ك ٢ ب ٣ ف ٦ رأى أمبيدقل في النار التي هي على رأيه خليط وبالنتيجة ليست عنصرا حقيقيا . - وقد أيد أفلاطون النظرية عنها - النص أقل صراحة . - في طيماسوس - ر . ترجمة - كوزان ص ١٦١ و ١٦٧ وما بعدها . - الا سطوحا - ربما لم يقل أفلاطون ذلك صراحة =

قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها الا بالصور ، ومن هذه العناصر تتركب الاجسام فى البداية وانها تتحلل فى النهاية . ولكن من جهة أمبيدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الاشياء وفسادها الى العناصر أنفسها . على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم الملتك لهذه العناصر ؟ هذا هو ما ليس بينا البتة فى مذهبه . بل زيادة على ذلك أن هذا مالا يستطيع تبينه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الاخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عينها فى طيمائوس لانه فضلا على أن أفلاطون يعبر فى هذه النقطة مثل لوكييس فان أحدهما يقبل أن التى لا تتجزأ هى جوامد والاخر أنها ليست الا سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التى لا تتجزأ هى محدودة بأشكال عددها غير متناه والاخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التى لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

٩ - اذا كان حقا أن من ذلك فى الواقع تأتى أكوان الاشياء ، وفساداتها فمن ثم يوجد عند لوكييس لادراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو ، على رأيه ، أن كل شيء قد يكون متميزا ومنقسما . ولكن عند أفلاطون الامر على الضد ليس الا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلو . وقد تكلمنا فى بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التى لا تتجزأ ، وأما الجوامد التى لا تتجزأ فليس هاهنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التى نلعبها الآن الى جانب .

١٠ - ولكن اذا نحن استطرنا بعض الشيء نقول أنه ضرورة فى هذه المذاهب كل مالا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لانه لا يمكن

= ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . - متناهية ومضبوطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان - ليس النص على هذه الصراحة . - وجود التى لا تتجزأ - لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماما على النحو الذى يظهر أن أرسطو يقوله هنا .

٩ ٨ - فساداتها - أو « انفصالاتها » وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضيقا . على رأيه - زدت هذه العبارة . - قد يكون متميزا ومنقسما - وضعت هاتين الكلمتين لادق قوة كلمة النص الواحدة . - الا التماس وحده - يعنى أن السطوح بتلاصها تنتهى بأن تتركب الاجسام . ولا أدري هل هذا هو فى الحق معنى نظرية أفلاطون . - فى بحوثنا السابقة - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون منقوضة بالتطويل . - السطوح لا تتجزأ - هذا هو مذهب أفلاطون . - أما الجوامد التى لا تتجزأ - هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذى هو مذهب لوكييس قديمقريطس . - نتائج هذه النظرية - ليس النص بهذا هكذا .

١٠ ٨ - فى هذه المذاهب . - أضفت هذه الكلمات التى ظهرت لى ضرورة لاتمام =

أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما الا بالخلو الذى هو غير مقبول عندهم .
وهو كذلك لا يمكنه ان يحدث أى فعل ما فى أى شيء اتفق مادام أنه لا
يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحسب أنه من السخف
الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لانه من ثم
يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير
الكرة . ولكن اذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الاشياء ، أعنى الحرارة
والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الحفة والثقل والصلابة والرخاوة
لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وانى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل
مالا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا اذا كان أكبر حجما بحيث انه ، بالبين
بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

١١ - ولكنه من المحال ، متى كان الامر على ما يقال ، أن تلك التى
لا تتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ماهو متوسط
الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن
اذا كان الصلب يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لانه لا يقال
على شيء انه رخو الا مع الاستحضار الذهنى لفعل يمكنه احتماله مادام
الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذى يطاوع الضغط بسهولة .

١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل فى الاشياء مطلقا شيء الا
الصورة واذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها الا واحدة املة

= الفكرة التى يجيزها تفسير فيلوبون . - الذى هو غير مقبول عندهم - أضفتها للسبب
المتقدم . من السخف - هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه
وأرد فى النص كما هو فى الترجمة . - الشكل الكرى وحده فقط . - ر . طيماس
أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيماس
من التاكيد على ما يزعم اوسطو . - اذا كان ابر حجما - النص هنا بين الدقة لسا
به من الايجاز . ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متساوية بينهملا
وأن احدها لا ينبغي أن تكون أكثر ثقلا من الاخرى .

§ ١١ - على ما يقال - النص أقل بيانا . - لا تقبل تأثيرا - أولا تنفعل . -
ما هو متوسط الحرارة - هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شئت
غير متساويى الحرارة يصيران متساويين . بأن يفعل أحدهما فى الآخر . - ولكن اذا كان
الصلب يقبل - ليس النص على هذه السمة . - يطاوع الضغط بسهولة - ر .
الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتى .

§ ١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا - هذا الانتقاد موجه على الإخص بغير شك
الى أفلاطون . - الصورة - هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينة
تبين أن معنى الصورة أيضا الخاصية . وفى الواقع أن اثار والبارد خاصيتان وليست
صورتين بالمعنى الخاص . - لهاتين الظاهرتين المتقابلتين - أضفت الكلمة الاخيرة .

مثلا البرودة واما الحرارة لانه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه يتبين
الظاهرتين المتقابلتين .

١٣ - وفي الحق اذا من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود
مع بقاءه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لانه بما هو لا يتجزأ قد يعانى
تغايره المختلفة فى النقطة عينها . وبالنتيجة فعينا ينفع ، فيبرد مثلا ،
وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

١٤ - يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات
الآخرى لانه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح
لا تتجزأ فالنتائج تكون هى أنفسها مادام ليس ممكنا أن اللامتجزئة تكون
تارة أكثر تخلخلا وتارة أكثر كثافة اذا لم يوجد خلل فى اللامتجزئة .

١٥ - وكذلك من السخف على السواء تماما افتراض أن أجساما
صغارا هى غير قابلة للتجزئة وأن أجساما كبارا لا تكونه . ففى الحالة
الحاضرة للاشياء يفهم العقل فى الواقع أن الاجسام الكبرى يمكن أن تتفتت
بأسهل جدا من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لانها كبيرة وأنها
تتلامس وتتصادم فى كثير من النقط . ولكن لماذا اللامتجزئة قد توجد
مطلقا فى صغار الاجسام بالاولى من أن توجد فى الكبار ؟ .

§ ١٣ - مع بقاءه واحدا - ليس النص على هذه الصراحة . بتغايره المختلفة -
زدت الكلمة الأخيرة . - فى النقطة عينها - الكلمة التى استعملت فى النص غير محددة
فاضطرت الى زيادة الضبط . - يحدث أيضا فعلا آخر - المعنى ليس جليا وكان
يقتضى توسعا فى التعبير . - أى تأثير آخر اتفق - هنا أيضا ترجمتى أكثر ضبطا
من النص .

§ ١٤ - بجوامد لا تتجزأ - هذا هو منهج لوكييس وديقريطس . - بسطوح لا تتجزأ
هذا هو منهج أفلاطون . ر : ما سبق ف٩ . - أن اللامتجزئة - عبارة النص ليست
محدودة تماما . - فى اللامتجزئة - هذه هى عبارة النص بعينها .

§ ١٥ - أجساما صغارا - الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من
الدقة بحيث تعزب عن مشاهدتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسم لانها أصغر
من أن تقسم .

- ففى الحالة الحاضرة للاشياء - عبارة النص هى : « الآن » . - تتحلل - قد
يكون أولى «تجزأ» . - وانها تتلامس وتتصادم فى كثير من النقط - ليس فى النص
لا كلمة واحدة . - مطلقا - ليس فى النص الاغريقى الا هذه الكلمة وحدها والتعبير
أوجز مما ينبغى وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . فاذا كانت الجواهر
الفردة غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم
صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جبلها الطبع .

١٦ - وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هى من طبع واحد بعينه أم هل هى تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كتلتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التى قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس فى كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فإن الماء الاخير المضاف لا يختلف فى شيء عن الماء الذى كان يتقدمه . ولكن اذا كانت هذه التى لا تتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون ؟ بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هى مبادئ الظواهر وظلالها أولى من أن تكون مجرد أشكال لها ، ومن جهة أخرى اذا قيل انها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها يتلانسها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

١٧ - أكثر من ذلك ، ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟

١٦ - وفوق ذلك - رد آخر بعد الردود السابقة . - كل هذه الجوامد - المتبعة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسم . - بما أن بعضها من النار - على حسب ما يظهر انه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة فى طيماوس . - التى قسمتها - أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمة أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضا الى مجرد عدم المشابهة . - بتماسها - أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . - فى كتلة واحدة بعينها - عبارة النص غير محددة . - كالماء - المثل على الأقل واضح جدا لان الماء ينضم الى الماء بلا أدنى عناء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها الطبيعى . - الماء الاخير - هذه هى عبارة النص بعينها . - المضاف - هذه الكلمة ليست فى النص فحينئذ ماذا تكون ؟ - هذه سؤال موجه الى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيئس الذى يريد أرسطو بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج فى هذه النقطة قدر الكفاية . - مجرد أشكال لها - المسلم بها فى نظريات أفلاطون ونظريات لوكيئس . - اذا قيل - ليس النص على هذه الصراحة . - تفعل أو تنفعل - فى حين أنه فى المذاهب التى يطن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . - ر ١٠ ما سبق ف ١٠

١٧ - ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟ ليس النص على هذه السعة . - مخالفا لها - معنى أجنبيا منها وخارجا عنها . - ما لا يتجزأ قابلا - وهو فى النص أيضا بصفة المفرد ولكن الجمع ربما كان أولى ما دام المقصود هو الجواهر الفردة . - فإن ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويعانى الحركة التى يوصلها اليه المحرك . - اذا كان كل ما لا يتجزأ يحرك نفسه - من غير أن يتلقى الحركة من الخارج . - محرك فى جزء ومحرك فى جزء آخر - قد وضع فى « الطبيعة » أن المحرك الذى يعطى الحركة الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التى يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بأكمله غير متحرك . - ر ١٠ الطبيعى ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . - فى الشيء بعينه - وهو محال لان الضدين لا يجتمعان فى آن واحد فى شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . - بالعدد - أو بالشخص . - بل بالقوة أيضا - يعنى أنها يمكن أن تتفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها العادى .

إذا كان هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون مالا يتجزأ قابلا . وإذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر واما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا . وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد فقط بل بالقوة أيضا .

١٨ - وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغيرات التي تقبلها الاجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا ، لانهم اذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه اذا انفصل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضا أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

١٩ - ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسر بها في هذا المذهب ؟ ليس أكثر امكانا في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الاشياء الشفافة منه في خلال المسام اذا كانت المسام كلها مليئة . فإين يكون الفرق اذا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة مادام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ بل اذا كانت هذه المسام ذاتها مفترضة خالية وإذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن اذا افترض ان المسام ذات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل

§ ١٨ - يجب عليهم أن ينتبهوا - ليس للنص على هذا القدر من البسيط فظننت واجبا على أن أقسم الجملة والفكرة لاجعلهما أكثر بيانا . - حتى لو كانت المسام مليئة - أو « مملوءة » بالمواد التي يمكن أن تحتازها لتعمل في الاجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . - ان فعل « . . . بالطريقة عينها » ورماني الفعل الذي قد يعاين به أن يكون له مسام أو اذا كانت المسام خالية . - كل ما يقبل - أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ - النظر - من خلال الاوساط وكما قيل آنفا « من خلال الاجسام الشفافة » التي هي مفترضة ذات مسام يمر منها الضوء . - بالتماسات - حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلويون ليزيل هذا التوضيح . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء انما يلامس سطوح الاجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . - اذا كانت المسام كلها مليئة - بجسم يكون الضوء مضطرا لطرده أمامه ليأخذ مكانه ويحتاز الجسم الشفاف . - بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة - ليس في النص هذا التردد الذي ظهر لي ضروريا لتبيين الفكرة . - ما دام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ - اما باتصال الجسم نفسه واما بامتلاء المسام . - هذه المسام - النص غير محدود تماما . - للصعوبات أنفسها - التي جرى على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولا في المسام أنفسها . - أن الصغير خال - حفظت بساء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير هنا الجسم القليل الامتداد . - أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم - الفكرة غامضة قليلا ولم أجد في شرح فيلويون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

أى جسم اتفق فإن من سيفه الرأي أن يتصور أن الصغين خال وإن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يتمشى بالاعتقاد إلى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث أنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائما على مقدار مساو للجسم نفسه .

٢٠ - وعلى جملة من القول فإنه غير مفيد افتراض مسام . فإذا كان جسم . لا يفعل في آخر بمسبه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام . وإذا كان إنما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الاجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر في علاقة من هذا القبيل .

٢١ - والحاصل أنه يرى من كل ماتقدم أن تصور مسام على الوجه الذي فهمها به بعض الفلاسفة إنما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فإن الاجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الاجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائما أن تنفصل .

§ ٢٠ - وعلى جملة من القول - هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد أستنتج أرسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة إليها إلى فرض المسام الذي تخيله بعض الفلاسفة . في آخر - أضفت هاتين الكلمتين . وإذا كان إنما يفعل بالمس - يعنى بأن يلمس مباشرة الشيء الذي يقع عليه فعله . كلما وضعها الطبع - ليس النص على هذا القدر من الضبط .

§ ٢١ - إنما هو خطأ - ملخص كل هذه المناقشة . - قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة - ليس في النص الا كلمة واحدة . - أن تنفصل - وتعمل لانفسها مسام كما فسره فيلويون .

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة - الانفعال
التي تحصل عند التماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس لغير السكزي - تحول اشكال
الاجسام اذ تتغير بالحال دون ان تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - أما نحن فائناً صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد
ايضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والانفعال تقع في الأجسام . في
الواقع اذا كان شيء له الخاصة الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل
وبالكمال واذا كان يمكنه بالطبع ان يفعل في واحد معين من اجزائه ولا
يفعل في الآخر ولكن في مجموعه يفعل بنسبة ماله من هذه الخاصة .
فمن البين انه سيفعل أكثر أو أقل تبعاً لما ان هذه الخاصة فيه أكثر شدة
أو أقل . على هذا الوجه على الاخصر قد يمكن بكثير سهولة التسليم
بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الاجسام كما هو الحال في
المعادن تمتد أحياناً عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ - على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير.

§ ب ١ ف ١ - المبدأ الذي طالما قررناه - وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو
بالفعل كما سيرد في السطور الآتية . - بالقوة المحضة - أضفت كلمة « المحضة »
- بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة
وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية للمذهب المشائي . ولكن قد يرى ان تطبيقه
هنا ليس واضحاً جداً ولا فاعلاً جداً لايضاح نظرية المسام . - واذا كان يمكنه
بالطبع . . . قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا أغير تأليفها في النص : -
قد يمكن بكثير سهولة التسليم - عبارة النص - ليست على هذا : لقد من البيان ولو أن
عبادتي في الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من الجلاء - وتكون حالها على ذلك
في الاجسام - في الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة
الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول ثلاث الفلاني أو الفلاني . . . كما هو الحال في
المعادن - المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهداً : - القابلة لانفعال ما .
- ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ - كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً - أو بعبارة أخرى ألا يكون مستجباً
لشرايط المطلوبة ليفعل أو ليحدث فعلاً ما جزم أن الشيء لا يمكن أن يفعل في نفسه
وكان الشبيه لا يفعل في الشبيه ولا يقبل منه : - كان غير قابل - بعزل عن كل فعل
وكل انفعال أت من ذاته : - لا تتلامس بينها - بلا واسطة . - أولاً تتلامس أغياراً -
تصلح اذا كوسطاء للوصول الى الشيء الذي يقع الفعل . - ان يفعل - بأن ينقله
الى الجسم الحرارة التي للكاما . - ويفعل - بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجبه
أن ينقلها .

قابل . ويجرى هذا المجرى أيضا متى كانت الأشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغيارا يمكنها بطبعها أن تفعل أو تنفعل أعني مثلا انه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضا على مسافة لان النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لان الهواء بطبعه يمكن أن يفعل وينفعل معا .

§ ٣ - ولكن متى يقال ان شيئا يمكن أن ينفعل فى واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل فى آخر فينبغى ايضا ماذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى فى المبدأ ، فاذا كان فى الواقع العظم ليس هو مطلقا قابلا للتجزئة فى جميع الجهات لكن فيه شيئا ما جسما كان او سطحا يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون يكله قابلا ، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلا . وحينئذ اذا كن ذلك خطأ وكان كل جسم قابلا للتجزئة دائما فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوما فعلا وبهذه الصفة قابلا للتماسات أو يكون بالبساطة قابلا للتجزئة لانه ما دام يمكن أن يكون مقسوما فى نقط التماس ، كما هو المدعى ، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكون ويكون قابلا للقسمه ما دام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٣ متى يقال أنه يمكن ترجمتها أيضا « متى أقول » فإن الفرق بينهما غير بين فى النص . - بعد الحد المعطى فى المبدأ - قربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يشح شرح فيلوبون فى جلائها شيئا . فقد ينتج من ذلك - عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوما مما يلى . - يمكن أن يكون بكله قابلا - ر : الفقرة السابقة . - أمكن أن يكون متصلا - لان النهايات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذى هو ضرورى لتأليف جسم . - وكان كل جسم قابلا للتجزئة - هذه هى نظرية أرسطو المنسوبة مرارا فى « الطبيعة » - مقسوما . . . قابلا للتجزئة - هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . - فى نقط التماس - عبارة النص هى : « بحسب التماسات » . - لا شيء . - مما هو محال يكون أبدا - هذا المبدأ يدهى للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أفرغت جهدى فى استجلاء هذه الفقرة فلم أنجح ولم أجده لشرح بما فيه من شأن توماس قد نجحوا فى ذلك أيضا . وهاك تفسيرها يساعد بالاقبل على تسلسل المعانى : « لكى تفسر ماهية الفعل والانفعال فى الاشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئا يقبل فعلا ما . » فى واحد من أجزائه ولا يفعله فى الجزء الآخر . فالشيء أما أن يكون بكله قابلا واما أن يكون بكله فاعلا . فاذا سلم بالذرات فحينئذ يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكليته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون متصلا . واذا فذهب للذرات باطل . وكل عظم هودائعا وعلى الإطلاق قابل للقسمه دون أن يمكن الوصول الى جزئيات لا تتجزأ . ويكاد لا يهم ما اذا كانت القسمه واقعة ماديا أن ممكنة امكانا مجردا على وجه ذهنى صرف . ويكفى إمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وحدته وأن يكون بالنتيجة فى مجموعه اما فاعلا واما قابلا .

§ ٤ - وان ما يجعل سخيلاً تماماً تقرير ان الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الاجسام هو ان هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها . وعلى هذا نحن نرى ان جسماً بعينه دون ان ينقطع عن ان يكون متصلاً هو تارة سائل وتارة متجمد دون ان يقبل هذا التحول لا بقسمة اجزائه ولا بانحادهما ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لان الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمداً بعد ان كان سائلاً . وليس يرى ايضاً ان الاشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالاً غير قابلة للقسمة في كتلتها بل الجسم بأكمله يكون على السواء سائلاً واحياناً يصير بأكمله صلباً ويتجمد .

§ ٥ - وأخيراً ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الاشياء ولا اضمحلالها لانه لا جسم يمكن ان يصير أكبر اذا لم يكن هناك الا مجرد اضافة واذا لم يتغير بأكمله على اثر اختلاط بشيء اجنبي او على اثر تغير ما يحصل فيه .

§ ٤ - الفعل والانفعال - النص غير محدد تماماً ولكن أحد المعنى اعتماداً على تفسير فيلوپون . - على هذا النحو - معنى بواسطة المسام التي اقترعها بعض الفلاسفة . - يشق الاجسام - حفظت عبارة النص بعينها ، فان الاجسام هي نحو ما مشقة بالمسام التي تتخللها . - تمحو . . . وتفسدها - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الاستحالة - معنى ان في هذا المذهب لا يمكن ادراك ظاهرة الاستحالة . - دون ان ينقطع عن ان يكون متصلاً - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - تارة متجمد يضرب فيلوپون مثلاً لذلك اللين الذي هو تارة سائل وتارة متجمد وقد يمكن الظن كعض الشراح ان المقصود ايضاً هو الماء لانه تارة سائل وتارة جليد . - بتماسها - على تقدير باجسام أخرى . - كما يزعم ديمقريطس وفي الحق هذه هي كل ما يستنبط ديمقريطس الى الذرات من الجواهر . - متجمداً - او جليداً . - حالاً - اي في النظام الحالي للطبع . - غير قابلة للقسمة في كتلتها - يفهم سان توماس من هذا انه لا حاجة بان تتجمد الاشياء او تتجلد الى ان تتخللها ذرات غير قابلة للقسمة بل هي تكايد هذا التغير في جوهرها الذاتي على السواء - اي في جميع اجزائه يدون ان بعضها يعاني التغير الذي تقاومه الاخرى .

§ ٥ - في هذا المذهب - أضفتم هذه الكلمات لتبيين الفكرة . - قد لا يمكن بموجود - معنى انه لا يمكن توضيح ما هو نمو الاشياء او اضمحلالها . - الا مجرد اضافة - بان تأتي الذرات فتتضم الى الجسم لتتبعه وتزيد حجه او انها تتسحب منه لتقصيه او تهلكه - بعض اجنبي . - أضفتم الكلمة الاخيرة . - يحصل فيه - النص ليس على هذا القدر من الغبط .

§ ٦ - ونحن نقصر على ما أتيينا به من القول فيما يتعلق بكون الأشياء
مفعلاً وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أي
النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات
التي أعطيت عنها أحيانا .

§ ٦ - نقصر - هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والابواب السابقة من أول الباب
السابع . وإن استطعنا بعد ان فصح مكانا لتوضيح المذاهب الاخرى لم يكفد يفسخ المذهب
الحاص من الايضاح . ما كان يستلعيه من البيان والاطناب .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها -
ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للجسام المختلطة -
الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكي يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم ان يوجد
بينها تجانس بل شيء من التناسب - النقطة من التبيد في كمية من الماء - سهولة الاختلاط
او صعوبته تبعاً للتخالف في طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط .

§ ١ - بقى علينا ان ندرس ما هو اختلاط الاشياء . وسنتبع هاهنا
النمط عينه كما فيما سبق لان هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا
لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم اذا ان ننظر ما هو الاختلاط وما هو
الشيء القابل لان يخلط وما هي الاشياء التي يمكن ان يقع الاختلاط بينها
وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ - ومن جهة أخرى يمكن أيضاً ان يتساءل عما اذا كان يوجد
حقيقة بالفعل اختلاط للاشياء او ان هذا ليس الا ضلالاً . لانه يمكن ان
يظن ان شيئاً لا ينبغي البتة ان يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة .
يقولون انه في الواقع حينما الاشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضاً ولم تكن
لتستحيل لا يمكن ان يقال انها الآن أكثر اختلاطاً مما كانت من قبل ،
ولكنها دائماً في الحال بعينها . فاذا اخذ احد الشئيين ان يبيد في الاختلاط
لا يمكن بعد ان يقال انهما اختلطا ولكن فقط ان احدهما يوجد وأن الآخر لا
يوجد بعد ، في حين ان الاختلاط لا يمكن في الحق ان يقع الا بين شئيين

§ ب ١٠١ - ثالث الموضوعات - أي مع الكون والفساد ومع الفعل والانفعال . في
بداية هذه البحوث - فيما سبق ب ١٠١ لم يتكلم ارسطو الا على الكون والنمو والاستحالة .
وكان يظهر ان هذه الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست ارى انه
قبة في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . - ماهو الاختلاط - الاسئلة الموضوعه هنا على
الاختلاط هي مماثلة للاسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ .
ومن هذه الجهة فان المؤلف مصيب في قوله انه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل .

§ ٢ - ومن جهة أخرى - من المذاهب ما ينكر ان اختلاط الاشياء ممكن البتة . وتلك
المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بايدي بدء لانها تذهب الى حد
مؤلاً ، للفلاسفة بالضبط . - يقولون - اضيفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق ما دام
انكار المسألة والقضاء عليها . بعض الفلاسفة - لا شيء يبين في هذا الباب من هم
ان الذي سيمدد فيما يلي انما هي الادلة على نفي امكان الاختلاط . - يزيدون . . . على ذلك
اضيفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

يوجدان على السواء • ويزيدون ، أخيراً ، على ذلك انه لا يوجد بعدد اختلاط ، بهذا السبب عينه ، اذا كان الشيئان اللذان يجتمعان يستندان كلاهما بالاختلاط لانه من المحال قطعاً ان أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها ان تختلط •

§ ٣ - هذه النظرية ، كما يرى ، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الاشياء عن كونها وعن فسادها • وأيضاً في أى شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد ، لانه من البين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايراً بافتراض انه واقع بالفعل • ومتى وضحت هذه المسائل تنحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل •

§ ٤ - ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال أن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا انها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما انه قد لا يمكن ان يقال انها تختلط بنفسها في أجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها • بل يقال ببساطة أن النار تكونت وان المادة القابلة للاحتراق قد فسدت • كما انه لا يمكن أيضاً ان يقال لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم ان الاولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلاً ما للكتلة بتمامها • ينبغي الاعتراف أيضاً بأنه لا الجسم ولا البياض ولا بالاختصاص ، كصفات الاجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالاشياء مادام انه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يبقيان • كذلك أيضاً البياض والعلم

§ ٢ - عن كونها وعن فسادها - ر • مما سبق ب ١ وما يليه • ومتى وضحت هذه المسائل - تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط • - تنحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل - في بداية هذا الباب عينه •:

§ ٤ - ذلك هو السبب • - هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد • - المادة حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب او أية مادة اخرى تغذى النار • - انها تختلط بنفسها - يعنى ان الخشب يختلط بالخشب • - في أجزاء النار أضفت الكلمة الأخيرة • - كما لا تختلط بالنار نفسها - قد أتقيت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتمدت في ايضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون تكونت • • فسدت - حصل فيه كون لاجدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط • - كما أنه لا يمكن أيضاً أن يقال - هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة - صورة الخاتم - أضفت الكلمة الأخيرة التي يدل عليها السياق فيما يلي: • وربما كان اختزان الخطين غير حسن لان الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذي ينميه • ولكن بالبدئية طابع الخاتم لا يختلط به • - لا الجسم ولا البياض - حفظت عبارة النص على ايجازها • فان البياض والجسم الذي هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم • - كصفات الاجسام وتغايرها - التي هي في الاشياء ولكن بدون ان تختلط بها • - ان الاثنين يبقيان عبارة للنص أكثر ابهاماً ، ويجب أن يعنى بالاثنيين الجسم والكيفيات التي تكيفه • البياض والعلم - يعنى كيفين عوضاً عن جسم وكيف • - الكيفيات أو الخواص النص غير محدد البتة • - التي ليست قابلة للانفصال - على تقدير دعوى الموضوعات التي هي فيها وكل هذه الفقرة مغلفة جداً بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر •

فى الواقع لا يمكنها أن يركباً خليطاً ولا أيضاً أى واحد من الكيفيات أو
الخواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ - وأيضاً يندفع نفسه من يقرر ان الاشياء جميعها كانت سابقا
مندمجة وأن الشكل قد وجد مختلطاً لان كلا لا يمكن البتة ان يختلط بكل
على السواء . يلزم دائماً ان كلا الشيئين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى
على حدة . وحينئذ فإن كيفيات الاشياء لا يمكنها ان تكون منفصلة عنها
ابداً . ولكن لما ان من بين الاشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والاخر
بالفعل المحض فينتج من ذلك ان الاشياء التى تختلط يمكنها من جهة ان
تبقى بعد ومن جهة اخرى الاتبقى . فاذا كان فى الواقع الخليط الحاصل
من الاختلاط هو شيئاً مخالفاً فانه يكون كذلك دائماً بالقوة للشيئين
اللذين كانا يوجدان قبل أن يختلطاً وقبل أن ينعدموا فى الخليط . وهذا
انما هو على التحقيق الجواب على المسألة التى أثارها النظرية التى تكلمنا
عليها آنفاً . ويظهر ان الاختلاط تتألف من اشياء كانت من قبل منفصلة
ويمكن ان تكون أيضاً من جديد . وعلى ذلك الاشياء المختلطة لا تبقى
بالفعل كما يمتكث ويبقى الجسم والبياض الذى يشخصه . وليست هى
كذلك تكون فاسدة ، سيان احد الاثنين على حياله والاثنان جميعاً معا ما
دامت قوتيهما محفوظة دائماً .

§ ٦ - ولكن لندع هذا الى ناحية ولننتقل الى المسألة الآتية التى

§ ٥ - وايضاً يندفع نفسه - هذا نقد موجه الى الكساغوراس الذى كان يرى أن جميع
الاشياء فى الاصل كانت مختلطة فى السماء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . الطبيعة
الاربابية حيث تنقض نظرية الكساغوراس من ٤٥٥ من ترجمتنا . - كليات الاشياء -
٥ . الفقرة السابقة . - بالقوة المحضة . - بالفعل المحض - أضفت الصليتين . - شيئاً مخالفاً
للشيئين اللذين يكونان الخليط . - فى الخليط - أضفت هاتين الكلمتين . - الجواب على
المسألة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التى تكلمنا عليها آنفاً - فى أول هذا
الباب . - ايضاً من جديد - بعد ان حصل الخلط . - الذى يشخصه - أضفت هاتين الكلمتين
قوتيهما . - يعنى امكان رجوعهما الى ما كان عليهما قبل الاختلاط .

§ ٦ - المسألة الآتية - يعنى التى ترتبط بالمسائل التى تقدمتها والتى هى بقية لها
يمكن حواسنا ان تدركه وربما كانت المسألة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسناً لان
الاختلاط هو دائماً قابل لان تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التى تتركب
منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحاً هكذا . - بوجه محسوس
او «بحواسنا» . - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط او لا يوجد ؟ - هذا هو أول انواع الاختلاط
فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التى ركبته . - ولكن اليس ممكناً أيضاً - أحسبت
أن أصوغ هذه الجملة فى صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التى سبقتهما . وهذا هو
التعبير الثانى للاختلاط فان الشيئين يبقيان باعتبار أن أجزاءهما انما اجتمعت بعضها الى
بعض . - التين مختلط بالحب - المثل فى غاية الوضوح وهذا المثل ليس البع كزج الماء
والنبيذ اذ ان فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقاً تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضاً فى
الايضاح الأول .

تتخصص في معرفة ما اذا كان الاختلاط هو شيئاً يمكن حراسه ان تدركه .
مثال ذلك حينما الاشياء المختلطة تكون مقسومة الى اجزاء من الصغر
بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود احدها
متميزاً من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لا يوجد؟
ولكن ليس ممكناً أيضاً أن في الخلط الاشياء كيفما اتفقت تكون موضوعة
أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضاً اختلاطاً وعلى هذا
النحو يقال ان التبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعاً بجانب كل حبة
تبنه .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة وإذا كان جسم متى كان
مختلطاً بجسم آخر يجب أن يكون مجانساً له فقد يلزم أن كل جزء اتفق
من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما ان الجسم لا يمكن البتة
أن يكون مقسوماً الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة
الاختلاط بل هو شيء آخر تماماً فبالبين لا يمكن أنه يقال بعد ان الاشياء
اختلفت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزئيات صغيرة . حينئذ يكون
الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحد جزء من الخليط لا يمكن بعد
أن يكون هو الحد الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول انه
لكي يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركباً من أجزاء
متجانسة ، وكما أن جزءاً من الماء هو ماء كذلك أيضاً يجب أن يكون أى
جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط الا انضمام جزئيات
الى جزئيات فليس يوجد ولا واحد من الاحداث التى أثبتنا على تحليلها .
وانما يكون فقط في نظر الاعين . أنه الشئيين يظهر انهما مختلطان . وكذلك
الشيء عينه يظهر مخلوطاً للرأى فلان الذى ليس له نظر نفاذ في حين ان
« لينسيه » يجد أن ليس هناك اختلاط .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع أجزاء

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة - يظهر ان هذا هو رد من ارسطو على النظرين
السائتين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست
بيننا في النص الذى بقى غامضاً على رغم جهدى في استجلائه ولم أستطع أن أجعل الترجمة
أجلى منه بكثير . الى أجزائه الصغرى - يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة
وأنها (أى القسمة) ممكنة دائماً كما يقرره ارسطو بالاقول في الذهن ان لم تكنها في الخارج
- الانضمام - يمكن ترجمتها أيضاً التاليف . - في جزئيات صغيرة - كالحب والتبن اللذين
من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . - اختلاط حقيقى - أضفت كلمة حقيقى زيادة
في بيان الفكرة . - الشيء الخليط - يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . - جزئيات -
الى جزئيات - ليس النص على هذه الصراحة . ولا واحد من الاحداث التى أثبتنا على تحليلها
يسمى النص على هذه الصراحة . - في نظر الاعين - لافى الواقع .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط ، النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذى

• تتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .
• وحينئذ اما الا يكون اختلاط ممكنا واما انه يلزم اتخاذ نحو آخر
• من النظر لكي يبسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولنذكر بديا أن
• من بين الاشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والاخرى قابلة لفعل تلك ،
• بعضها نه تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطبعة ان
• تفعل بعضها في الاخرى او تنفعل بعضها بالاخرى على السواء . واخرى
• تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة ،
• وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف ان الطب لا يختلط
• بالاجسام لينفعل الصحة وثاذا الصحة لا تختلط به أيضا .

§ ٦ - بل من بين الاشياء التي يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريقة
• التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم
• بعدد قليل من اشياء آخر وكمية عظيمة بكمية أقل عظميا لا تنتج على
• التحقيق اختلاطا بل نموا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشئيين المختلطين يتغلب
• في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون
• عشرة آلاف ضعف . لانه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشييه في
• كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فحينئذ
• كل عنصر يفقد من طبعه لياخذ من طبع العنصر الذي هو أغلب . فالمزيج
• لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتركا .

§ ١٠ - فبين اذا أنه لا يكون اختلاط الا حينما تكون الاشياء التي
• تفعل لها مقابلة ما بينها لانها اذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض .
• ومن الاشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالاشياء الصغيرة باقترابها منها
• لانها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها في بعض . ولكن كمية كبيرة
• تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة الا مع الطولي .

= عيبه فيلوبون . كما لا يفسره اجتماع - الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة - ما دامت
• التجزئة لا يستطيع حصولها - . يعني انها تقف عند حد اللرات أو الاجزاء التي لا تتجزأ
• التي لم يقبلها أرسطو البتة . - اتخاذ نحو آخر من النظر . - ليس في النص الا كلمة
• واحدة مبهمه وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . - ولنذكر بديا - أضفت هذه الكلمات
• التي تدل القرينة على مفهومها . - كما قلنا - ر . ما سبق في الباب السابع . - الطب
• يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نيه فيلوبون مثل هذا التنبيه .
• § ٩ - التي تكون سهلة التجزئة - كنقطة من الماء في كمية من النبيذ . - نموا -
• مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الاشياء المختلطة . - للعنصر الغالب - في المزيج النهائي .
• - فالمزيج لا يصير - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - مطلقا - أضفت هذه

الكلمة .

§ ١٠ - مقابلة ما - عبارة النص هي « تضاد » . - يمكن أن تقبل تأثيرا ما - في
• حين انها تحدث فعلا ما . يزيد - أعني بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه
• الكلام الاتي . - لا تتج هذه النتيجة - أو «الاختلاط» .

١١ - على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التي تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء الى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الاجسام هي الأكثر قابلية للمزج لان السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذى يتعين ويتحدد بأبسط ما يكون بشرط ألا يكون دقيقا . فان الاجسام الدقيقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم اصغى وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشيئين المختلطين هو وحده المنفصل أو أنه يكون كثيرا وان الآخر يكون قليلا جدا فالخليط الناتج من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكون . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدين مختلطين بالنحاس لانه يوجد بعض أجسام خائفة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهي تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الاجسام لا تختلط الا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد ناوى في حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا أنفاً ، لأن القصدين الذى هو كمجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتمام ويتعدى بالخليط الذى لا يعطيه الا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضاً بالنسبة لاجسام أخرى .

١٢ - القابلة للتجزئة والمنفصلة - يعنى الذى يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا مايفضلها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال « فاعلة » بدل « قابلة للقسمة » . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تغطى هذا التصحيح . - التى تتحدد بسهولة - مثل السائل الذى ضرب فيما يلى يوضح تماما ماذا يعنى بهذا . - يتمين وضحد - ليس فى النص إلا كلمة واحدة . - الاجسام الدبلة - عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذى اتفقت عليه هو الذى اتفقت عليه فيلوبون . وبدل من الاجسام الدقيقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على السواء التى يامتزاجها تغير الكمية الكلية أكثر بقلنا . - ولكن حينما يكون أحد الشيئين المختلطين - ليس النص على هذا القدر من البيان . - هو وخته المنفصل - على تقدير « فى المزيج » . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين المزوجين يعمل بقسمة فى الآخر ويقتله بحيث يلاشي . - ألا يكون أعظم البتة - لأن أحدهما يتلاشى بالتمام بوجه التقريب فى المزج . - خاتمة - النص هنا يعطى عبارة متخالفة محضة لانه يقول : « رتى » ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك يحتاج تجرى . ويظهر أن فيلوبون دعس له أيضا ، على أن المثل المقرب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . - الا اختلاطا ناقصا - وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . - هو الصورة - أو النوع . - اللذين سميا - زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . - كمجرد تغير بدون مادة - يعنى الصورة أو النوع التى تكثف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . - لونا ما - الذى ليس حولون القصدين والذى لا يحيل لون النحاس الا بعض الشيء .

§ ١٢ - فيرى اذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هي الاشياء التي بينها يمكن أن يحصل وهي تلك التي يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر والتي هي قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وأن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة في الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء أنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسهولة يمكنه أن يفعل وينفعل معا وأنه يختلط بشيء له أيضا هذه الخواص أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة الا بالإضافة الى شيء يكون واياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الاشياء المختلطة مع استحالة لها .

§ ١٢ - فيرى اذا - محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . - أن الاختلاط ممكن - ط . ما سبق ف ٢ . - هو ما هو بحسب النظريات الخصوصية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . - قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة - كالمسائل . - ليست تفسد ضرورة - لأنها تبقى فيه بالقوة .
وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس - ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذي اتخذته ينتج مما قبل سابقا في الفقرة السابقة . فإن التبين والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . - يقال على شيء أنه مختلط - هالك التعريف الحقيقي للاختلاط على رأى أرسطو . - يكون واياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) - وبعض ناشرى الكتاب يقول « مجانسها له » (هو مجين » وهذه ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اخذها . - والحاصل - النص ليس عن هذا : القدر - من الصراحة .

الكتاب الثانى

الباب الاول

نظرية عناصر الاجسام - عندها - شاهد من امينقل - المادة ليست منفصلة عن
الاجسام كما هو في فيلموس الفلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية - انها حقة بجزئها
باطلة بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ -
العنصرية للاجسام - طبعها ومدها *

§ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى
الانفعال ووضح كيف ان هذه الظواهر تقع فى الاشياء التى تكابد تغيرات
طبيعية * وقد عولج زيادة على ذلك كون الاشياء وفسادها المطلقان وبين
بأى طريقة وفى اى الاحوال ولماذا هما يحدثان * وقد درست على السواء
الاستحالة وحالة الوجود المستحيل * وفى النهاية قد بينت فصول كل
واحدة من هذه الظواهر * والآن يبقى علينا ان ندرس ما يسمى عناصر
الاجسام لان الكون والفساد فى كل الجواهر التى تركيبها الطبيعة لا
يمكن ان يظهرها بدون الاجسام التى تدركها حواسنا *

§ ٢ - من الفلاسفة من يزعمون ان جميع العناصر مكونة من مادة
واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون انها هى الهواء او النار او جسم ما

§ ك ٢ ب ١ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط - تلخيص لكل ما سبق فى
الكتاب الاول فان نظرية الاختلاط قد عرضت فى الباب العاشر منه * - وعلى التماس -
لم يكن ذكر التماس الا عرضا لانه لم يفرد للتماس نظرية خاصة * ر ١ ب ٦ *
وعلى الفعل وعلى الانفعال - ر ١ ب ٦ و ٧ وما يليها - التى تكابد تغيرات طبيعية -
بصرف النظر على التغيرات التى تحدثها الصناعة أو ارادة الانسان * ما سبق ك ١ ب
١ ف ١ - كون الاشياء وفسادها المطلقان - ر ١ ب ٦ و ٣ وما بعدها * -
الاستحالة وحالة الوجود المستحيل - ر ١ ب ٤ * - فصول كل واحدة من هذه
الظواهر - فى اثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التى
تفصل كل واحدة من الظواهر التى كانت على التعاقب موضع الدرس *
§ ٢ - هى الهواء - كما كان يعتقد ديزجين الابلوني وانكسيمين * - او النار
كما كان يعتقد هيرقليطس الايفيزوسى وهيباس كما روى فيلوزون * - جسم ما وسط
كان هذا مذهب اكسيندروس الذى كان يفترض عنصرا خامسا اخلا من طمع الاربع
الاخرى وهو مع ذلك متخيل عنها * - جاعلين هذه المادة - ليس النص على هذا القدر من
الصراحة * - هؤلاء النار والارض - كما هو مذهب برمينيد * - وأولئك الهواء ثالثا =

وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا .
وآخرون يرون انه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء :
هؤلاء النار والارض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون
مثل أمبيدقل يزدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة
انما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعزل كون الاشياء
وفسادها .

§ ٣ - فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الاوليات للاشياء يمكن
بغاية الموافقة ان تسمى مبادئ وعناصر وانه انما بتغيرها بتجزئة او تركيب
متكافئ أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانيه يأتى كون الاشياء وفسادها .
ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع
العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لان من المحال أن هذا الجسم اذا كان
مدركا بحواسنا يمكن ان يوجد من غير أن يعرض اضدادا . ما . ويلزم
ضرورة أن هذا اللامتناهى الذى اتخذه بعض انفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا
أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٤ - ولكن الطريقة التى شرح بها هذا المبدأ فى « طيماوس » ليس
فيها شيء من الضبط لانه لم يقل على وجه جلى ما اذا كان هذا الاصل
لجميع الاشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو ان طيماوس لم
يرجع فى واحد منها الى هذا المبدأ ولو انه قال مع ذلك انه الموضوع
السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الاسبقية موضوع

= مع العنصرين - ذلك كان منسوب يون الشيزوى اذا صدق تفسير فيلوبون . - مثل
أمبيدقل - انما هو دائما أمبيدقل الذى ينسب اليه الوسطى نظرية العناصر الاربعة .
ايضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ - هذه الاوليات للاشياء - حفظت عبارة النص بلاتها . - أى نوع آخر من
التغيير مثلا لا يمكن الا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الا عنصرا واحدا لانه يتغير
هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الاخرى . - وجسمانية -
هذه هى ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . - اذا كان مدركا بحواسنا - ويجب
أن يكونه ما دام أنه جوهرى ومنفصل عن جميع الاخر ، - من غير أن يعرض اضدادا
ما - عبارة النص هى « بلا تضاد » . - هذا اللامتناهى - أو « هذا غير المحدود » .
§ ٤ - هذا الاصل لجميع الاشياء - ر . ترجمة طيماوس أفلاطون لكوزان ص ١٥٢ .

- متميزا ومنفصلا عن العناصر - النقل حق ان لم يكن مهما جدا . - على الاسبقية
اضفت هاتين الكلمتين . - موضوع المصنوعات الذهبية ن . طيماوس ص ١٥٤ من
ترجمة كوزان . - على الصورة التى القى بها الينا - وفى الواقع ان طيماوس لا يتكلم
الا على التصانير المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الاصل . ان تسمى
الاشياء - التعبير ليس واضح البيان ، وهو بعينه الذى استعمله طيماوس فى هذا =

المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فإن هذا الإيضاح ليس حسنا على الصورة التي القى بها الينا . فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استخالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الاشياء بالتي منها تأتي . صدق طيماوس اذ يقول انه لادخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع ان عناصر الاشياء تكون جامدة فانه يجاوز بتحليلها الى حد السطوح . ومحال أن سطوحا تكون المادة الاولية التي يكلموننا عنها § ٥ - نحن أيضا نعترف انه يوجد مادة ما للجسام التي تتركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائما مع اضداد . على أن هذا الموضوع قد درس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ - على أنه لما أن الاجسام الاول يمكن أيضا بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الاجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الاول للاشياء ولكنها غير منفصلة عنها وانها موضوع الاضداد . فان الحار مثلا ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

= الموضوع . فإنه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب انه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكون والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم الشيء الذي خرج منه ما دام أنه لم يات من شيء آخر . - التي منها تأتي - اذا كان الامر بصدد الكون والتي اليها تنعدم . اذا كان الامر بصدد الفساد : - صدق طيماوس - ليس النص على هذه الصراحة . لا دخل في باب الحق أن يقرر - ر . طيماوس لافلاطون من ١٥٤ ترجمة كوزان . - الى حد السطوح - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعده . فان افلاطون لما حلل الاجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وان التحليل البالغ الى هذا الحد البعيد قد استلها - يكلموننا عنها - أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ - نحن أيضا نعترف - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - فيها يأتي ما يسمى بالعناصر - هذه الفكرة لا تظهر أنها عريقة في الصحة . - وأن المراد بالمادة هنا انما هو حال منطقية للاجسام أكثر منه حالا حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجملة لم تكن إلا تديلا أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فإن هذه الجملة موجودة في نص فيلويون . - ليست منعزلة البتة وباقية على طريق الاستقلال عن الاجسام كالمادة التي أخطأ افلاطون ، على رأى أرسطو ، في قبولها . - مع اضماد - فان المادة لها دائما كيف يميزها لا انفكاك لها عنه - في موطن آخر - في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصا ف ٢٠ س ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . - بأوسع من ذلك وأضبط - ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٦ الاجسام الاول - حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضا مثلا - أضفت هذه الكلمة . - ليس هو مادة - بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التباين :

٧ § - حينئذ بادئ بدء الجسم الذى هو مدرك بالقوة باحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتي الاضداد كالحار والبارد مثلا . وفى المقام الثالث النار والماء والعناصر الاخرى المشابهة . هذه الاجسام كلها تتغير تغيرا بعضها الى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لانه بحسب نظرياتهم قد لا يكون بعد حتى ولا الاستحالة ، وانما هى المقابلات بالاضداد هى التى لا تتغير بعضها الى بعض . على انه لما كانت تلك هى مبادئ الاجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعندها لان الفلاسفة الاخرين استخدموا ذلك فى مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الاضداد لها الطبع الفلانى وانها فى العدد الذى نراها عليه .

٧ § - الجسم الذى هو مدرك - هو المادة المفهومة على المعنى المنطقى أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست حادثة الا على شكل واحد من الاثنين . - النار والماء - يعنى الاولية العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التى تركيبها على حسب نظريات أرسطو التى هى أيضا نظريات الاقدمين . - الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون - المعنى ليس بينا وقد جعله الايجاز فى التعبير غامضا : فان أمبيدقل وفلاسفة آخرون يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقا ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلما بها . - وانما هى المقابلات - ليس النص على هذا التقدير من الصراحة . - فى مذاهبهم . - أضفت هاتين الكلمتين .

الباب الثانى

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التى يعرضها الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبرد والحر والجفاف والساكن - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية .

§ ١ - ما دمنا نبحث فيما هى مبادئ الجسم المدرك بحواسنا أعنى الجسم الذى يستطيع اللمس ان يدركه وما دام ان جميعا يعرفنا اياه اللمس هو الذى يكون حسه الخاص هو اللمس فينتج بالبداهة ان جميع المقابلات بالاضداد التى يمكن مشاهدتها فى الجسم لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها انما هى فقط أنواع ومبادئ الاضداد التى تخص حاسة اللمس . ان الاجسام تتمايز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التى يمكن لللمس ان يبينها لنا . لذلك نرى لماذا انه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة ولا أى واحد من الاضداد المحسوسة ليس عنصرا للاجسام .

§ ٢ - وهذا لا يمنع ان يكون النظر حاسة اسمى من اللمس وبالنتيجة ان موضوع النظر هو اسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما هو ملموس بل هو يرجع الى شىء مغاير تماما يمكن من ذلك ان يكون متقدما عليه بطبعه .

§ ب ٢ ف ١ - الجسم المدرك بحواسنا - الجسم المادى والمحسوس . - أعنى الجسم الذى يستطيع اللمس ان يدركه - يلاحظ فيلوبون بحق ان أرسطو يشتغل أولا بحاسة اللمس لان هذه الحاسة أكثر الحواس ادراكا ممكنا . فان من الاجسام التى تخفى على نظرنا ما ندرکه بحواسنا . وذلك كالهواء اذ بينما لا يمكننا ان نراه يؤثر فى احساسنا بان يلامسنا . - يعرفنا اياه اللمس - عبارة النص هى : « جسم قابل لللمس » . - التى يمكن مشاهدتها فى الجسم - أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما . - لا تؤلف أنواعه ومبادئه - هذا التفوق الذى لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الاول والثوانى للاجسام ويذكر به . تلك هى النظرية التى قبلتها بعد ذلك المدرسة الايقوسية . - ليس عنصرا للاجسام - عبارة النص : « لا تكون عناصر » .

§ ٢ - ان يكون النظر حاسة اسمى - ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا فى نظرية الرؤية . - من اللمس - ر . كتاب النفس ب ١١ ص ٢٢٧ . ان موضوع النظر هو اسمى أيضا - ر . أول ما بعد الطبيعة : ك ١٠ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . فان أرسطو يجعل فيها النظر أعلى مرتبة من جميع الحواس كما فعل هنا . - ليس عرضا - أو « كيفا » . - الى شىء مغاير تماما . - حفظت عبارة النص على عدم تحدها . - متقدما عليه بطبعه - أى للشىء الخاص بحاسة اللمس .

§ ٣ - حينئذ بالنسبة للملحوسات انفسها يلزم الفصل والتمييز بين الفصول الاولى لها ومقابلاتها الاولى بالاضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الاتية : البارد والحر ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والمفريك ، الاملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الاضداد الثقيل والخفيف ليسا لا فاعلين ولا منفعلين لانه ليس لانهما يفعلان أحدهما في الآخر او لانهما يفعلان أحدهما من الآخر اعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفعل وتنفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام انها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض .

§ ٤ - ولكن الحر والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك اولاهما لانها تفعل والاخرى لانها تنفعل . فان الحر هو الذي يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لان التفريق الذي يقال عن النار انها تفعله انما هو في حقيقة الامر تركيب الاشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل اذا هو ان النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الاشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك ان يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة الا بعناء .

§ ٣ - بالنسبة للملحوسات انفسها - حفظت كلمة النص بعينها التي لا خفاء في معناها بعد الايضاح السابقة . فان الملحوسات هي الاجسام التي تعزفها لنا خمسة اللمس فقط . الفصل والتمييز - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومقابلاتها الاولى بالاضداد - عبارة النص : « التضاد » . لانها يفعلان أحدهما في الآخر - عبارة النص ليست على هذا الوضوح . اعطيا الاسم الذي يحملانه - عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ - اولاهما لانها تفعل - يظهر أن فعل البارد وقفل الحر متكافئان تماما وانهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعني بالاولاهما الحر والبارد وبأخرهما اليابس والرطب وقد عني فيلوبون بأن يوضح في اطناب لماذا يجعل أرسطو من البارد والحر عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا - هو الذي يجمع - وبهذا المعنى أن الحر يفعل . الجواهر المتجانسة - هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسيح وتلويح تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كالمسائل . في حقيقة الامر - زدت حقه الكلمات - تخرج ونفني - ليس في النص الا كلمة واحدة . - البرد على ضد ذلك يجمع - وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحراة . والتي ليست من نوع واحد - فان الثلج يجلد ويجمع غالبية الجواهر الأكثر تباينا . ما ليس محدودا في صورته الخاصة - فان المسائل لم يكن البتة الا صورة الحادى له . اما هو نفسه فليس له صورة في كئلته . في حدودها الخاصة - او « في سطحه الظاهر الخاص » . صورة حدود - النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو خلود .

٥ - من هذه الفصول الأول انما يأتي المتخلخل والكثيف واللبق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . اذا كان جسيما له خاصية امكان أن يملأ الاين بسهولة يتصل بالسائل لانه غير محدد هو نفسه وانه يخضع من غير أدنى عناء الى فعل الشيء الذي يلمسه تركا ذاته تاخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الاين على سواء لانه لما لم يكن له الا اجزاء خفيفة وصغيرة كان يجيد الملء ويلامس تماما وهذه خاصية تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليايس . ومن جهة أخرى الدبق يتعلق ايضا بالسائل لان الدبق ليس الا نوعا من السائل مع بعض كيفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليايس لان الفريك انما هو النام اليبس . ويمكن القول بأنه لم يتجبد الا لحلوه من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضا ان اللين جزء من السائل لان اللين هو ما يطاوع عنده التوائه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضبط ايضا . تلك هي العلة في ان السائل لم يسم ليناً في حين ان اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليايس لان الصلب هو شيء من المتجبد واليايس .

٦ - على أن يابسا وسائلا لفظان يجعلان على معان شتى ، فأن السائل والمبتل يمكن ان يعتبرا كمقابلين لليابس كما انه اليايس والمتجبد جسيما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليايس

ليس النص على هذا القدر من الصراحة .
 قد لا تكون الا قانونية بالنسبة للفصول الأول للبارد .
 - خاصة امكان أن يملأ الاين - ليس في النص الا كلمة
 ايضا ان يفهم من الاين « الإمكانيّة الفارغة أو التجاوب » كما فهم
 بالسائل - عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » أي جزء
 - حبيب وصغيرة - هذا غير صحيح تماما وان السطح مهما يكن متخلخلا فانه لا
 يجنب أن يملأ الاين بحسب الوضع الذي يعطى اياه . - يتعلق أيضا بالسائل أو
 من السائل كما ذكر في المتخلخل :
 - كالزيت . - كان يمكن إيجاد بقل أكثر انطباعا . - من كل سائل . - أو « من كل
 رطوبة » - ودون أن ينتقل - كحال الماء الذي تتفصل جزئياته في حين أن الجسم اللين
 تبقى جزئياته متصلة معطوحتها للضغط الواقع عليها . - يتعلق بصنف السائل وطوره
 من السائل . - من المتجبد - هذا هو لفظ النص يعينه تركبته على معومه .
 ٦ - يابسا وسائلا - أو « يابسا ورطبا » وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته
 أظهر بالمبتل الذي سيأتي ذكره . - اليايس والمتجبد - ربما يمكن أن يقال أيضا (اليايس
 والمتجبد) هذه الخواص المختلفة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على المعنى
 الأولى لهاتين الكلمتين - ر . الملاحظة في ف ٣ . - المتفتح - أو « المنفوخ » - يحصل
 بالسائل - ر . ملاحظتنا على هذا التنبيه في الفقرة السالفة .

محمولين على المعنى الاولى لهاتين الكلمتين ، لانه من حيث ان اليايس هو مقابل للمبتل وان المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين ان المتنقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما أن اليايس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فبين بذاته ان المبتل يتصل بالسائل في حين ان اليايس المقابل له يتصل باليايس الاولى .

§ ٧ - ويجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلوا منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليايس .

§ ٨ - فبين حينئذ أن كل الفصول الاخرى يمكن أن يرجع بها الى الاربع الاولى وان هذه لا يمكن ان ينزل عددها الى أقل من ذلك لان الحار ليس هو والرطب أو اليايس شيئا واحدا كما ان الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليايس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل انه لا يوجد ضرورة الا هذه الاربعة الفصول الاصلية .

§ ٧ - في السائل ٠٠٠ بصنف السائل - يظهر أن هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطررت أن أتبع الاصل . ولم يفسر فيلوبون هذا العيب الذي ربما لم يظن له .

§ ٨ - في الفصول الاخرى - التي ذكرت ووضعت بعد الفصول الاربعة الاولى والاصلية . - الى الاربعة الاولى - البارد والحار واليايس والرطب . - الى أقل - يعني الى اثنين بدل أربعة . - والرطب - أو « السائل » . - الاصلية - أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١ .

الباب الثالث

تركيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها -
تظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون - أمبيل - طبع العناصر المختلفة
الامكنة المختلفة التي يشغلها في الاين .

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر وان التراكيب الممكنة لحدود اربعة
هي ستة ، ولكن أيضا لما ان الاضداد لا يمكن أن تزود بينهما ما دام
البارد والحار واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد
بعينه ، فبين أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار
ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب .

§ ٢ - تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الاجسام التي تظهر بأنها
بسيطة : النار والهواء والماء والارض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار
ورطب ما دام ان الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل واخيرا الارض
باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الاجسام الاول
يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ - وفي الحق ان كل الفلاسفة باعترافهم للاجسام البسيطة بأنها
عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة اربعة .

§ ٤ - فأما الذين لم يقبلوا منها الا واحدا فمضطرون الى توليد كل
الأخرى من تكثيف هذا العنصر او تخفيفه . وبالتالي يقبلون مبداين

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر - هذه هي عبارة : لنص ولكن الحار والبارد ، واليابس
والرطب اولي بها أن تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . - أن تزود
بينها - لانها تتفاسد . - أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب - ليس النص على هذه الصراحة .
- رطب - أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الاغريقي يفيد سائلا كما يفيد رطبا .

§ ٢ التي تظهر بأنها بسيطة - أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لقل شك في بساطة
العناصر بالاطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة
العناصر يمكن أن تحقق بالمعينة . - والماء بارد وسائل - اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب
لانه أنسب للماء .

§ ٣ - للاجسام البسيطة بأنها عناصر - الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد
من الفلاسفة قد قبل أكثر من اربعة عناصر . ومع ذلك فإن أرسطو نفسه في الميتافيزيقا
قبل فيما يظهر خامسا وهو الاثير . ن . الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ٤ ص ٩ من ترجمتنا .
§ ٤ - تكثيف . . . او تخفيفه - ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من
ترجمتنا . - هذا العنصر - أضفت هاتين الكلمتين لتمام الفكرة . - الفواعل المؤلفة - او

المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب هي الفواعل
المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة .

§ ٥ - وأما الفلاسفة الذين هم كبرمينيد يقبلون عنصرين انوار
والارض ، فيعتبرون العناصر الوسيطة الهواء والماء مزيجا من ذينكم
العنصرين . كذلك الحال عند الذين يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون
في تقاسيمه لان عنده العنصر الوسط ليس الا مزيجا . وحينئذ الذين
يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن يكونوا على اتفاق تام لولا
أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين يتكون له
وحدته .

§ ٦ - ومنهم كامبيدقل من يعترفونا جليا بأربعة عناصر غير انه هو
ايضا ينزلها الى اثنين لانه يقابل بالنار كل العناصر الاخرى مجتمعة .
فعلى رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا اى واحد من العناصر
الاخرى بسيطاً بل ممزوجا . فان الاجسام البسيطة هي جميعها بسيطة

« الصانعة » . - خاضعا لفعالها - ليس النص على هذه الصراحة . - بما هو مادة - اهل
لأن تقبل الاضداد على التعاقب .

§ ٥ - كبرمينيد - في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ . أن المبداين المنسوبين الى برمينيد
هما المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد وليس هما النار والارض مع أن النار يمكن أن
تشخص بالحار والارض بالبارد . - في تقاسيمه - قد يظهر أن هذا يدل على عنوان
خاص لمؤلف لافلاطون ولكن فيلوبون بناء على قول مفسرين سابقين يؤكد أن المؤلف
المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان منتحلا . ويرى الاسكندر الافروديزي أن
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لافلاطون التي يرويها أرسنطو بالصراحة في
الطبيعة ك ٤ ب ٤ ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو
التقاسيم المبينة في محاوراة أفلاطون المعنونة « السفسطائي » . ويظهر أن تفسير الاسكندر
هو الاقرب للاحتمال . - ليس الا مزيجا - كما يرى برمينيد . - يوشك أن يكونوا
على اتفاق تام - ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين . - العنصر الوسط الى اثنين - قد
لا يكون هذا مطابقا تماما لما قيل آنفا فان برمينيد يظهر أنه يقبل عنصرين وسطين لا
واحدا ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء .

§ ٦ كامبيدقل - ر . ما سبق ب ١ ف ٢ . - كل العناصر الاخرى مجتمعة
- ليس النص على هذا الضبط . - فعلى رأى أمبيدقل - أضفت هذه العبارة لانه يظهر
لي أن كل ما سياتي لا يمكن استناده الا الى أمبيدقل . وهذا تفسير بان توماس وجامعة
كويبريا . ويظهر أن فيلوبون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة . - بل ممزوجا -
من الصورة والهيولى كما يقول فيلوبون . - الاجسام البسيطة - عبارة النص غير
محددة وهي « البسائط » ومن الجائز أن يكون المراد هنا الاربعة العناصر الخاصة الحار
والبارد واليابس والرطب . وعلى الرغم من الجهد الذى بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقلة
غامضة . - الجسم المشابه للنار - هو المركب من الحار واليابس . ر . ما سبق ف ٢ .
- ولكنه مع ذلك - ليس النص على هذه الصراحة . - الجسم المشابه للهواء - وهو المركب من

بلا تشك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة . مثلاً الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بانضبط نارا . والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء . وكذلك الحال في بقية العناصر . ولكن النار هي افراط في الحرارة كما أن الثلج افراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما افراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحار . فإذا كان إذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضاً غليان الحار واليابس . فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار .

§ ٧ - الاجسام البسيطة بما هي في عدد الاربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الاين . فالهواء والنار هماً من المكان المائل نحو الحد الاقصى . والارض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز وأن العناصر الطرفية والمتخالفة أكثر من غيرها هي النار والارض . والعناصر الوسطى والاكثر تمازجة هي الماء والهواء . وفي كل طائفة احد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والارض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيميائيات متضادة .

الحار والرطب . ر : ما سبق ف ٢ . - التجلد والغليان - من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء . وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي توضح تعيين درجة حرارة الاجسام . - فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا يظهر أن المعاني مرتبطة بحد الارتباط نفسها بعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست ، لا تديلاً .

§ ٧ - الاجسام البسيطة - هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع الى الكلام على تلخيصه الخاص وأن ليس المراد هنا : الكلام على المذاهب الخصة لأبيدق . - يكرر واحد من مكاني - اللوق والتحت . - الاين - أضفت هذه الكلمة ، فمن الممكن المائل نحو الحد الاقصى - عبارة النص غير متحدة قليلاً ومع أني حددتها نوعاً ما فلم أبلغ جعلها أجلى بياناً . - الذي هو نحو المركز - نلاحظ هنا الملاحظة السابقة . - العناصر الطرفية - معنى التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الاين للمركز وللحيط الاقصى . - والمتخالفة أكثر من غيرها - هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن يعني به تركيبها . وقد يمكن أن يقال « الاظهر » في اتجاهها . - والاكثر تمازجة - هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصاً على الحركة . - هو ضد للآخر - في الطائفة الاخرى . - الارض ضد الهواء - التقابل ليس بين الظهور . - كيميائيات متضادة - أنظر ما يلي .

§ ٨ - ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الاربعة الاجسام البسيطة
لا يتعلق كل واحد منها الا بكيف واحد . على ذلك الارض هي من اليابس
أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من
السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي
من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

§ ٨ - فعلى القول بالاطلاق - زدت لفظ « القول » . - الا بكيف واحد - عبارة
النص غير محدودة . - أكثر من أن تكون - هذا يناقض قليلا مفهوم قوله «على الاطلاق»
في أول الجملة . - من البارد أكثر من أن يكون من السائل - يظهر أن الامر على ضد
ذلك أن الماء سائل أكثر منا . باردا . فهو سائل قبل كل شيء ولكن المذهب الذي وضع
هنا يقتضى هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال
أيضا بدل السيولة السائلة .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - أمثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب توافر كميات العناصر أو تباينها - خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر *

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعايينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق إلا على كميات الأشياء التي يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها إلى بعض وما إذا كان ممكنا أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو إذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالا بالنسبة للبعض الآخر *

§ ٢ - فإذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها إلى بعض لأن كون الأشياء يروح إلى الاضداد ويجب من الاضداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر لأن فصولها أضداد وحينئذ في بعض العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والندار فإن أحدهما يابس وحار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الأخرى ليس لها إلا واحد من الفصلين كالهواء والماء فإن أحدهما هو سائل وحار والثاني بارد وسائل *

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة أن كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطا بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون إذ وضعوا لكتابين أحدهما تلو الآخر . - المعايينة الحسية - عبارة النص « الحس » . - لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة الدليل ليس جيد البيان إذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وإنها تقتضيه . فإنه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر شيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتي من عنصر آخر . - التي يمكن لمسها - ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . - تغير العناصر بعضها إلى بعض - يمكن مراجعة كتاب السماء وكتاب الميتورولوجيا أيضا ك ١ ب ٢ ص ٣ من ترجمتنا § ٢ - أمر بديهي - بالتدليل أكثر منه بالمباشرة . - يروح إلى الاضداد - حفظت عبارة النص على فرط إيجازها . ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفصيل التي تقدمت . فإن الشيء يتكونه يذهب من اللاوجود إلى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود إلى اللاوجود فهو يجاوز ضدا ليذهب إلى الضد الآخر . - لها تقابل - اتخذت لفظا أعم من لفظ النص الذي هو « تضاد » - فصولها أضداد - ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ *

٣ - وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لأنه سيبرى أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد، إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها إلى بعض سراعاً جداً . وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء . وعلّة ذلك أن شيئاً واحداً بمفرده يتغير بأسرع من عدة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس إلا ، ما دام أن أحدهما يابس وحر والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه إذا كان اليابس مغلوباً بالسائل فيتكون الهواء ثم أنه من الهواء يتكون الماء إذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلاً وحراراً والثاني كان بارداً وسائلاً فيكفي إذا أن الحرارة وحدها تتغير لأجل أنه يتكون الماء .

٤ - وبهذه الطريقة عينها أيضاً أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضاً لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصول فإما الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابساً بحيث أنه إذا كان السائل هو المغلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابساً وحارة والأرض يابساً وباردة فإذا فسد البارد فمن الأرض تتكون

فان أحدهما هو سائل - قد اضطرت للاحتفاظ بلفظ « سائل » المطبق على الهواء كما هو أيضاً في النص .

٥ - بأن يشاهد - وصية جديدة بنط المشاهد - لفظ ارتباط - ربما كان أصح أن يقال « تركيب » ممكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أسطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . - تحولت - أو « مرت من واحد إلى الآخر » . أحد الكيفين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - كان - قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفاً . - يابس وحر . . . حار وسائل . - أي أن كيفي الحار يجتمعان ما دما متماثلين . فلا يبقى للتغير إلا اليابس والسائل . - كان سائلاً - حفظت صيغة الماضي الناقص كلها هي في الأصل .

٦ - نقطة جمع ووصول - ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالاشياء التي يمكن جمع أجزائها لتؤلف كلا بعد أن فصلت .

- هو المغلوب - بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين إلا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . - فمن الأرض تتكون النار - كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع إلى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع إلى القرن السادس عشر . - العناصر التي تتماثل - ليس في النص إلا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة . - جمع ووصول - ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

النار • فيرى حينئذ أن كون الاجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لان العناصر التي تتعاقب لها دائما بينها نقط جمع ووصل •

§ ٥ - والماء يمكن أيضا ان يأتي من النار والارض من الهواء وبالعكس يمكن ان يأتي أيضا الهواء والنار من الماء ومن الارض • ولكن هذا التحول هو أصعب لان موضوع التغير أشياء أكثر عددا • وفي الواقع لاجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل وكذلك لاجل أن يأتي الهواء من الارض يلزم أن البارد واليابس يفسدان • وهذا اللزوم واجب أيضا لاجل أن الماء والارض يأتیان من النار ومن الهواء لانه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير •

§ ٦ - وأيضا الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو ابطأ • ولكن اذا فسد احد كفي كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ • غير أنه من النار ومن الماء تأتي الارض والهواء ، ومن الهواء ومن الارض تأتي النار والماء • وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لانه لا يبقى بعد الا حار أحدهما وسائل الآخر • ولكن اذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الارض لانه لا يبقى حينئذ الا يابس أحدهما وبارد الآخر •

§ ٧ - وكما هو الامر في الهواء والارض يكون في تكون النار

§ ٥ - والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار - ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لا بد من الوسطاء • وها هنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى • - هذا التحول - عبارة النص أشد ابهاما • - البارد وسائل - اللذان هما كيفا الماء • - البارد واليابس - كيفا الارض الخاصان • - الكيفان - لفظ النص غير محدد •

§ ٦ - الكون - كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الاخرى • - لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر - وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية • ينازع فيلوبون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الاسكندر الافروديزي •

- غير أنه من النار ومن الماء - لا يظهر أن المعاني متعاقبة تماما • - يتكون الهواء عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنتجاء • - تتكون الارض - الملاحظة عينها • - يابس • • • وبارد - اللذان هما كيفا الارض •

§ ٧ - سائل أحدهما - لسائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواء • ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لان لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا =

والماء لانه اذا فسد حار الهواء مع يابس الارض يتكون الماء مادام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الارض تتكون النار لانه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لانه انما هو النّهب الذي هو على الاخص نار والنّهب ليس الا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

§ ٩ - في العناصر التي تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد في واحد أو في الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر الى اى جسم آخر لان البواقي التي تبقى في الاثنين هي اما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يحصل جسم . مثال ذلك اذا فسد يابس النار واذا فسد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هي التي تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما اذا كانت هي الحرارة التي تنعدم من الاثنين فانه لا يبقى بعد الاضدان وهما اليابس والسائل ، ويجرى هذا المجزى في جميع الاحوال الاخرى ما دام أنه في الاحوال التي من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المائل وتارة الكيف المضاد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ انه لاجل تكوين العناصر مارة

= في بعض الاحوال . ويمكن أيضا ان تستعمل كلمة « لطيف » للهواء ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص . وهما الكيفان الخاصان بالنار - ر . ما سبق ب ٣ ف ٢ .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار - ليس النص على هذه الصراحة - يتفق جدا مع الحوادث - لا يظهر ان هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الذي يوصى باتباعه حق ولو انه لم يحسن تطبيقه . - الدخان يتركب من هواء وأرض - لان الدخان على رأى أرسطو هو تبخر الخشب . ر . الميتورولوجيا ك ٩ ب ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ التي تتوالى وتتعاقب - مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والارض بعد الماء ما دامت العناصر الاربعة مرتبة على هذا النظم . - مرور وتحول - ليس في النص الا كلمة واحدة .

- البواقي التي تبقى في الاثنين - ليس النص على هذه الصراحة . - نتيجة ممكنة - يعنى جسما ثالثا مخالفا للجسمين الذين انتجاه . - الحرارة هي التي تبقى - وفي هذه الحالة هي النار . - ضدان - يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يتفاسدان على التكافؤ . مارة ومتغيرة - ليس في النص الا كلمة واحدة . - من واحد الى واحد

ومثغيرة من واحد الى واحدة يكفي أن كيفاً واحداً يفسد • ولكن بالنسبة
للعناصر التي تمر من اثنين الى واحد فقط • هنالك يحتاج الى فساد
عدة كيفيات •

§ ١٠ - وعلى جملة من القول فإنه قد وضع ان كل عنصر يتولد
من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها الى بعض •

- التعبير ليس دائما جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه • ب كيفاً واحداً - الكيف المضاد •
والنص ليس على هذا القدر من الضبط • - عدة كيفيات - كلمة النص في غاية الإبهام •
§ ١٠ - وعلى جملة من القول - عبارة النص هي بالبساطة : « حينئذ » •

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر - من المحال الا يوجد الا عنصر واحد منه تاتي كل العناصر الاخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقى للعناصر المختلفة - شاهد من طيموس لافلاطون - عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض - يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العنصر الاوسط - المحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التنبؤ الى اللانهاية فى اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفى لهذا المبدأ .

§ ١ - التفاصيل السابقة لا تمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فاذا كانت مادة الاجسام الطبيعية هى . كما يرى بعض الفلاسفة الماء والهواء اى عناصر من هذا القبيل فيلزم ان تكون واحدا او اثنين او عدة من هذه العناصر . وفى الحق لا يمكن الا تكون جميع الاشياء الا عنصرا واحدا واحدا . مثلا ان الكل لا يكون الا هواء او ماء او نار او ارضا مادام التغير يحصل فى الاضداد . وفى الواقع نفرض ان الكل هو من الهواء وان الهواء يبقى فى جميع التغيرات فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ - ولكن فى هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، ان يكون الماء فى آن واحد هواء او اى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين التكيفيات تقابل وخلاف حيث لا يكون للنار الا واحدا من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة ان تكون بالبساطة هواء حارا لان هذا انما هو استحالة . ولا يظهر ان الامور تقع على هذا النحو . ومن جهة اخرى اذا فرض على العكس ان الهواء يأتى من النار فهذا التغير لا

§ - التفاصيل السابقة - ليس النص على هذه الصراحة . - على ضوء آخر - عبارة النص بالضبط هى : « هكذا » يعنى « بالطريقة الآتية » . - فاذا كانت مادة الاجسام الطبيعية - يجب ان يعنى ما هنا بالاجسام الطبيعية اولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الاجسام التى تؤلفها العناصر الاولى بتركيبتها . كما يرى بعض الفلاسفة وعلى الاخص فلاسفة مدرسة يونيا . - عنصرا واحدا واحدا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ما دام التغير يحصل فى الاضداد - وان تقبل واقعية التغير المدرك بحواسنا - فى جميع التغيرات أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ - ان يكون الماء - بعض الناشرين يثبت النار بدل الماء ، وأظن ان هذه هى الرواية الحق لانها هى وحدها التى تتفق مع كل ما يلى . ويظهر ان فيلوبون ايضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص لان هذا التغير لا يستند الى أية نسخة مخطوطة .

- بين الكيفيات - أضفت هاتين الكلمتين لتتام المعنى . =

يمكن حصوله الا بالتغير من الحرارة الى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون اذا في الهواء وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لانه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيبقى مماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للثنين .

§ ٣ - قد يكون التدليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الاخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الاخر . لان هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الاضداد هواء ونارا معا . ولكن ثانی الضدين هو العدم وبالتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض الفلاسفة ، عن اللامتناهي وعن الحاوي . فيلزم اذا اما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن ان يكون على السواء هو ذلك الوسيط واما الا يمكن ولا واحد منها ان يكونه .

= واحد من الطرفين - هذه هي كلمة النص بعينها أثبتها وربما قد لا تكون الكلمة المختارة . - الحرارة - بافتراض أن الهواء حار وسنأكل كما سبق في ف ٢ و ٣ - الامور تقع على هذا النحو - ليست عبارة النص على هذه الصراحة . - أن الهواء يأتي من النار - كما افترض أفلاطون أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض الا عنصر واحد أحد . - من الحرارة - التي هي في النار بالبداية . - الى ضدها - الذي هو البرودة . - هذه الكيفية المضادة - ليس في النص الا اسم إشارة غير محدد . - وسيوجد حينئذ - هذه هي النظرية التي سيقف عندها أرسطو فيما يلي . - أية مادة أخرى عامة للثنين - هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الاضداد ونوعه . ر . طيمائوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء - النص مبهم جدا . - قد يكون المنبع الوحيد - النص مبهم جدا أيضا . - عنصر آخر وسيط - كما كان يرى أئتكسيمندروس على رواية فيلوبون . - هو العدم - ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ مسن ترجمتنا . فان العدم هو ثانی الضدين بمعنى أن هذا الضد الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . - وعن الحاوي - حفظت لفظ النص على إبهامه . ر . على اللامتناهي الطبيعة لا ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير إليهم هنا أرسطو بلا شك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . - يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط - ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذي وفيثاغورث ظاهر من شرح فيلوبون .

§ ٤ - ولكنه اذا لم يكن اجسام محسوسة سابقة على تلك
 فالعناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ اما أن تثبت
 العناصر الى الابد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض واما أن يتغير
 على الدوام . يمكن أن يسلم ايضا امكان تغيرها جميعا أو أن بعضها
 يمكن ان يتغير وأن الاخرى لا يمكنها ذلك كما قال أفلاطون في طيماوس
 ولقد وضح فيما سبق ان العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض
 ولكنه قد بين ايضا انها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل
 وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة لتتغير بينها نقطة صلة أعني كيفامشتركا
 وابطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فاذا لم يكن اذا الامقابلة
 واحدة بالاضداد على حسبها تتغير الاجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن
 يوجد جسمان لان الهيولى انما هي التي تصلح وسطا للضدين غير
 مدرك وغير منفصل ولكن لما انه يوجد بالمعانية عناصر اكثر فان أقل
 ما يمكن أن يوجد من المقابلات انما هو اثنان ومتى وجد اثنان فلا يمكن
 ان يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقا أربعة كما قد تدل عليه
 المشاهدة . وهذا انما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لانه ولو أنها
 ستة في المجموع الا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لانهما ضدان
 أحدهما للآخر . ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ - مع أن العناصر تتغير بعضها الى بعض فان من المحال ان
 يوجد مبدأ التحول لافى أحد الطرفين ولا في الوسط . واليك ما يشتبه
 فأما الطرفان فانه ليس ممكنا ان تكون كل الاشياء من النار كما انها
 لا تكون كلها من الارض ، لان هذا يرجع الى القول بأن الكل يتولد من
 النار أو ان الكل يتولد من الارض . ولكن لا يمكن ان يقال ايضا ،
 كما يريد بعض الفلاسفة ، ان الوسط هو المبدأ وأن الهواء ينقلب الى

§ ٤ .. اجسام محسوسة - عبارة النص غير محددة . فالعناصر التي نعرفها -
 زدت « التي نعرفها » - كما هي - زدتها ايضا . - كما قال أفلاطون في طيماوس
 - ر . طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . - فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣
 و ٤ . - أعني كيفا مشتركا - زدت هذه العبارة على جملة التذييل - مقابلة واحدة
 بالاضداد ليس في النص الا كلمة واحدة . - للضدين - أضفت هذ الجار والمجرور لاتمام
 الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ من ترجمتنا . - عناصر أكثر - ليس النص على هذه
 الصراحة . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ - مبدأ التحول - عبارة النص هي بالبساطة « مبدأ » . - من النار ١٠٠٠
 من الارض - بأن النار والارض هما العنصران الطرفان . - الهواء ينقلب الى نار - بما
 أن الهواء عنصر وسيط . - الماء ينقلب الى هواء - الملاحظة عينها . - أكرر - أضفت
 هذه الكلمة . - أن يتغير بعضها الى بعض - لان الاطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها
 لا تتبدل على طريق التكافؤ .

نار إلى ماء ولا أن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض • لأنى أكرر أن الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض •

§ ٦ - على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى السير إلى انلانهاية على خط مستقيم لأنه يترتب عليه وجود مقابلات واضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد • فلنرمز للأرض بحرف ا وللماء بحرف م وللحواء بحرف هـ وللنار بحرف ن • فإذا تغير هـ إلى ن والى م فالتقابل يكون بين هـ ، ن • ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسود • ومن جهة أخرى إذا تغير هـ إلى م فسيكون تقابل آخر لان م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فإذا كان حينئذ الابيض هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فإذا لم يكن أبيض فيكون أسود مادام أن التغير لا يحصل إلا إلى الاضداد • فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء إما أبيض وإما أسود ويمكن افتراض أنه فى الحالة الأولى • وبالطريقة عينها أيضا ي البيوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء لانهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم أبيض •

§ ٧ - فبين إذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض • والكيوف الباقية ستوجد فى (١) الأرض كما يوجد فيها نقطتا الاجتماع والارتباط الأسود والسائل مادام أن هذين الكيفين لم يتركبا معا بعد بآية طريقة كانت •

§ ٦ - يلزم إيجاد نقطة وقوف - التى هى أحد الطرفين • - إلى اللانهاية على خط مستقيم - معنى من غير أن يرتد على عقبيه لينهب من جديد من الطرف الثانى إلى الطرف الأول كما ذهب أولا من الطرف الأول إلى الطرف الثانى ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست بينة بيانا كافيا • - مقابلات واضداد - ليس فى النص إلا كلمة واحدة • - فلنرمز للأرض بحرف T - (بالفرنساوية وقد وضع بدلها فى النص العربى حرف ا) فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه عليه فيلوبون كما فعلت فى الترجمة • ومع ذلك فإن هذا المثل الخرقى لم يأت بإيضاح كبير • - البياض والسود • نبه سان توماس بحق إلى أن هذه الامثلة ليست مختارة وإن هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر م ، ن ليسا متماثلين - بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار • - السيولة - يمكن أن تترجم أيضا « الرطوبة » • أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء - كل هذه التغيرات هى نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع فى شئ • والمؤلف ما هنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به •

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى أهم مما ينتهى بعض الشئ وقصرها على عنصرى الأرض والنار • - الكيوف الباقية - معنى =

§ ٨ - وهآك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى الى اللانهاية مبدأ اعتمدنا عليه من قبل ان نقرر الايضاح الذى سبق ، وذلك هو - أنه اذا فرض أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير الى عنصر آخر ولا ترجع الى الورا وانها مثلا تتغير الى ر فمن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالاضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا مادام أن ر لا يمكن ان تكون مماثلة لى واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض ان الكيف ك هو كيف ن وان الكيف ى هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لان كل هذه العناصر يتغير بعضها الى بعض ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضح بعد فأننا من البين على الأقل انه اذا تغير ر من جديد الى عنصر آخر فمن ثم يكون تقابل آخر بالاضداد ويكون بين ر و بين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيـد وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث انه اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . واذا كان هذا ممكنا فمن ثم يكون من المحال ان يعطى أى قول شارح وأن يوضح كون أى عنصر ما مادام انه يلزم ، اذا كان واحد يأتي من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد منه

= التى لم يتألف أحدها مع الآخر بعد . - تقطعا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث أن أحدهما يتغير الى الآخر . § ٨ - مبدأ اعتمدنا عليه - ر . ما سبق ف ٦ . - الايضاح الذى سبق - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - ولا ترجع الى الورا - يعنى اذا توالى التغير على خط مستقيم واذا لم تتغير النار على التعاقب الى هواء وماء وأرض لتتغير الأرض بعد ذلك الى ماء وهواء ونار . - المذكورة آنفا - ر . ب ٥ و ٦ . - لا يمكن أن تكون مماثلة - يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والأرض . - الكيف « ك » - عبارة النص هى فقط « ك » . - فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر - ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الأخرى بواسطة « ن » - للحد المزيـد - كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الأخرى . - اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد - يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلوا العنصر الخامس كما افترض الخامس تلوا للاربعة الاول . - لعنصر واحد أحد - ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض على التعاقب . - أى عنصر ما - عبارة النص غير محددة - ما ذكرنا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - بل وأزيد منه - هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الاوساط غير متناه

- لبعض العناصر - عبارة النص غير محددة ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر . - اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد - كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنار هما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فمن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والأرض .

ويستج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغيير ممكن البتة ، مثال ذلك اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد وهذا لازم اذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها ، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغيير من هسواء الى نار اذا كانت المقابلات التي تجتاز هي غير متناهية بالعدد .

§ ٩ - وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد لانه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة إما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن واما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث أن الكل ينتهي الى واحد .

§ ٩ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر حتى لو فرض أنه لا يوجد الا أربعة عناصر فما دام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يقرره أرسطو فانه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهي الى واحد . ومع ذلك فاني لست واثقا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الاوساط هي التي تنتهي الى واحد . كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد - حفظت عدم التعيين الموجود في النص . ومازالت هذه الفقرة مغلقة على الرغم من توضيحات فيلويون الذي يستند مع ذلك الى الاسكندر الافروديزي . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل الينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أى تحريف ها هنا . وإن الفكرة العامة لهذا التبدل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه ويلزم الاستمسك بالاربعة العناصر التي تدركها حواسنا . وبالاربع . الكيفيات التي تشخصها وتميزها . وقد فرسان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذي ليس من عادته . ولم يكن هذا الايجاز ليساعد على جلاء المعنى .

الباب السادس

إبطال نظرية أمبيدقل على «ثلاثة العناصر بينها سواء» بالنسبة إلى الكم أم بالنسبة إلى الأثر والتناسب - في مذهب أمبيدقل نمو الأشياء يرجع إلى مجرد جمع - أنه لا يفسر أيضا نمو الأشياء ، بل إخضاعه لسفطان المصادفة ، ولا علة الحركة الأصلية ولا طبع النفس الخلقى - شواهد مختلفة من شعر أمبيدقل .

§ ١ - حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الأجسام وينكرون في آن واحد أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض ، كما يفعل أمبيدقل ، قد يمكن أن يسألوا في شيء من الدهش كيف يستطيعون إذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أمبيدقل إذ يقول :

« لأن العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها »

فإذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الأشياء المقارنة شيء مشترك يصلح لقياسها ، مثال ذلك إذا كان من كوتيل (ربع لتر) واحد من الماء يمكن إيجاد عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا ما دام أن قياسهما واحد .

§ ٢ - فإذا كانت الأشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا بالنسبة إلى الكم أى أن الكمية الفلانية مضاربة الكمية الفلانية فيلزم على الأقل أن تكونه بعلاقة الأثر الذي يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : إذا كان كوتيل

§ ٦ ب ١ - حينما يرى - ليس النص على هذه الصراحة . - في آن واحد - أضلت هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر " - كما يفعل أمبيدقل - ر . ما سبق ب ٣ ف ٦ - قابلة للمقارنة - التعبير مبهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه . وإن الأمثلة التي ستذكر فيما بعد ستقلل من ابهامه شيئا . - كانت متساوية - هاهنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التعمين . - فإذا كانت المساواة في الكم - على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذي سيحيى الكلام عليه فيما يلي . - يمكن إيجاد عشرة كوتيلات من الهواء - أو « إذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات من الهواء » وهذا ليس إلا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين الهواء والماء .

§ ٢ - الأشياء - أو « العناصر » - مضاربة - أو « آتية من » . -

من الماء يمكن ان يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء
فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث
هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث انه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

§ ٣ - قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس
الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال ان
الشيء الفلاني حار كما أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة
المشابهة اذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهي تقييد
المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الاجسام التي لا يمكن أن
تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وان
تكون فقط بمقياس قوتها ولان الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن
تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء
التي هي أعظم منها . وفي الواقع أن جوهرنا من هذا الطبع اذا كانت
كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئا لانه سيكون والاخر من
جنس واحد .

§ ٤ - أزيد على ذلك انه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمو
يمكن الا النمو الذي يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو
بالتار حين يقول :

« الأرض تنمو الأرض والهواء ذاته ينمو الهواء »

٣ - الاثر الذي يمكن أن تحدثه - ليس النص على هذا الوضوح . - يمكن أن يحدث
من البرودة - كان من حق هذه العبارة أن تكون اوسع مما هي . - مادية - أضفت
هذا الوصف . - ان تحدث فعلا ما - عبارة النص بالضبط هي : « بما هي مستطاعة
شئنا ما » .

§ ٣ - القول ان الطاقات - ليس في النص الا كلمة واحدة . مباشرة - أضفت
هذه الكلمة لبيان الفكرة . - بالتنسيب والتشبيه - ليس في النص الا كلمة واحدة . -
فكاف التشبيه - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - ولكن من السخف فيما
يظهر - الرأي الذي ينتظم أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا الى أمبيدقل على رغم
أن هذا التعيين لم يذكر في النص صراحة . - قابلة للمقارنة فيما بينها - لم يذكر فيما
سبق أن هذا الرأي هو رأي أمبيدقل . - المشابهة - أو « التنسب » - مثلما أضفت هذه
الكلمة . - الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها - في نسبة حرارة الهواء الى
حرارة النار . أما القاعدة فهي مع ذلك صحيحة . فان جسمين مكافئين بكيف واحد يمكن
أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين .

§ ٤ - أزيد على ذلك . . . هو يفترض - ليس النص على هذا القدر من الظهور . -
حين يقول - أضفت هاتين الكلمتين . - تنمو الأرض - عبارة النص بالضبط : « تنمو
نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الاشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد
الإضافة ك ١ ب ٥ ف ٨ . - ولا يظهر - يدخل على المرجع السابق .

حينئذ ليس هذا اذا الا مجرد اضافة ولا يظهر أن الاشياء التي تنمو
يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ - ولكنه أعسر أيضا على أمبيدقل أن يوضح كون الموجودات
فى الطبع لان كل الموجودات التى تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية
أو تولد دائما بطريقة منتظمة أو بالاقبل على الغالب بهذه الطريقة ،
والموجودات التى تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلا أو بالاقبل الاكثر
فى العادة هى ثمرة علة اتفاقية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل اذا فى
أن من انسان يولد انسان أما دائما وعلى حسب قاعدة أزلية وإما بالاقبل
بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتى دائما قمح لا شجرة زيتون ؟
أم هل العظام لا تتكون أيضا بالطريقة عينها ؟ كلا ان الاشياء لا تكون
بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أمبيدقل بل هى تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٦ - فما هى اذا العلة فى كل هذه الظواهر ؟ أنها ليست فى
الحق لا الارض ولا النار ، وليست كذلك العشق والتنافر لان أحدهما
ليس علة الا لتأليف الاشياء والاخر لتفريقها . تلك العلة انما هى أصل
لكل شئ . وليست فقط كما يقول أمبيدقل :
« اختلاط وتنافر للاشياء المختلطة »

فهى ليست اذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة . لانه ممكن
تما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقى ومشوش .

§ ٥ - على أمبيدقل - أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . -
فى الطبع بصرف النظر عن الاشياء التى توجدنا صناعة الانسان . - علة اتفاقية
وثمره المصادفة - أن ابطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى فى لفظه
أحيانا للنظرية الواردة فى الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ و ٨ ص ٣١ و ٣٢ من ترجمتى وأيضاً
فى الباب الخامس وما يليه . - أم هل العظام لا تتكون أيضاً - لا يرى جيداً لماذا مثل
بالعظام هنا . وان كان أمبيدقل فى الحق يستعمل هذا المثل غالباً . - كما يقول أمبيدقل
- ر . ٥ الطبيعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا . - بنوع من العقل -
أو « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ - انها ليست فى الحق لا الارض ولا النار - هذه الجملة واردة على صيغة
تهكمية . - العشق والتنافر - المبدأان العظيمان عند أمبيدقل . ر . ٥ الطبيعة ك ٧ ب ١
ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - انما هى أصل لكل شئ - يعنى صورته الجوهرية .
وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضاً الى أعلى من ذلك ويتساءل الام يجب أن يرجع فى
أصل كل شئ . - وليست هذه بعلة - أو نوعاً من التناسب والنظام . وان اللفظ
المستعمل فى النص هو فى غاية السعة . - لانه ممكن تماماً - يظهر أن فيلوبون لم
يفهم هذه الجملة الصغيرة لانه لم يفسرها . - اتفاقى ومشوش - ليس فى النص إلا
كلمة واحدة .

§ ٧ - إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية إنما هو تركيبها ، إنما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو أن الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الأشياء . ولكن أمبيدقل لا يشهد مطلقاً إلا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لأن عناصر أمبيدقل هي أيضاً آلهة .

§ ٨ - أنه لا يتكلم كذلك على الحركة إلا بطريقة غاية فى العموم لأنه لا يكفى أن يقال أن التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة إذا لم يعين أن العشق ينحصر فى أن يسبب النوع الفلانى من الحركة والتنافر فى أن يسبب النوع الفلانى منها . وحينئذ كان يجب على أمبيدقل هاهنا إما أن يحد الأشياء بالضبط ، أو أن يتصور فرضاً ما ، أو أن يوضح توضيحاً قوياً أو ضعيفاً مع ذلك ، أو أن يخلص منه بأية طريقة أخرى .

§ ٩ - رد آخر . أن الاجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه الى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه الى تحت إلا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما أنه يوجد حركة قسرية يوجد أيضاً حركة طبيعية . فهل هو إذا العشق أو ليس هو العشق الذى يكون هذه الحركة الأخيرة ؟ متى كان للأرض حركة تحملها الى تحت فأنما هي حركة

§ ٧ - إنما هو تركيبها - والترجمة الحرفية هي : « كونها على ما هي عليه » . ومع ذلك فإن هذا غير صحيح جداً فإنه لا يمكن أن يقال أن تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . النظام والخير لجميع الأشياء - على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو علتها الفائية . الامتزاج والاختلاط - ليس فى النص إلا كلمة واحدة . - العشق الذى فصل - لا يظهر أن هذا مطابق تماماً لآراء أمبيدقل . وفى الحق أنه لاجل الجمع يلزم أولاً التفريق ولكن أمبيدقل إنما يسند التفريق الى التنافر . - على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . - الله ذاته - إله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شيء فتارة ينسبط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ فى التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ - غاية فى العموم - ويمكن أن يترجم أيضاً - : « أبسط مما ينبغى » فإن عبارة النص تؤدى المعنيين . - إذا لم يعين - ليس النص على هذه الصراحة . - بالضبط - زدت هذا القيد لتمام المعنى . - يخلص منه بأية طريقة أخرى - عبارة النص فيها من طابع المؤلف العرفى نحو ما فى العبارة التى ترجمناها بها .

مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . اذا يكون التنافر هو اولى من العشق
فى ان يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون العشق اولى من التنافر
فى انه مضاد للطبع . فاذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة
فلا يكون للاجسام أعينها لا حركة ولا سكون . ولكن هذا انما هو نتيجة
باطلة .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل ان الاجسام بالبدئية فى حال حركة لان التنافر
هو الذى فصلها . والا يثير قد ارتفع فى الملاء الأعلى لا بواسطة التنافر
ولكن كما يقول أحيانا أمبيدقل بضرب من المصادفة :

« الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن فى الغالب على خلاف ذلك »

وأحيانا يقول أمبيدقل أيضا ان النار اضطرت ان تتجه بالطبع الى فوق
وان الاثير قد جاء .

« يتكبد بقوة على قواعد الارض »

وأخيرا يعلمنا أمبيدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان
سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

§ ٩ - رد آخر - ليس النص على هذا القدر من التعيين . - بالقسر وضد الطبع -
ر . الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها . - كما أنه يوجد حركة
فسرية على تقدير « بحسب نظريات أمبيدقل » . - هذه الحركة الأخيرة - زدت وصف
« الأخيرة » ليتعين المعنى . - تحملها الى تحت - وفى نسخ أخرى ربما كانت هى الأكثر
عددا « الى فوق » بدلا من « الى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فان
أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الارض محبولة الى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة
أشبه بالتفريق منها بالجمع . ما طاعت الارض أو بعض أجزائها على الأقل تتجه الى
المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتنضم اليها . - فانما هى حركة
مضادة - ليس النص مثل الترجمة فى الوضوح . وفى كل هذه الفقرة شيء من
الحفاء . - للائتلاف - زدت هذه الكلمة . - الحركة الطبيعية - التى تفرق بين الأشياء
بدلا من أن تجمعها والتى توجه النار الى فوق فى حين أنها توجه الارض الى تحت . -
لا التنافر ولا العشق - فى مذهب أمبيدقل . - نتيجة باطلة يقبل أرسطو كقاعدة لا
تحتل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل - النص لا يذكر هنا أمبيدقل وعبارته هى : « الاجسام
يظهر أنها فى حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع الى مذهب أمبيدقل كما تبينه
لقرينة . - الهواء حينئذ يطير هكذا - هذا البيت بعينه قد استشهد به فى الطبيعة
ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . - وأخيرا يعلمنا أمبيدقل - هذا الاسلوب
التهكمى موجود فى النص .

§ ١١ فماذا هو اذا على رايه المتحرك الاول والعلة الاولى للحركة؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو ان كليهما مع ذلك يستعيب نوعا ما من الحركة واذا كانا هما المحرك الاول الذى يوجد فيكونان المبدأ الحقيقى للاشياء .

§ ١٢ - وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض ان النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لانه كيف تتكون اذا الاستحالات الخاصة للنفس .! .مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى! كيف يفهم الذكر والنسيان ! من البين أنه اذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التى تتعلق بالنار . واذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الاجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسمانى . على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

§ ١١ - على رايه - زدت هاتين الكلمتين لانه يظهر لى أن الكلام لا يزال مسوقا الى ابطال مذهب أمبيدقل . - نوعا ما من الحركة - فان العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفى هذا نوع مزدوج من الحركة . - واذا كانا هما المحرك الاول - النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فأما فيلوبون فلم يوضحه وأما سان توماس فإنه أعطى المعنى الذى اخترته تقريبا .

§ ١٢ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لأبين فى آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة الى نظرية أمبيدقل ولأبين أن هذا الدليل الاخير مغاير للدالة السابقة . - الاستحالات - أو « الكيفيات » ولكنى حصلت لفظ النص بذاته . - الخاصة للنفس - يعنى كل التأثيرات الاخلاقية أو العقلية . - من النار . بما هي نار بالنار - هذا التكرير هو فى النص . فالفرض الاول انما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثانى انما هو انها مزيج من العناصر . - بدراسة غير هذه قطعا - وفى الحق أن هذه المناقشة موجودة فى كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعرب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أمبيدقل التى استشهد لها بعدة أبيات من الشعر تشتمل عليها .

الباب السابع

بقية ابطال مذهب امبيدقل - متى انكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة - شاهد من امبيدقل - صعوبة فرضية تكون الجواهر المختلفة ليست اقل عقدا متى سلم باحادية المادة - تعين نظرية جديدة فيها تكون الازماد هي التي بفعلها التكرار تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ - نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الاجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثاني على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن ان يتوالد بعضها من بعض ولا ان يأتى كل واحد من كل واحد الا أن يكون كما يجىء اللبن من حائط ، هؤلاء أنما يقرون نظرية باطلة لانه حينئذ كيف يجعل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جواهر آخر مشابه .

§ ٢ - فى الحق أنا هذه الصعوبة تبقى . وإلى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئا مغايرا لها أنفسها ؟ مثال ذلك اذا كان من النار يأتى الماء واذا كان من الماء تأتى النار فذلك لان بينهما موضوعا مشتركا . ولكن

§ ٧ ب ١ - التي منها الاجسام مركبة - ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الاجسام الموجودة فى الطبيعة . - عنصرا مشتركا - يعنى المادة التي بالقوة وهي العنصر المشترك لجميع الاجسام . - أحد هذين الفرضين - يعنى ان العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض . وانها اذا تغيرت هكذا فذلك ان لها مادة مشتركة يجىء اللبن من حائط - فان اللبن يكون الحائط بما هي مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضهما مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الاجسام التي تدخل هي فى تركيب . ان المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغي وهذا المثل الحشون المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . - أو أى جواهر آخر مشابه - يعنى متجانس تماما . وفى المذهب الذى ينتقده ارسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضهما مع بعض وليست مركبة حقيقة .

§ ٢ ان العناصر تنوالد - هذه هي النظرية المضادة لنظرية امبيدقل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . شيئا مغايرا لها أنفسها - لافتراض أن أربعة العناصر هي اصل لجميع الاجسام التي نشاهدنا ون الاجسام هي شديدة التميز عن العناصر

من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم والنخاع فكيف تتكون هذه الجواهر ؟

§ ٣ - بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر الا جمع كما نجمع مواد حائط يتكون من آجر واحجار . فى خليط من هذا القليل تبقى العناصر هى ما هى وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال ، بناء على هذه النظريات ، انما يتكون اللحم وسائر الاشياء المشابهة له .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جسره كيفما اتفق من أجزاء اللحم ، كما فى تصاوير الشمع من هذا الجزء . يمكن أن تخرج كرة ومن ذاك يخرج هرم . فكل ما يرى هو ان الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتى أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم يخرج عنصرا النار والماء وانه قد يكونان معا من اى جزء اتفق ولكن مع مبادئ أمبيدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تاتى الآجرة والحجر .

التي تكونها . وانها لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها أن تاتى منها . - اذا كان من النار بأتى الماء - ر . ما سبق به ف٦ - من العناصر - عبارة النص غير معينة .

§ ٣ - الذين يتبعون مذهب أمبيدقل - والذين يعتقدون أن العنصر غير قابلة للتغير دون ان يمكن ان تتغير بعضها الى بعض . - كما تجمع مواد حائط - النص اقل صراحة من آجر واحجار - فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . - بناء على هذه النظريات - زدت هذه الكلمات لاتمام الفكرة . - وسائر الاشياء المشابهة له يعنى كل الاشياء التي لتجانسها المطلق لا يمكن أن تميز فيها العناصر التي دخلت فى تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية فى صيغة الاستفهام .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه - حافظت على لفظ الاصل على ترده . - لا يخرجان البتة - على تقدير «معاه» يعنى ان النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا متحدين فى التراكيب التي يركبانه . - من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم - حيث تكون متماثلة تمام التماثل . - فى تصاوير الشمع - ليس لنص على هذا القدر من الصراحة . - من كل واحد من جزأى الشمع . - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

- أمبيدقل - زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة . - تعبير هذا ممكنا - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - من مكان آخر - التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الآجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك انما هو فى موضع آخر أى فى محل آخر من الحائط .

§ ٥ - كذلك الحال أيضاً بالنسبة لنفلاسة الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة لجميع العناصر فان شأنهم لا يخلو من الحيرة في ايضاح كيفان جوهرها يمكن ان يتألف من عنصرين مثلاً من الحار والبارد او من النار والارض فاذا كان اللحم يتكون من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع لهذين العنصرين حافظ لطبيعهما الخاص فماذا يبقى اذا ليقبل الا أن يكون المركب الذي تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون اما العنصر الآخر واما المادة .

§ ٦ - ولكن من حيث ان الحار والبارد يمكن ان يكونا اقوى او أضعف فيجب أن يقال انه متى كان أحدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثاني بعد الا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقاً أحد الكيفين وكان البارد مثلاً هو نصف حار والحار نصف بارد ، لأن الافراطين الى جهة أو الى أخرى يتماحيان على طريق التكافؤ بانزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقاً بالفعل وبالكمال ولا يوجد الا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حاراً أكثر منه بارداً أو العكس يكون الجسم في هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على اية نسبة أخرى .

§ ٧ - على ذلك كل الاشياء الأخرى تأتي من مزج الاضداد او العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الاضداد التي هي بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفاً . وبهذه

§ ٥ - الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة - يظهر ان هذه نظرية ارسطو الخاصة ، لانه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمعزل عن كل انتقاد . - جوهرها - عبارة النص هي « شيئاً ما » - المادة المحضة - أضفت كلمة « المحضة » مع انها ليست في النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فان المادة المحضة هي هنا الهوى أى المادة بالقوة . - أحد العنصرين - النص أقل صراحة . - واما المادة - على تقدير « بالقوة المحضة » فان العنصرين يتماحيان في المركب الذي يؤلفانه ولا يبقى الا مادة الاثنين في حالة اللاوجود .

§ ٦ - فيجب أن يقال - من الممكن أن تكون الجملة استهفامية أو تقريرية على السواء - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة - مثلاً - زدت هذه الكلمة - الى جهة أو الى أخرى - ليس بالنص على هذا القدر من الصراحة .

- مادة محضة - زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . - الا وسيط - ومع ذلك فان تعيين هذا الوسيط صعب لانه يتعلق بحساسية كل مشاهد . - أحد الاثنين - ليس النص أكثر تعيناً في العبارة .

الطريقة تكون النتيجة التي تتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى
انما هي المادة المحضة .

§ ٨ - ومع ذلك فلاضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى
في بحثنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل
هو حار بالقوة أيضا بحيث انهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما إلى الآخر .
ويجرى هذا المجرى في جميع الاضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا
انحو أن العناصر بديا تتغير ثم أن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام
وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار باردا والبارد حارا بمقدار ما تقترب
من الحد الأوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر .
فالأوسط متعدد وليس قابلا للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل
واليابس ، وإذ العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت
إلى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

§ ٧ - كل الأشياء الأخرى - يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهد على
الطبيعة كلها . - بوجه ما العناصر - زدت كلمة « العناصر » أخذا بشرح فيلوبون . - كما
تكونه المادة - التي هي ليست شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الاضداد
لها تلك الحقيقة الفعلية . - التي ذكرت آنفا - في الفقرة السابقة . - مزيجا من جوهرين
بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما . - المادة المحضة . - زدت كلمة المحضة . -
§ ٨ - في بحثنا الأولى - ر . ما سبق ف٦ . - ويظن فيلوبون أن المقصود هنا نظرية
الفعل والانفعال المبسطة في الكتاب الأول . ر . ما سبق لك ب٧ ف٥ . الحار بالفعل
يمكن ترجمتها أيضا : « الجسم الذي هو حار بالفعل » . الخ - البارد بالفعل - أو « الجسم
الذي هو بالفعل وبالحال بارد » .

- لولا موازنة تامة - عبارة النص هي « أن لم يكونا متساويين » - لتغير أحدهما إلى الآخر
يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كالنار
وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة . - التي يراد ذكرها - زدت هذه الكلمات . - تتغير .
بعضها إلى بعض . - تأتي اللحوم والعظام - في هذه الأيام تعترف الكيمياء العضوية كذلك
بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي
كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب . -
بمقدار - لفظ النص هو « حينما » الخ . - الضدين - أضفت هذا اللفظ . - الوسط متعدد
- ر . في هذه النظرية الطبيعية لك ب٨ ف١٢ ص ٩٢ من ترجمتنا وأيضًا لك ب١٢ ف١٢
ص ٢٨٠ . - وليس قابلا للتجزئة - وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكميات
متضادة . - كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس - يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه
آنفا على جميع الاضداد الأخرى .

الباب الثامن

التركييب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضدّا العنصرين الأولين - القاهرة التغذية التي يستشهد بها سندا لهذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، التي يلقى نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فإن فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن ، وعلى الغالب ، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة محددة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسها بجمعة . وإذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .

§ ٢ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار . لأن هذين العنصرين هما صدان للأرض وللماء فانه الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدّا لجوهر آخر .

§ ب ٨ ف ١ - حول المكان المركزي - يعنى حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العلم ونحوها تتجه الأجسام ذات النقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الأحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التمييز ومعنى ذلك أن ذات الثقل تتجه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعنى به «الأرض» أو أى واحد من الأجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الأرض . وأما فيلون فإنه يفهم على العكس أن المقصود هو المختلطة التي يتحد مكانها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو وإن يكون لها شكل محدود تماما . - الرطب الذي يمسها بجمعة - وهذا إنما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت ترابا - زدت هذه الكلمة الأخيرة لتسام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع أجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماما - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفيةها الخاصة منا . - بمقدار ما يكون جوهر - ر . المقولات ب ه ف ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ مادامت أكوان الاشياء تأتي من الاضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الاشياء فان الآخر من الضدين يوجد فيها على السواء . وبالتالي فكل مركب تلغى جميع الاجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تتغذى من عدة عناصر بل ان تلك التي يظهر عليها انها تتغذى من عنصر وحيد كالنباتات التي تتغذى بالماء هي تتغذى في الواقع بعناصر عديدة على السواء ذلك بأن الأرض هي دائما ممترجة بالماء فتري كيف ان الزراع في ريههم الزراعى لا يزيدون على ان يمزجوا الماء بالارض .

§ ٥ - ولكن من حيث ان التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث ان الموجود المتغذى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف في المادة هو الصورة والنوع فطبيعى أن يظن أنه من بين الاجسام البسيطة النار هي وحدها التي تتغذى . أما سائر الاخرى فهي لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على

§ ٣ - اكوان الاشياء تأتي من الاضداد . ما سبق كتاب ٣ وما يليه . طرفا الضدين او بعبارة اظهر «الضدان المتطرفان يعنى الارض والماء» . الآخر من الضدين - الهواء بما انه ضد الارض والنار بما انها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية معضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . وبالتالي فنتيجة لا يبين على النتيجة انها مضبوطة الى حد التحرج . جميع الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة الارض والماء والهواء والنار مع اربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحار .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : «التغذية» . تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . تتغذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . تتغذى . . . تتغذى . . . كل هذا التكرار هو في الاصل . في ريههم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة التي تدل عليها القرينة . ان يمزجوا الماء بالارض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان اوضح ان يقال ان التغذية هي مادة الموجود المتغذى . الموجود المتغذى . . . هو الصورة والنوع - او بعبارة اخرى «الذات» في حين أن الغذاء الذي يقوم «ليس الا المادة» . مشمول ومظروف - ليس في النص الا كلمة واحدة . - فطبيعى او «مطابق للعقل» . من بين الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة . - وحدها التي تتغذى - ثبه فيلوبون على أن هذا على الاخص اما هو تعبير شعري . لا تزيد على ان - النص ليس على هذا القدر من الصراحة . - القدماء - وهذا هو ايضا رأى أرسطو . التي تمثل الصورة - أو «التي تتعلق بالصورة» . - نحو الحد - يعنى نحو طرف الجهة العليا . من حيث ان الحد يعين نوع الاشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة اكثر . ومع ذلك يمكن ان يقال ان كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة . التي تعينها - زدت هذه العبارة .

طريق التكافؤ كما زعم القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الاخص
التي تمثل الصورة مادام أنها دائماً بطبيعتها الخاص متجهة نحو الحد . وكل
شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص به . ولكن صورة كل الاشياء
ونوعها توجد دائماً في الحدود التي تعينها .

§ ٦ - فيرى اذا بما تقدم ان جميع الاجسام تتركب من جميع العناصر
ال بسيطة .

§ ٦ - فيرى اذا - ملخص الباب - بما تقدم - زدت هذه العبارة - جميع
الاجسام - على تقدير المختلطة - من جميع العناصر البسيطة يبنى الارض والماء والهواء
والنار . ولا حاجة للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها
العلم في الوقت الحاضر واقرها .

الباب التاسع

الهيولى والصورة - المبادئ الاولى للاشياء - ضرورية مبدأ ثالث وهو انه سلة المتحركة
ابطال نظرية المثل على نحو ما عرضها افلاطون في الفيدون - ان المثل لا يمكن ان تفسر كون
الاشياء - انها لا تكون - يرى ان طائفة من الاشياء تتكون تحت اعياننا بعلى اخرى - ابطال
النظرية التى تفسر كون الاشياء بحركة المادة - المادة قابلة لا فاعلة - امثلة مختلفة مستخرجة
من طرائق الفن

§ ١ - لما انه توجد اشياء كائنة وقابلة للدثور وان كسل ما يتولد
ويكون يوجده فى المكان الذى يحيط بالمركز فيلزم بديا الكلام على كون
الاشياء مأخوذا فى كل عمومه وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هى • وبهذه
الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا
على معرفة الحوادث العامة • § ٢ - وتلك المبادئ هى هاهنا من حيث
العدد والجنس على ما هى عليه المبادئ التى تكتشف فى الموجودات الازلية
والاول • واحد هذه المبادئ هو كهيولى والاخر هو كصورة ولكنه يلزم
منها زيادة على ذلك ثالث ينضم الى هذين الاثنين الآخرين • لان هذين
الاثنين ليسا أقدر على تكوين شىء هاهنا منها فى الاول • § ٣ - وعلى هذا
اذا انما هى الهيولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى انها
يمكن أن توجد وألا توجد • فمن بين الاشياء ما توجد بالواجب ، مثال

§ ٩ ب ١ - كل ما يتولد ويكون - النص يقول بمباراة أكثر عموما ايضا : «التولد»
- يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز - هذا التعبير على جانب من الغرابة • لانه يدل
فقط على أن الاجسام المختلطة التى يمكن مشاهدتها توجد على سطح الارض لمعتبرة مركز
العالم • ومع ذلك فان هذه العبارة لم تظهر لميلويون على شىء من الصعوبة فلم يشأ
أن يفسرها • على كون الاشياء - الملاحظات السابقة • الحوادث الجزئية • الحوادث
العامة - هذا ليس هو النمط العادى لارسطو وانه ليشتمل من الحوادث الجزئية الى الحوادث
العامة لا من هذه الى تلك • وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجمتى اياه •
§ ٢ - فى الموجودات الازلية والاول - انما الاجرام السماوية هى المعبرة اذلية وغير
قابلة للتغير وانها أوائل كل الاجسام - هو كهيولى - حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته
هكذا : «يقوم مقام الهيولى • مقام الصورة •» - ينضم الى هذين الاثنين - زدت هذه
الكلمات لأحصل كل قوة العبارة الاغريقية • وهذا المبدأ الثالث انما هو العلة المتحركة او
بالاولى العلة الفاعلة • ويلزم ان يقارن بهذه النظريات نظريات اكتساب الاول من الطبيعة
ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا •

ذلك الجواهر الازلية ، ومنها ما يجب ألا توجد فبالنسبة للاولى من المحال
ألا توجد ، وبالنسبة للآخرى من المحال أن توجد لانه لا يمكن أن شيئا
يكون على خلاف ما يقضى به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن ان
توجد والا توجد على السواء . وهذه هي على التحقيق كل ما هو كائن
وهالك . لان هذه الاشياء تارة توجد وتارة لا توجد . فحينئذ الكون
والفساد لا يتعلقان الا بما يمكن ان يوجد والا يوجد .

§ ٤ - وذلك بما هو هيوولى انما هو علة الاشياء الكائنة . ولكن بما
هو غرض غائى فآلة انما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية
لكل شيء . § ٥ - ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث .
هذا المبدأ لا يظهر على الفلاسفة انهم لم يحوه الا كسما فى الحلم ولم يتكلم
عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط فى
«الفيدون» أن طبع المثل قد يكفى لتعبير كون الاشياء . لان سقراط وهو
يعيب على الآخرين انهم لم يقولوا شيئا فى هذا الصدد يفترض ان من
الاشياء التى توجد بعضها هي المثل والآخرى تتلقى هذه المثل التى تشاركها
وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وان الاشياء تتكون متى تتلقى
هذا المثال وانها تفسد متى تعدمه . وبالنسبة اذا كان كل هذا حقا
فيكون سقراط يرى ان المثل هي بالضرورة علة كون الاشياء وفسادها .

- ليسا اقدر - الهول والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يجىء فيعطيهما
الفعلية بأن يجمعهما . § ٣ - هي العلة فى انها يمكن ان توجد والا توجد - وقد يمكن
عكس القضية فيقال : « ان يمكن الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة لوجودات
الكائنة - فمن بين الاشياء - او « من بين الجواهر » او « من بين الموجودات - الجواهر
الازلية معنى « الاجرام السماوية » - يمكن أن توجد والا توجد على السواء - او بمعنى
أخرى كل الموجودات الممكنات - كل ما هو كائن - او « ما هو مخلوق » - وهالك كما هو
أكثر الموجودات الخاصة لمشاهدتنا .

§ ٤ - الاشياء الكائنة - والهالكة - بما هو غرض غائى - عبارة النصير بالضبط
من حيث هو «لماذا» - انما هي الصورة والنوع - النوع يتحد مع «المثال» كما سبى بعد
- حد الماهية - او «علة الماهية» .

§ ٥ - ان يضاف . . . مبدأ ثالث هو العلة الفاعلة - الا كما فى الحلم - الانتقاد
على جانب من الشدة والاستهانة . ر . الكتاب الاول ما بعد الطبعة ترجمة كوزان . ب : وه
- فى «الفيدون» - ر . فيدون افلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ - طبع المثل - او «الانواع
لان الكلمة هي يعينها انهم لم يقولوا أشياء - هذه العبارة قد تدل على «السواء» اما على أن
الفلاسفة الذين يظن عليهم سقراط قد لزمو الصمت او انهم لم يقولوا شيئا يعتد به
بعضها هي المثل . . . الخ - تلخيص صحيح للفيدون - كون كل شيء هذا هو نظم النص
يعينه . اذا كان كل هذا حقا - فى هذا القيد نوع من النفي ومن الانتقاد - وآخرون -
لم يقل فيلوبون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل ان يكون المقصود
ديقريطس ومدرسته - على رأيهم زدت هاتين الكلمتين .

وآخرين على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لانه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ - ولكن ليس الاولون ولا الآخرون على حق ، لانه اذا كانت المثل هي في الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والاشياء التي يمكن أن تتركها ؟ زد على هذا انه يوجد أشياء يرى جليا ان العلة فيها انما هي شيء آخر غير المثال . فانما الطبيب هو الذي يعمل الصحة ، وانما العالم هو الذي يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الاشياء المصنوعة بحسب الفن الذي يمكن ان يتمها .

§ ٧ - ومن جهة أخرى حينما يدعى ان المادة هي التي تكون الاشياء بالحركة التي تعطيها ايها فلا شك في ان هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لان ما يحيل الاشياء ويغير أشكالها يمكن ان يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن ينظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ - ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الاخيرين ليسوا على حق لان الانفعال والتحريك انما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل الفن كما في كل ما يعمل الطبع . اذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من باطنه (بل هو الطبع) .

§ ٦ - ليس الاولون ولا الآخرون - يعني لا افلاطون ولا الماديين - عللا - كذلك عبارة النص مبهمة أيضا - غير المثال - زدت هاتين الكلمتين - الذي يعمل الصحة - ربما كان يلزم أن يزداد «في الجسم» لتوفيه قوة العبارة الاغريقية - الصحة ذاتها - يعني مثال الصحة - العلم ذاته - يعني مثال العلم - هما والكائنات التي يقومان بها - على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم المعلم الكفاء لتلقين ما يعلم - بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ - ومن جهة أخرى - الى انصار المادة يوجه ارسطو القول هنا بعد ان اجاب على افلاطون - من نظرية المثل - ليس النص على هذا القدر من التعمين - ما يحيل الاشياء - ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به ارسطو عادة .

§ ٨ - الانفعال - او «القبول» - بقوة مغايرة تمام المغايرة - هذه هي الفاظ النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا بقدرة مغايرة - الذي يخرج من باطنه - ليس النص على =

كذلك ليس الخشب هو الذى يصنع السرير بل هى الصناعة • ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم ايضا التعبير • وخطوهم آت من أنهم اغفلوا العلة الاهم من جميع انعلل بحذفهم الماهية والصورة •

§ ٩ - وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الاجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم الى ناحية العلة التى ترجع الى النوع • ولما انه تبعا لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما ان كل واحد من العناصر الاخرى يفعل وينفعل على طريقته فان ذلك كاف عندهم فى التقرير بأنه ايضا من هذا او بهذا يكون سائر الاشياء ويفسد • ويظهر لهم أن الأيار نفسها تقبل الحركة وتنفعل •

§ ١٠ - يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب الى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الاخرى العلة الحقة لكل ما تصنع ويرجعه اليها بحجة انه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يقطع الخشب وبمجرد ما يصفق بالفارعة فهناك ضرورة أيضا أن ينصلق اللوح وهلم جرا • وبالنسبة مع أن النار هى أفعل العناصر وأنها توصل الحركة الاقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها أردا من الآلات العادية •

§ ١١ - أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العائل على العموم لم نتصد هاهنا الا لدرس الهيولى والصورة •

= هذا القدر من الضبط • (بل هو الطبع) - وضعت هذه العبارة بين قوسين لانها لا توجد الا فى بعض المخطوطات وليس ضرورية • وشرح فيلوبون يدل عليها بالاقتضاء - الماهية والصورة قد يكون لازما أن يقال « الماهية الدائمة » •

§ ٩ - ميكانيكية أكثر مما ينبغي - هذه عبارة الاصل بحروفها وليست غاية فى البيان •. الفقرة التالية • ويظهر ان هذا الرد يكاد يدخل بشامه فى غضون الرد المتقدم كما نبه اليه أهل جامعة كويمبرا • أما فيلوبون فانه بناء على رأى اسكندر الافرويرى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص الى برمينيد - الحار يفرق - مثلا حينما يصهر بعض الجواهر - والبارد يجمد - هذا حق فى بعض الاحوال ولكنه ليس حقا فى جميعها • من العناصر الاخرى - ليس النص على هذا القدر من التعيين - النار نفسها - التى تعتبر الفعل العناصر تصير منفعة فى هذا المذهب • - تقبل الحركة - او « تتحرك » •

§ ١٠ - يذهب الى اعتبار المنشار - ر • ما سبق فى اول الفقرة التاسعة • فذلك هى المبادئ الميكانيكية التى اليها ينسب الفلاسفة كون الاشياء - ويرجعه اليها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة • - فهناك ضرورة أيضا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة - أى بنظام أقل - العادية - زدت هذه الكلمة •

§ ١١ - فما سبق - يظن فيلوبون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الاون بالمراد هو الكتاب الاول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس العلل - لم ننص. هاهنا الا لدرس - ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة •

الباب العاشر

كون الاشياء وفسادها هما متصلان بالحركة وتملكان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة حركتين - النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الفروقة - انتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الدورية للكائنات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في ابدية الاشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الاجسام انما هو الذي يحفظ مدتها - الحركة الاول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة بتعلق بانصال المتحرك .

§ ١ - يلزم ان يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو انه بما ان حركة النقلة ازلية كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة انه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الاشياء متصلاً ايضاً على السواء . لان هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية كون الاشياء بأن تأتي بالعلة التي يمكنها ان تكون الاشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا في آن واحد على ان ما قدمناه صحيح وعلى انه كان لنا الحق في أن نجعل النقلة لا الكون هي اول التغيرات . وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو موجود علة لتكوين ما لم يوجد من ان نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو موجود . وان ما هو خاضع للنقلة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن النقلة متقدمة على الكون .

§ ٢ - بعد أن فرضنا وبيننا أن في الاشياء كوناً وفساداً متصلين وان حركة النقلة هي علة تولد الاشياء يجب أن يكون من البين لدينا انه

§ ١ يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر - قد اضطرت الى التوسع في عبارة النص حتى يتعدا هذا الباب على وجه اليق . - كما سبق بيانه - في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها من ترجمتي . - كون الاشياء - عبارة النص والتولده . - هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية - تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الاشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . - تأتي ٠٠٠ ثم تأتي بها ثانية - هذه المقابلة هي في النص . - ما قدمناه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها . حيث ارسطو قد فصل الكلام تفصيلاً لاثبات أن الحركة الدائرية هي الاولى والاصلية لجميع الحركات . - ما هو موجود ٠٠٠ ما لم يوجد - عبارة النص : الموجود ٠٠٠ واللاموجود . - يكون ويصير - ليس في النص الا كلمة واحدة . - متقدمة - او أعلى .

§ ٢ - فرضنا وبيننا واقع الكون والفساد المتصلين للاشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لتبينانه . ولكن فلاسفة معاصرين لارسطو كانوا يذهبون الى حد اتيكار الحركة . ر . الكتاب الاول من الطبيعة ب ٣ وما يليه . في آن واحد - أضفت هذا القيد لالحصل =

مادامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال ان الكون والفساد يوجدان جميعاً في آن واحد مادام أنهما ضدان لان علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل الا المعمول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنسبة فاما ان الكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي

§ ٣ - وعلى ذلك يلزم ان يوجد عدة حركات وحركات متضادات اماماتجاهها واما يتفاوتها لان علل الاضداد هي اضداد كذلك . وليست النقلة الاولى اذا على التحقيق هي التي يمكن ان تكون علة كون الاشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقاً يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وامكان لحركتين ، لانه يلزم بالضرورة من اجل ان الكون والفساد يمكن ان يكونا متصلين ان تكون الحركة سمردية حتى لا تتخلف هذه التغاير نفسها ابداً . ومن جهة اخرى يلزم ان يكون عدد الحركات اثنين لا تكون احدي هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

§ ٤ - وعلى ذلك اذا انما نقلة العالم هي علة الابدية وان ميا الدائرة انما هو الذي ينتج التقريب أو التباعد لانه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعدة وتارة قريبة . وبما ان المسافة غير متساوية والحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك اذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الاشياء فان هذه الحركة نفسها بغناها وابتعادها تسبب فساد الاشياء . وفوق ذلك فانها اذا كونت باقترابها عدة مرات فانها تقسّد بابتعادها عدة مرات ايضاً لان علل الاضداد هي اضداد بعضها لبعض .

= كل قوة عبارة النص . فاما ان يكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي - أو
عبارة اخرى أحد الاثنين لا الاثنين جميعاً .

§ ٣ - حركات متضادات - ر. حد الحركة المضادة في الطبيعة له ص ٧٠ وما بعدها من ترجمتنا - على حسب الدائرة المائلة - بناء على ماسباتي وبناء على شرح فيلويون يلزم ان يعنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج او دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس اقرب منا أو أبعد يحصل كون الاشياء أو فسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها في الحق كيسة للغاية . ان الحركة اللا متغيرة المتعاقبة منذ الازل تبقى منطوقة على السماء ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لهذا العالم الارضي هي في الشمس والسبارات التي تسرعها اتصال الحركة واحدة وامكان لحركتين - من هنا علنا الكون والفساد المتعاقبين الابديين للاشياء هاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ - نقلة العالم - يعنى حركة النقلة الازلية التي تتسلط على السماء والكواكب الثابتة على مذهب أرسطو . ميل الدائرة - زدت المضاف اليه . ان تكون العلة - عبارة النص غير معينة بالمرّة فاضطرت الى تعيينها . - بشهادتها وقربها - هذا يمكن ان ينطبق على الشمس التي هي ليست فقط اكثر او اقل بعداً من الارض بحسب الفصول بل ان نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل . =

§ ٥ - يلزم ان يزداد على هذا ان الفساد والكون الطبيعيين يتحققان في زمان متساو . وهذا هو الفاعل في ان زمن مدة كل كائن وزمن حياته يمكن ان تعبر بالعدد وتتعين بهذه الطريقة . وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضي . غير ان هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي أقصر بالنسبة للبعض واطول بالنسبة للبعض الآخر . وان المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي أكثر في حين انه بالنسبة لموجودات أخرى المقدار هو أقل . § ٦ - ان الظواهر المحسوسة لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تتحققان في ازمان متساوية لان زمن الفساد الطبيعي هو مساو لزمن الكون . ولكنه يقع غالبا ان الفساد اسرع بعله تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم ايضا ان الاكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وان يكون بعضها اسرع والاخر ابطا . وحينئذ يمكن ان يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر .

§ ٧ - على ان الكون والفساد كما قلنا يجب ان يكونا دائما متصلين ولا ينبغي التفتة ان يتخلفا للاسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فان هذا

= باقتراحه عدة مرات - حفظت عبارة النص على ما بهلا من تردد . ومعنى ذلك انه يلزم ان تقترب الشمس او تبعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار . - على الاضداد - او الاضداد هي علل للاضداد .

§ ٥ - يتحققان في زمان متساو - لا يلزم ان يؤخذ هذا بخرج أكثر مما ينبغي . لان ارسطو يريد ان يقول ان الزمان الذي فيه يمكن للشمس ان تغرب هو مساو للزمان الذي فيه يمكنها ان تكون . فان دورية الفصول متساوية دائما . - وزمن حياته - لان مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الاوضاع التي وضعها فيها الطبيعة كما سيقال بعد . ترتيب ينتظم جميع الكائنات - معلوم ان ارسطو كان يهتم دائما مذهب المصادفة والاتفاق . ما سبق ب٦ فـه والطبيعة ك٢ ب٤ وما بعده .

§ ٦ - الظواهر المحسوسة - كذلك يوصي ارسطو هنا كما في كل موطن آخر بلمط المشاهدة .

- متى تطلع الشمس - هذا ليس حقا الا بمقدار ما . وانها لمبالغة في فعل الشمس ان يسند اليها كون جميع الاشياء . - في ازمان متساوية - يعني انه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساويا للزمن الذي فيه طلعت . - الفساد الطبيعي - الراجح الى شهادة الشمس او غيبتها . - الفساد اسرع - الملة عينها يمكن ان تفعل في الكون : ايضا . - العناصر النص : قل صراحة وقد اضطررت الى جعل الترجمة اضبط .

§ ٧ - كما قلنا - سواء في هذا الباب ٣٢ او في الطبيعة ك٣ ب٥ ف٤ ص ٩٤ من ترجمتي =

مفهوم جدا لان الطبيعة كما نقرر تبحث دائما عن الاحسن فى كل الاشياء .
والوجود هو احسن من العلم ، وقد عددنا فى موضع آخر المعانى المختلفة
للمعد « وجود » . ولكنه لايمكن ان الوجود يبقى فى كل الاشياء مادام
ان بعضها هى اكثر ابتعادا جدا عن المبدأ . وأخذا بالطريق الوحيد الذى
يقى نقول ان الله قد كمل الكل بأن جعل التولد متصلا وابديا . فالوجود
هو اذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لان كونا ابديا وصيرورة مستمرة
هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة هذا الكون ، كما
طلما قد قيل ، انما هى النقلة الدائرية . لانها هى وحدها التى تكون متصلة .
§ ٨ - فانظر كيف ان جميع الاشياء التى تتغير بعضها الى بعض ، بحسب
خواصها القابلة والفاعلة ، كالأجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد ايضا على
ان تقلد هذه النقلة الدائرية التى هذه الاشياء تكررهما . وفى الحق
انه متى كان الهواء يجيء من الماء والنار تجيء من الهواء ثم الماء يجيء فى
دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع
على نفسه . وعلى هذا اذا فان حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط
مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

- كما نقرر - هذا هو أحد المبادئ التى أحسن أرسطو فى تقريرها وحسن استعمالها
ر . الطبيعة ك ٨ ب ٧ ف ٦ ص ٥١٠ من ترجمتى . - فى موضع آخر - خصوصا فى المقولات
ب ٢ ف ٢ ص ٥٤ من ترجمتى . وفى الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ١ ص ٤٢٨ من ترجمتى . ولما
بعد الطبيعة ك ٤ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين . - الوجود يبقى فى كل الاشياء . - على تقدير
الوجود «اللازلى» ولكنى اضطررت لاستيفاء التردد الواقع فى النص - عن المبدأ - الذى
كونها والذى يحفظها - أخذ ايا الطريق الوحيد الذى يقى - ربما كان فى ذلك تضيق لقوة
الله - الله قد كمل الكل - هذه الفقرة تذكر بعض الشئ بنظريات طيمائوس التى ربما
كانت هى التى أوجتها متصلا وابديا - ليس فى النص الا كلمة واحدة - ملتك ومتصل . . .
كونا ابديا وصيرورة مستمرة - التنبيه السابق عينه . - من الوجود ذاته - على تقديره «لازلى»
كما طلما قد قيل - فى هذا الباب ذاته وفى الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤٦ وب ١٢ ف ٥ ص ٥٥٠
و ٥٥٢ من ترجمتى .

§ ٨ - كالأجسام البسيطة - يعنى العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار . - لا
تزيد ايضا على ان تقلد - ليس النص على هذه الصراحة . - هذه الاشياء تكررهما - أضفت
هذه الكلمات . ومع ذلك يمكن ان يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين
الحركة الاولية التى تحرك السماء هى مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم
المستند الى أربعة العناصر فى نظريات أرسطو ر . على : لاخص الميتورولوجيا ك ١ ب ٢ و ٣
ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا - وفى الحق انه متى كان الهواء يجيء من الماء - على رأى
أرسطو أن الماء يتبخره يصير هواء - ثم الماء يجيء فى دوره من النار - لان النار تتغير الى
هواء وانتهاء فى دوره الى ماء - تقلد هذا التكرير موجود فى الاصل .

٩ - وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة - يثار ثائرها أحيانا وهي كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به ، ألا تكون الأجسام المركبة منفصلة ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للزمان . والسبب في ذلك بسيط وهو أنها تتغير وتتحول بعضها إلى بعض . فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون زمن زمان طويل قد انفصلت وانعزلت ، فهذه الأجسام تتغير إذا على أثر حركة نقلية مزدوجة ومن أجل أنها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن أن يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

١٠ - فيمكن أن يترى إذا بناء على ما تقدم أنه يوجد عيب في الحقيقة كون الأشياء فساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ماهو المخلوق والقابل للفساد . ولكن مادام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزلي أيضا . ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبدا غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها مادامت فأنها يجب بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد . ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لانه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة . فان الزمان هو إذا العدد لشيء ما متصل أعنى للنقطة الدائرية كما قلنا ذلك بديا .

٩ - يثار ثائرها أحيانا - لو « يثيرها بعض الفلاسفة » - متصلة ومنحلة ليس في النص الا كلمة واحدة - ويلزم أن يفهم ان المراد هو تحليل الاجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي تؤلفها يتجه الى المكان الخاص به فالارض الى تحت والدار الى فوق والهواء والماء الى الاماكن المتوسطة . - أثناء المدة غير المتناهية للزمان - لان هنم التغيرات بطيئة للغاية ويستعدي ازمانا طويلا جدا . - وهو انها تتغير وتتجول - ليس في النص الا كلمة واحدة . - قد انفصلت وانعزلت - التثنية السابق عينه .

- حركة نقلية مزدوجة - ر - ما سبق قد وهدم الحركة المزدوجة هي التي يحدثها ميل الدائرة التي هو قارة يبعد الشمس عنا وقارة يقربها منا . وبحسب شرح فيلويون انما هي الحركة التي تذهب من الشرق الى الغرب والتي ترجع من الغرب الى الشرق . - ومن أجل أنها تتغير - وتختلط بعضها ببعض .

١٠ - المخلوق والقابل للفساد - حفظت قصدا عبارة النص على قلة تعيينها - في مؤلفات أخرى - هي الطبيعة . كد ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجمتي ، وما بعد الطبيعة كد ٧ ب ٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبيعة الثانية . - أن يكون موجودا شيء ما - قد يكون أكثر بيانا أن يقال : محرك ما أزلي . - كثيرة بالعدد . - عديدة - هذا التكرار موجود في النص .

§ ١١ - ولكن هل الحركة متصلة لان المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا ؟ أم هل هى كذلك بعلّة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الأين ، أو بعلّة اتصال الكيف الذى يكيف الشئ ؟ من البين ان الحركة هى متصلة بسبب أن المتحرك متصل لانه كيف يمكن أن يكون كيف شئ متصلا الا اذا كان ذلك باتصال الشئ نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ اذا كانت الحركة ليست متصلة الا بسبب المكان الذى هى فيه فهذا لا يمكن حينئذ الا بالاين الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لان له عظما ما . ولا يوجد عظم متصل الاعطل الدائرة لان هذا العظم هو دائما متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة انما هو الجسم الذى له النقلة الدائرية وانما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلا .

- مادام الزمان متصلا - ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب ١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى . - بديا - يرى فيلوبون ان المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة .

§ ١١ ولكن هل الحركة متصلة - هذه المسألة المهيبة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب ٦ وما يليه على وجه فيه بعض المغايرة لما قرر هنا . - اتصال المكان . . . اتصال الكيف ليس النص على هذا القدر من الصراحة - الذى يكيف الشئ ؟ - زدت هذه الكليات لتكوين الفكرة أكثر بيانا . - المتحرك متصل - هذا غير مفهوم تماما . فان الاتصال يمكن ان يكون اما اتصال الزمان او اتصال المادة . - الا بالمكان - عبارة النص اقل ضبطا . - الذى له وحده خاصية الاحاطة بها - وسعت عبارة النص لجعلها أبين . - الاعظم الدائرية . ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب ١٤ ف ١ ص ٥٥٣ . - دائما متصل بنفسه - لان المحيط يرجع على ذاته - الجسم الذى له النقلة الدائرية - والازلية ، معنى السماء .

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الاشياء المتتلم - على أى مقدار يكون تدخل الوجوب - الاشياء الواجبة والاشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافى - علاقة الواجب واللاى - كون الاشياء لا يمكن أن يكون أبدى الا اذا كان دائرىا - ترتيب الاشياء العجيب - الحركة الدائرية للملك الاعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الاخرى - ابدية الانواع - فناء الاشخاص المتعاقب - اقلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب .

§ ١ - لما أننا فى جميع الاشياء التى تتحرك بحركة متصلة امل لتكون واما لتستحيل واما بالاختصار لتتغير ، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تتكون على أثر اخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلفه فيلزمنا ان نفحص ما اذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الاشياء ألا تكون اذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهي أن بعض الاشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شيء بالتعيين انه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لانه مادام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد، فيلزم ايضا ان يحق القول ذات يوم على شيء أنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء أنه يجب انه يوجد فلا شيء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا ان انسانا كان يجب ان يتنزه الا يتنزه .

§ ٢ - ولكن لما أن من بين الاشياء التى هى موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهي أن يكون الامن كذلك أيضا بالنسبة للاشياء التى تصير

§ ١ - لاخلو ولا تخلف - ليس فى النص الا كلمة واحدة - اذا كان يوجد شيء ما واجب - على نظرية الوجوب . ر . الطبيعة ك ٢ ب ٩ ص ٦٦ من ترجمتى .
- بعض الاشياء هى واجبة - تلك هى النتائج الضرورية لغرض ما ولكن الغرض نفسه ليس واجبا . - بالتعيين - زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . - بأنه يجب ان يكون يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . - بالبساطة - زدت هذه الكلمة ايضا . وربما كان من الاحسن ان يستعاض فى الترجمة عن عبارة « يجب ان يكون » بعبارة « ويمكن ان يكون » فان هذه الصورة الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة اخرى .

§ ٢ - التى تصير وتكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة ويلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصورة . فان أحدهما ازل أو على الاقل باق فى حين ان الآخر حادث ومؤقت . - بالنسبة الى الصورة - جئت بهذا التعبير الذى هو اولى ما يولى عبارة « لنصير » لا يمكن الا تكون - يعنى انها واجبة . - المقلبات الدورية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

يكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي هي هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة إلى الضرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المنقلبات الدورية وليس ممكنا أنها لم تكن أصلا .

§ ٣ - والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لاجل أن المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بديا أن يوجد أساس . ولجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجبا أن البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا إلا إذا كان البيت نفسه واجبا على الإطلاق ؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لأن هذا هو في الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوبا أيضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

§ ٤ - وإذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . وإذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا فإنه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودائما حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره . § ٥ - إذا سار التعاقب إلى اللانهاية نازلا من درجة إلى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض

§ ٣ - المتقدم ... المتأخر - الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين - بيت ... أساس - يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة في ٩ ف ٢ ص ٦٢ من ترجمتي لتبيان الفكرة عليها - ملاط - عبارة النص بالضبط والمثل - إلا إذا كان البيت نفسه - ليس النص هل هذه الصراحة - فالبيت يكون أيضا - ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس - المتأخر إنما هو هنا البيت المتقدم - إنما هو الأساس الموضوع ليحل البناء - الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروري يا للأساس .

§ ٤ - مثله - زدت هذا اللفظ بسببه - فالبيت ليس واجبا أصلا بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت - كان المفترض - إنما هو بالفرض - فالصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها - كان التكافؤ - يعني أن الأول ضروري للثاني بغير ما يكون الثاني للأول .

§ ٥ - التعاقب - العبارة الانشائية غير محددة - إلى اللانهاية - يفترض الشراح أن المقصود التعاقب على خط مستقيم متباهيا أو غير متناه عوضا عن كفاصل دائري راجع على نفسه كتولد العناصر - نازلا من درجة إلى درجة - عبارة النص هي بالبساطة :

الموضوع ألفا لأنه متبوع دائما شيء آخر. يتقدم بالضرورة على المتأخر. وهذا الشيء الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضا. وبالنتيجة كما أنه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية قلن. يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير يجب أن يكون بالضرورة. § ٦ - ولكن حتى في الاشياء التي لها حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق. مثال ذلك أن البيت قد كان لأن الأساس قد كان. لأنه إذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائما يكون دائما. ولكن شيئا لا يمكن أن يكون دائما من حيث كونه إلا إذا كان هذا الكون واجبا لأن الواجب والأزلي يتمشيان معا. فما يكون وجوبا لا يمكن ألا يكون. وعلى هذا إذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه أزلي. وإذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضا إذا كان كون الشيء واجبا. فهذا الكون هو أزلي أيضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء.

§ ٧ - وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة أن يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقا أما أن للكون حدا أو أن ليس له حد. فإن لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو على دائرة. ولكنه ليكون أزليا محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى اخذا بالاشياء التي يتكون ولا من

« ونحو التحت » بحسب القرض الموضوع ألفا - ليس النص على هذا القدر من التحديث ويمكن ترجمته هكذا : « هذا لا يكون واجبا حتى على طريق القرض » . لأنه سيوجد دائما معنى قبل هذا الأخير المروض. أنه واجب توجد سلسلة حدود متتالية وهي لأنها غير متناهية لا يمكنها أن تنفذ. ومع ذلك فإن كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر أن فيلويون يشكو من غموضها. عامل على أن الأخير - النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي الانهاية لا يوجد حد أول ولا حد آخر إذ لا أول لها كما لا آخر لها .

§ ٦. التي لها حد منته - أو « آخر » - لأن الكائنات - عبارة النص غير محددة - لأنه إذا البيت كان - تابعت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جيد البيان وفيه معان وسطاء مخلوطة بسبب الغموض . وإليك شرحا يجلو غامض هذه الفقرة. وحتى في الأشياء التي لها آخر معين ليس من الضروري دائما أن ينبع التأخر المتقدم مثال ذلك أساس البيت يمكن أن يعمل دون أن يعمل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري للبيت . لأنه إذا كون البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكنا ليصير واجبا - ما يمكن ألا يكون دائما - معنى ما هو ممكن الواجب والأزلي يتمشيان معا - أو « الواجب هو في آن واحد أزلي أيضا » .

§ ٧. - دائريا ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة ٨٥٩-١٢٤ ص ١٥٩ وما بعدها . فإن الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن تكون أزلية - للسكون - أو التنازل - لا من تحت . ولا من فوق . ما سبقه فـه من تحته يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل =

فوق إذا أخذنا بالإشياء التي قد كانت • ولكنه يلزم ضرورة ابتداء نكون من غير أن يكون محدودا وأنه يجب أن يكون أزليا • فيوجد إذا ضرورة لأن يكون الكون دائريا • وعلى هذا النحو أن التكافؤ أو الرجوع يكون واجبا • ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا أيضا وإذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون • • • • • وهاك إذا اتصالا أزليا حقيقيا لأنه لا يهم أن يقع الاتصال بين وسيطين أو عدة وسطاء • على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد إلا في الحركة وفي الكون الدائري • ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون أو كان بالواجب • وكذلك إذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا •

§ ٨ - كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول • وما دام قد بين أيضا في موطن آخر أن الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبدیهی أن كل ذلك يقع وسبق بالواجب وأن كل الحركات التي تتصل بتلك والتي تلك تنتجها هي واجبة مثلها لأنه إذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها إلى جسم آخر فينتج منه أن حركة هذه الأجسام الأخرى يجب أن تكون دائرية أيضا ومثلا لما أن النقلة تحصل بطريقة ما في الأفلاك العليا فيلزم أن الشمس تتحرك بالطريقة عينها • ومتى كان هذا هكذا بالنسبة إلى الشمس فللفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا • وما دامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه •

= تماقبات الكائنات • فمن فوق يدل على السلسلة الصاعدة ما دام أنه يسلسل ما هو كائن للصعود إلى ما قد كان • فلا يوجد إذا ابتداء لا من إحدى الجهتين ولا من الأخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يبتدئ على امتداد غير متناه • يلزم ضرورة ابتداء • هذا يظهر أنه يناقض آراء أرسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك أنه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص • للكون • الكون • النص ليس على هذا القدر من الضبط •

• التكافؤ أو الرجوع • ليس في الأصل الكلمة واحدة • اتصالا أزليا حقيقيا • ليس في الأصل إلا وصف واحد • • وسطاء • التعبير الإغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا •

§ ٨ - هو غاية في المعقول • اعترف دائما أرسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الإلهية دخلا مباشرا • قد بين أيضا في موطن آخر في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوبيون • الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية هذا هو المتحرك الأول • يعني السماء أو جزء العالم الأبعد عن الأرض • • بطريقة ما • زدت هذه العبارة لتنام الفكرة • • هذه الظواهر العظمى • ليس النص على هذا القدر من الضبط بالانتظام عينه • ليس النص على هذا القدر من الضبط •

§ ٩ - ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلاً حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام انه لاجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولاجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضاً على نفسها بحيث أن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لانه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط إنما هو انه اذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي انه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

§ ١٠ - غير ان مبدأ البحث الذي نتصدى اليه هنا سيكون أيضاً أن نتساءل عما اذا كانت كل الاشياء تعود أيضاً الى أعيانها أو لا تعود .وعما اذا كان حقاً ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الآخر لا تعود الا بالنوع . بالنسبة لجميع الاشياء التي يمكث جوهرها غير قابل للفساد في الحركة التي يلقيها من بين أنها تبقى دائماً عددياً متمثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الاشياء التي على ضد

§ ٩ - لهما هذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث ان احدهما تولد الاخرى - لاجل تكوين السحاب يلزم ان تكون قد أمطرت - الميتورولوجيا ١٦ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتي . - والعلة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد - تناسل أو كون .

§ ١٠ - مبدأ - يظهر ان هذا أولى به أن يكون المخلص والمتمم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . - بالعدد وبالشخص - ليس في النص الا كلمة واحدة لا تعود الا بالنوع - يعنى أن الشخص يتغير كمن الابن الى الابن وان النوع يبقى هو عينه في الكائنات اللذين يخلف احدهما الآخر . بالنسبة لجميع الاشياء - جوابي على السؤال الموضوع آنفا . - عددياً متمثلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائماً بعينها كما ليه اليه فيلوبون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضبط هي : « الحركة تتبع المتحرك » . وهذه العبارة ليست جلية وفيلوبون لم يفسرها . واطن أنه يريد أن يقول أن الحركة هي اذلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي تحل به .

- لا عددياً - يعنى لان الشخص يبقى هو ما هو . - بالنوع - كما يرى هذا من الابن الى الابن . فان الابن يهلك ولكن النوع يبقى منقولا منه الى الكائن الذي ولده - ذاته عددياً وشخصياً فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذي دثر . ولكنه ليس هو هو عينه . - هو بحيث انه يمكن الا يكون - يعنى انه ممكن وليس واجباً . - ويلاحظ أن نظرية الابد الازلي لبعض الاجسام وللاتواء ارتقاء وعظمة جديرة بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا إنما هو أيضاً نقص جديد للذهب المصادفة والاتفاق الذي طمن فيه أرسطو دائماً . ر . مقمناً للطبيعة لارسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الاول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه الرجعى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء ، يأتي هو فى نوعه لكن لا هو ذاته عدديا • غير انه اذا كان من الاشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هى التى جوهرها هو بحيث انه يمكن ألا يكون •

تم كتاب كون الاشياء وفسادها

تحقيق

على

الكتاب الموصوم

« في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غرغياس »

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. ملانخ
المنشورة سنة ١٨٤٦. والمنقولة في مجموعة فيرمين ديدو الاغريقية (١).
وهذه الطبعة جيدة قد اعادت الى سيرته الاولى بطريقة قوشك ان تكون
نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص . وقد استعان ملانخ لاصلاح
النص فوق اعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليبزج، العمومية
يظهر أنها اضبط النسخ التي وصلت اليها . وهذه المخطوطة كان قد
استعانها بعض الشيء أوليساريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس
الاغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤) . ولم تبتدىء البحوث الادخل
في باب الجدة والنفع الا على يد فلبورن الذي نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى:

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu
tributus, passim illustratus".

وبعد أربع سنين هذا ج. ل. اسبلدنغ حذر فلبورن في بحثه مدرسة
ميجار فأبرز الجزء الاول من الكتاب « في اكسينوفان وزينون وغرغياس » (٢).
وكان بين يدي اسبلدنغ مخطوطة ليبزج استخرج منها عدة اصطلاحات
وبهذه المساعدة تسنى له ان نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum
Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de
universal naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est
Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolini, 1846, XXX — 210. Bibliothèque grecque
de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. Pages 270 et suiv.

(2) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone
et Gorgia, praemissis Vitiis philosophorum Megaricorum, Berolini,
1793, 8°. XIV — 83.

وكان اسبلدنغ يبيع طبعة اسلبورج في اكثر كتابه .

على الفقرات الأشد غموضاً ، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وإنما كان الجديد في هذا التحقيق هو أن إسبلدنج كان يجعل الجزء الأول من الكتاب مخصوصاً بمذهب ميليسوس وكان يثبت ببراهين قاطعة أن اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل من يومئذ رأى إسبلدنج هذا واني لذاكر الآن السبب الذي يوجب قبوله .

ولم يستطع إسبلدنج مع فحصه مخطوطة ليبزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماماً واعتمد على الاختص على الاصلاح الحقيق الذي عمله فيها أولياريوس . غير أن كر . دان . بك مغير جامعة ليبزج الشهير الذي كان قد يسر بحوث إسبلدنج قد اخذ على عاتقه اتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات اخرى لارسطو (١) . وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها ملاح فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك اما بأمر مدرسة ايليا على العموم واما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فحصت مذاهب اكسيثوفان وميليسوس . فالمجمع العلمي ببرلين مثلاً لم ينتفع بها في طبعته حق الانتفاع حتى ان ملاح قد اظهر الاسفل لهذا الاهمال الذي كان اتقاؤه ميسورا (٢) .

في سنة ١٨٤٣ أي بعد اثنتي عشرة سنة قد سد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحاً أمتع من كل ما تقدمه من الشروح (٣) . ومع ان هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فإنه لم يشن ملاح عن إعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفاً . غير أن ملاح وإسبلدنج لم

(1) *Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr. Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensis diligenter enotata.*

وان داليل بك من الرجال الذين قد اعطوا في الثلث الاول من هذا القرن التاسع عشر في الدراسات الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .
(٢) ظهرت طبعة أرسطو الفسامة التي أنجزها يكرز برانديس تحت رعاية المجمع العلمي ببرلين سنة ١٨٢١ .

(2) *Regiae universitati litterarum Frederico — Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCLIII sacra saecularia prima agenti gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.*

يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خير ترجمة لاتينية هي ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم في البندقية سنة ١٥٥٢ . ولكن مع أن هذه المخطوطة التي ترجمت قليلة التحريف فانه كان من الممكن أيضا بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد تقلت في طبعة المجمع العلمي في برلين .

تلك هي الاعمال التي تناولت الكتاب على ميليسوس واكسينوفان وغرغياس حتى الآن . وانه لينبغي أن يضم إليها تحقيق «م» هنري (دواردفوس) على غرغياس الليونتينيومي (١) اذ انه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذي يتعلق على الاخص بغرغياس ، أي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذي نترجمه ، وذيله بتفسير .

وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : في أية حال وصل اليها ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هي قيمته الذاتية؟

فأولا ما هو العنوان الذي يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين إلى بحوث اسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : « في اكسينوفان وفي زينون وفي غرغياس » . أو بحسب مخطوطة ليبزج في زينون وفي اكسينوفان وفي غرغياس ، فان اسبلدنج بتقريبه شواهد « سميليسيوس » العديدة من تحاليل هذا الكتاب أبان بطريقة لا تحتمل النقض ان المقصود في الجزء الاول هو ميليسوس لا اكسينوفان فانه في شرحه الممتع على كتاب الطبيعة لارسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهي مشابهة حتى في الفاظها في بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة في هذا الكتاب الذي نترجمه . فلما وضع اسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد في الامكان انكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه في البابين الاولين .

الى هذا الدليل الذي يكفي وحده في اثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه في فهرس « ديوجين اللايرثي » (ك ٥ و ١٥ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص ١١٦) ذكر صريح لكتاب ارسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذكر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن ارسطو قد نقد أيضا آراء زينون

(1) De gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halis Saxonum, 1828, 8°. IV — 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

وكذلك قد بحث بحثا خاصا في مذاهب اتباع فيثاغورث وأرخيتاس
وسبوسيب واكرينوقراط . . . الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين الانايرتى وأنه
ليذكر أيضا بحوث أرسطو في منهجى ميليسوس وقرغياس . وما من
شئ أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس
اذ ان ما بين ايدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطراره بجميع الفلسفات
المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . واننا ذاكرون اكثر
من مرة ماذا قاله عنه وعن اكسينوفان سواء في علم الطبيعة او في علم
ما بعد الطبيعة او في غيرهما .

وعلى هذا فالحق في جانب «اسبلدنج» في ان الجزء الاول من هذا
الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . اذ
كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه
فيما يظهر ان يسميه باسمه اذ لا مسوغ لهذا الاتهام الذى لا يفسر . ولكنه
لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : « هو »
دون ان يعين أنسبا مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو
المعنى بالنقد الا تعرف صاحب المنهج المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك
فان هذا الكتاب انما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الاقل وأن
مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطنة
الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذى ربما لا يكون منشؤه الا خطأ
ناسخ .

وان ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقا على اكسينوفان
أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثانى من الكتاب ولكنه منع ذلك
لا سبيل الى الشك في امره لأن مذهباه معروفه اكثر من مذاهب
ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

ان هذا اليقين ينسحب من باب اولى على قرغياس الذى هو غير مسمى
أيضا في أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذى يخصه ولكن براهينه قد نقلت
الىنا على يد سكستوس أمبيريكوس (adversus mathematicos exlogicos)
ك ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤) وانها تماثل على
الاطلاق البراهن التى تراها في هذا الكتاب .

من هذا استنتج ان العنوان النهائى الذى يجب أن يحمله هذا الكتاب
هو « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي قرغياس » فان هذا العنوان يتفق

رغمهما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنسأه الآن لا يمكن الا اتخاذ هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل ملاح . اما انا فاني لم اتردد لحظة في اتخاذه . وفي الحق انه ليعبى ان تعيين « زينون في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير انى سأحاول فيما يلى مقتفيا اثر ملاح اكتشاف المصدر انذى يمكن أن يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن اسوق القول الى ما كنا بصده « من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنويتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الاسماء الاعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : « كتاب أرسطو على المذاهب » او : « كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة » فالعنوان الاول هو لمخطوطة في مكتبة سنت مرك في البندقية q والثانى لمخطوطة في الفاتيكان Bg بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى في الازمان القديمة الى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا أكسينوفان وزينون في الجزء الاول والثانى (ب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) . وتلقاه هذا الغموض استحبوا عدم التعيين . فقد كان وسهم الكتاب بأنه على المذاهب الفلسفية « لاسمولية فيه لانه هو مع ذلك على صغته صحيح ان لم يكن مضبوطا . وما كنت لاتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم ان يقام له وزن ولذلك ذكرته .

اما وقد تحدد العنوان وبين على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب ؟
أأرسطو هو أم هو آخر ؟

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة Bg طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراسط او على الاقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتعليمه أرسطو وخليفته . وان ما يجعل لهذا الفرض محلا من الشبهة والحق والثقة هو أن ستمبليسوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 5A) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن أكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السببين هما انحاملان . برنديس في « تاريخه للفلسفة الاغريقية واللاتينية » (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من ارسطو ليرده الى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر عن حكم لا يقل عنهم في العلم ولا في الحنق ، فقد صرح م تيودور برج أن هذا الكتاب على رايه ليس احق بتيوفراسط منه بأستاذة .

وانى هنا على رأى ملاح وارى كما يرى ان ذلك تجاوز ابعاد جدا مما ينبغي . وقد نبهت اساعه ان هذا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تنقد فيه مذاهبهم ليسوا معينين باسمائهم ولكن فى مجموع تأليف ارسطو لما نقلته اليها القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من اجمال فى التحرير ، وكم من قطع لم تتم ؛ وكم من صحف مشوشة حتى فى أجل كتبه مثل « ما بعد الطبيعة » مثلا ؛ على ان الاسباب التى حملت ارسطو على ان يترك كل مخطوطاته فى حالة نقص معروفة . فانه لم يكده ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن الا حين ناهزت سنه للخمسين عول على اظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجيء بالحرقة الموجهة ضدها المقدونيين بعد وفاة الاسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشردا منفيا لم يسكن الى محل طمأنينة ان عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف انها كانت ميتة عنيفة فى سن الثانية والستين . فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه استاذه من الاعمال والاوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فان العالم الغربى لم يكده يعرف مؤلفات ارسطو الا حينما جىء بها من آتينا بعناية «سلا» فرتبت بطريقة حسنة او شئت بعناية «أندرونيكوس الرودسى» .

وقد يكون من الغريب ان مخطوطات اهلها المؤلف بحكم الضرورة وأهمها خليفة الاول هى احسن نظاما فى الترتيب من غيرها . فان التشويش او بالاولى النقص فى كتيبنا هذا لا يطعن فيه . بل انى قائل ان هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والحزم مثل وفى مؤلفات ارسطو التى لاشك فى صحة نسبتها اليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فان الاجزاء الثلاثة التى يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المنتقدة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . واذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لان طابعه الاول قد شوهوه باغلاط شق تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين وحذقهم حتى لم يبق منها شيء . وانى ألقت الى هذا نظر القارئ الفطن الذى يريد فحص هذا الكتاب الصغير لان يأخذ بالطبعة التى أصلها ملاح وبتترجمتى هذه .

ومهما يكن هذا الكتاب « فى ميليسوس واكسينوفان وغرياس » ظنينا فى نسبتته الى ارسطو فانه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بارسطو . وانى لا لقي القياد الى رأى ملاح الذى يميل الى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات ارسطو التى ذكرها ديوجين اللايرتى كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل ان يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات

أرسطو ما رواه عن أكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وأنه في مؤلفات أرسطو خلاصات من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب « علم الاخلاق الكبير » وأسلوب « علم الاخلاق الى أوديم » فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه « علم الاخلاق الى نيقوماخوس » . ولقد أستطيع أن أستنتج انه ان كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراست فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفي أن يجعل له أهمية انكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وأكسينوفان وغرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكراهم . ولو انهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزمني فان هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد في أى كتاب آخر قولاً على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هذا الكتاب ولا شك في انه يرغب في مزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فان مدرسة ايليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وانه الى جانب آرائها البقية الخافية في وحدة الوجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فان أكسينوفان الذى يعتبر مؤسس مدرسة ايليا رجل كبير المقام وانه قد تنبأ قبل سقراط وأفلاطون بنبوءات خليقة بهما . وميليسوس وان لم يكن فى مستوى أكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غرغياس فمهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التى يضعونه فيها ، وفى الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف فى النقد الموجه للمدرسة ايليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون فى عنوان الكتاب فى أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود فى صلب الكتاب ؟ من اين هذا الاغفال وهذا النقص ؟ يرى مللاخ بحق أن هذا الكتاب الذى ليس له الآن الا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد أكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد مللاخ هذه القرينة بفقرة فى هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب احسن ميليسوس بالصراحة . وإلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضا فقرتان تكادان تكونان فى المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٦٩) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفى للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع

أثرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص باكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقربا من اكسينوفان الذي لا يجيء فحصى مذهبه الا بعد فحصى مذهب ميليسوس . فيظهر من المحقق اذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل اكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس يقدم على كتبه على غريغياس واكسينوفان وزينون . ولكنه لو روى الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان اكسينوفان هو الاول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يوجد فهمه اذا خلطت العصور من غير ترتيب وانما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتخرج في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الاهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذي أخطأ في الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذي ارتكب هذا الخطأ فأني تارك الى جانب مسألة الترتيب التي هي مادة محضة لا قول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين في كتابنا هذا .

اشتهر اكسينوفان بأنه كان رئيسا لمدرسة ايليا وهذا هو المجد الذي يسند عادة اليه وان كان أفلاطون في الفقرة الوحيدة التي ذكر فيها اكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، الى أن مدرسة ايليا أقدم منه (السنسطنائي ص ٢٤١ من ترجمة كوزان - و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الاغريقية في طورينو سنة ١٨٣٩) . لما نفى اكسينوفان من وطنه كولوفون الى يونيا آسيا الصغرى يظهر انه هاجر الى صقلية واحتفى فيها بمدينة زنكل ثم بقطننة ، ثم ذهب الى ايليا التي كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ اغريقا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التي اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري امات بها ام رجع الى كولوفون . والظاهر انه عمر طويلا مقى سلم بصحة ما نقل الينا من بعض أبيات يقول فيها (١) : ان سنة أربت على الثانية والتسعين . وفي الحق أن هذه الابيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن اكسينوفان كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التي قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره الا خمسة وعشرين ، فانه يقول : « اذا صح اني أستطيع الكلام على هذه الاشياء »

(١) ديوجين اللايرثي ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو .

بصورة مضبوطة ، • يقول ديوجين اللايرثى : انه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولمبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض انه كانت سنة فى هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له اذ يقال : انه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد •

وان ما يحتمل على الظن بأن ميلاد اكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيثاغورث (١) الذى ربما قبل آراءه فى التناسخ • ونقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سياريس وقروطون الا فى سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفيكون من المحتمل أن اكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به • وحينئذ ألا يلزم عليه أن ينزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك • واليك هذه الايات :

« لما رأى ذات يوم كلباً يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقى »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الايات فى ترجمة فيثاغورث - فى موضع آخر (٢) أن اكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذهب طاليس وايبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ما كان يصور به هيزيود وهوميروس والآلهة وشهواتهم ونقائصهم • وقد كان اكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها • بل قد يكون محتملا أنه كان يرتزق على دأب «رهبسود» بأشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى سخاءهم •

واذا كان اكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وايبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الاولى الميادية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) •

وهناك واقعة قد لا يستطيع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) • وهى أن برمينيد كان تلميذ اكسينوفان • وعلى هذه النقطة كل القلاء على وفاق • غير أننا نعلم يقينا

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو •

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو •

من أفلاطون (تيمستيت ص ١٥٤ - والسفسطائي ص ١٦٤ ترجمة كوزان) انه حينما جاء برمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (البرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوار برمينيد المنقول لنا في المحاوره المشهوره بهذا الاسم ولم يكن عمره الا عشرين سنة ، فان هذا ينقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون برمينيد قد ولد فى سنة ٥١٥ ولتلقى العلم على اكسينوفان يلزم أن يكون هذا الاخير قد مات فى نحو العهد الذى ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية (٦) لاقف برهة عند آراء اكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة مجمع عليها فانما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذى نترجمه يكفى وحده فى اثبات هذه النبوة ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد اكسينوفان نفسه . ولم تنخدع المسيحية فى أمره فان كاليماخ السكندري (استروماتس ك ٥ ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :

« واحد قدير على كل شيء ملك الاشددين قوة الله لا يشبهنا لبالعقل »
« ولا بالجسم وان الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون اليهم أفكارهم » « وأصواتهم ووجوههم » .

ويروى كاليماخ السكندري فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها فى قالب آخر ، وفيها يقول اكسينوفان :

« اذا كان للثيران والاسود أيد تصور كما يصور الناس لاعطت الآلهة التى » « تصورها أجساما أشبهه بأجسامها ، ولكانت الخيل تصورها بصور خيل والثيران » « تصورها بصورة ثيران »

منذ اكسينوفان قدمت هذه الابيات التى هى غاية فى الحق ألف مرة . ولكيلا يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على الاطلاق عن تمثيله كما يهلى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات اكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو فى مؤلفاته الاخرى غير هذا الكتاب الذى نترجمه مثل ما فى الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣)

(١) ر . التحقيق الخاص للكتور كوزان فى الجزء الاول من القطع الفلسفية .

حيث ينقل انه على رأى اكسينوفان أن « من الالحاد الاعتقاد بولادة الالهة ونموهم لانه على كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للالهة وجود » .
وفي موضع آخر بعد هذا بقليل يروى أرسطو جواب اكسينوفان على أهل ايليا الذين كانوا يسألونه : أيجب عليهم أن يقربوا قربانا الى «لوقوتوا» ويجاروا بالنواح عليها ؟ فقال لهم : « اذا صح فى نظركم انها آلهة فلا ينبغى أن تبكوها » فان لم تكن الا هالكة فلا ينبغى أن تقرب لها القرابين» .
يسند بلوطرخس أيضا الى اكسينوفان فكرة مماثلة لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل ايليا ، وأوزيريس عوضا عن عفراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو « ايزيد وأوزيريد » .

من هذه الافكار السامية الحققة فى حق الله تفهم علة حنق اكسينوفان على الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود لا يحجمون عن أن يسندوا الى الالهة كل ما يحط من الشرف فى نظر الناس كالسرقة والزنا والكذب والفساد (سكستون امبيديكوس بيرون هيبوتيپ . ك اب ٣٣ ص ٩٩ (Adversus Mathem. Physicos) طبعة ١٨٤٢ ك ٩ ص ٦١٢ . (Grammaticos) ك ١ ص ١١٢) .

وفي موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء اكسينوفان هذه . وفي كتابه « الشعر » ذكر أن الفيلسوف كان يطعن فى المعانى التى يتصورها العامة فى حق الالهة (ر « الشعر ب ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتى) .
وأخيرا ذكر أرسطو اكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك اب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨) .

وفي هذا الموضع الأخير لم يحفل أرسطو بنظريات اكسينوفان على الوحدة التى خلطها بالله فلم ير فى هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث ان هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة برمينينا ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك أيضا أن افكار اكسينوفان فى هذه النقطة افكار جافية كافكار ميليسوس الذى لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد فى أرسطو تقريبا على اكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة فى « ما بعد الطبيعة » عظيمة الاهمية من حيث انها ترينا رأى أرسطو فى أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب اكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما فى كتاب واحد اذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وان لم يكن فكيف تسنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزمانى أن يتكلم على ميليسوس بعد اكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادم فى الوضع سببه اهمال نساخ . ولما

أنه ليس بين الجزأين الخاصين باكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري،
فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية
والترتيب الزمني فإنه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقل رفعة من
سابقه . قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزاً عظيماً ودافع
عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الاتينيون قبل حرب بينوبونيز
بخمسة عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه
منه مخرجاً قادهم به حتى أتلّف أعمال الحصار ووصل إلى أسطول الإعداء
وخر به كله تقريباً . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر
الحصار للملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن
المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر
الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين
رجع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت
المدينة إلى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذي
روى هذه الوقائع (ك اب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في
ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على
صورة لا تحتمل الشك ، لأنه يقول بالصراحة : أن ميليسوس بن إيتاجين
كان فيلسوفاً . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلاً عن أرسطو من غير أن يبين
موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة
بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقسدة ميليسوس الحربية فكرة
أسمى .

ومهما يكن من الأمر فإن من المحقق أن ميليسوس كان به تحت
ثياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب . وذلك من
النبرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه إليه كما فعل
بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو) (Adversus Coloten)
ولما أن ساموس قد ساء لها الاتينيون صنوف انقسوة فمن المظنون أن
ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الغاتحين
لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الاتينى وأنه هاجر في هذا الظرف العسير .
وكان ذلك في الأولمبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد .
وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماماً مع شهادة إبلودور التي نقلها إلينا
ديوجين اللايرثى (ك ٩ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذاً لبرمينيد كما
يقوله أيضاً ديوجين اللايرثى . فإن التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن
ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهبها

من خليفة اكسينوفان . ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك اب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتي) ليفندهما جميعا في نظرية وحدة الوجود ولا تحرکه . كذلك فعل أفلاطون في كتابه «تيمست» (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وأن هذا على التأكيد لا يكفي لاثبات أنه كان بين الفلاسوفين علاقة أستاذ وتلميذ ، غير أن هذه التقاريب لا تنفي هذا الظن الكثير الاحتمال في شيء (ر) . أيضا الطبيعة (ك اب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفي ما بعد الطبيعة في الفقرة التي استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باسم برمينيد . وكذلك في كتاب السماء (ك اب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتي) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثي مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذي لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة . فان ميليسوس لمسا هاجر الى ايليا في ايريا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذي استمر يلقى دروس اكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما « في الوجود » بل ربما كان موسوما « في الطبيعة » عنوان شائع جد الشيع عند أكثر فلاسفة تلك الأزمان القديمة واذا الطبيعة في مجموعها هي موضوع درسهم حتى يتبها لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس الا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود في هذا الكتاب الذي نترجمه وبالشواهد التي نقلها سمبليسيوس في شرحه على الطبيعة لارسطو اما لانه كان بين يديه النسخة الاصلية لكتاب ميليسوس واما ، وهو الأرجح ، لانه لم يكن لديه الا ملخصات تيوفراسط الذي يستشهد به . لا اريد أن اختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكني أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التي سوف نذكرها بعد أخذنا عن اسبلدنچ وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسي ، على ما وصل اليها بالقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذي يعرفه للناس في حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد اكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وإن ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغياس الذي يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لانه معروف أكثر ولانه لا يكاد يكون الا سفسطائيا (١) .

(H.E. Hoss, Halls Saxonum. in 8°, 1828)

(١) ر . . التحقيق الخاص

ولد غرغياس في ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبيية وبنح من اكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين اولمبيه أعنى أنه لم يمض الا في سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالاجماع . ولا يعرف عن حياته العمية تفاصيل طويلة . أما عائلته فانظروا أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكن أخوه « هيروديكوس » ، الذى لا ينبغي أن ينتسب بهيروديكوس السلمبرى ، طبيبا حاذقا (ر . غرغياس لافلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان فى سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غرغياس فانه اجتهد على الاخص فى الخطابة وكانت فنا مخترا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير فى صقلية وأفاد من تعليمه ايام فوائده اكبر . ولا شك فى أن قدرته الخطابية هى التى اكسبته ثقة مواطنيه اذ استنجدوا آتينا ضد ميراقوذة والمدائن الاخرى الدورية . فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفاراته هذه هو السنة الثانية للاولمبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستين بفصاحته التى كثر اللفظ بشأنها فى آتينا وصارت مصدرا ثروة لهذا المعلم الحسن البيان (ر . هيباس لافلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) . ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بفرغياس لانه كان يرى أسلوبه متفخا وغير طبيعى . منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية الى آتينا بل بالأقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر . وكل مايعلم عنه انه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع اليه «إيزوقراط» وأنه عاش زمنا طويلا فى لارسا أثرى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الالويين . ولئن رجعنا الى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتى طبعة ثانية) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطاى الشهير قد مات بين طهرانى هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث انه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فانه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الامثال . ويقال : ان تقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره الى ذلك الحد . ويزعم لوسيان خبثا منه بلا شك أن غرغياس لما مل الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Macrobioi ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) .

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس فى المحاورة التى وضعها افلاطون وسماها باسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس

فنا كما يزعم وضيق عليه فى المناقشة حتى بهت بأن جعله يقـم فى التناقض المبين والـجاء الى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غرغياس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبغ عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الاخص قليقليس اللذين يسوقان المعانى التى لا يجيدان فهمها سوفا الى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياء عـميا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غرغياس خلقه العام الذى يسند اليه بل ربما كان الى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فانه لم يكن فى بلده ويجب عليه أن يدارى الاتيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى فى المـناقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غرغياس فكان عنوانه « فى اللاموجود أو فى الطبيعة » ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتيبنا هذا ماذا كانت فكرته العامة . فى الواقع انما هى لا أدريـة مطلقة . وفى هذه النقطة لا محل للتردد فى الحكم فان سكستوس أمبيريـكوس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غرغياس نفسها قد نقل آتينا كما بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجد هـنا (ك ٧ ص ٢٨٥ - ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos). . وانه ليضع غرغياس فى صف الفلاسفة الذين يأبون على الانسان أية ملكة للحكم على حقيقة الاشياء وينكرون امكان الاهتداء لذلك . وما ذلك الا مذهب فقير يحوى فى نفسه كما فى كل لا أدريـة مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما تززع الايمان بالمنطقى تززع بالاخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والاخلاق .

يظهر أن كتاب غرغياس الذى فى عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر فى الاولوية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد وكان ذلك فى آخر حرب بيلوبونيز وكان الظرف سيئا للتنازع فى حقيقة الاشياء اذ كانت اغريقا كلها تعاني من الشرور ما لا شبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريـة فى وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لاربـع سنين قبل الحكم على سقراط اذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن كـلا أدري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا فى نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهكم . ومع ذلك فان غرغياس فى شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا الى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا أدريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

ولكى تقدر فكرة غرغياس تقديرا تاما قد أثبت قطعة سكستوس أمبـريـكوس . فمن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التي تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوفاً بالأغلاط كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريباً فأما منذ ملأه فقد أصبح هذا الزدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحاً تماماً لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضاً من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جداً القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف النقاد جيداً على ما أراد المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فإن لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات أن لم تكن من قلم أرسطو فإنها ليست غير خليقة بأن تنسب إليه كما قد ظن ذلك زماناً طويلاً . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقصدي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جدت في المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أنشئت على شواطئ آسيا الصغرى . وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نتجت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الاساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع .

في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الموجود هو أئلى غير متناه واحد ولا متحرك - أركئن الوحدة ونتائجها - الاختلاط -
ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذى ينبغي أخذه من شهادة الخواس - ردود على
نظرية الوحدة وعلى الادارية - الآراء المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود
لبعض فلاسفة آخرين *

§ ١ - هو يقرر أنه ان يكن من شىء فذلك الشىء يجب أن يكون
أزليا ما دام أنه - على رأيه - من المحال أبدا أن يتولد شىء من لا شىء *
وسواء أكان فى الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم
على ذلك فى الفرضين أن الاشياء التى خلقت تكون أخرجت من لا شىء
ما دام أنه ما من واحد من جميع الاشياء التى تكونت على هذا النحو كان
يوجد من قبل *

ب ١ - مذاهب ميليسوس - زدت هذا العنوان الذى ليس فى الاصل الاغريقى *
ر : ما سبق فى التحقيق الذى أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التى يشملها
البابان الاولان الى ميليسوس *

§ ١ - هو يقرر - حفظت عبارة النص على ابهامها * وقد كان يحسن أن يسمى
الفيلسوف بالتصريح * ومع العنوان الذى سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب يذهب الشك
فى الشخص المقصود * ولكنى لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه
فى أول جملة وفى بدء هذه الرسالة * وأما فى غضون الابواب فقد زدت اسم ميليسوس
مرات عدة كما فعلت بالنسبة لأكسينوفان وغرغياس ، وفيما يتعلق بالاستناد الى ميليسوس
ر : ما سيأتى بـ ١٤ * - ان يكن من شىء - ر : ما سوف يلى من قطع ميليسوس
القطعة الاولى * - على رأيه زدت هذه العبارة لأؤدى قوة النص الاغريقى * - أم أن الكل
لم يكن يخلق - وأنه لم يكن الا عدد ما من الاشياء كان قد خلق * - فى الفرضين النص
ليس على هذا القدر من الصراحة *

§ ٢ - وأنه اذا قيل ان من الاشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذى هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذى به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتي أولا من لا شيء لان الأكثر لا يمكن أن يكون فى الأقل ولا الأكبر فى الأصغر .

§ ٣ - ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيًا لانه لا يكون هناك مبدأ يأتي منه كما انه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لانه اذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيات اثنان حدد بعضها بعضا على التكافؤ .

§ ٤ - ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه لانه اذا كان غير متشابه فهذا وحده لا يكون بعد واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها فى جميع أجزائه وجب أن يكون غير متحرك لانه لا يمكن أن يتحرك الا فى شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون الا للذهاب فى الملاء أو فى الخلو . فمن جهة الملاء لا يمكن بعد أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئا .

٥ - لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينتج من ذلك انه لا يمكن ان يلحقه تعب ولا ألم . ويجب أن يكون سليما وبغير مرض . كما انه لا يمكن أن يغير وضعه ليمتخذ أحسن منه ولا أن يتحول لياخذ نوعا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفى كل هذه الاوضاع الواحد يصير كثرة واذا يكون اللاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة .

- التى تكونت على هذا النحو - . والتى هى بالنتيجة ليست أزلية .
§ ٢ - أن الكل الذى هو واحد - عبارة النص هى بالبساطة « الواحد » بالعدد وبالكَم - عبارة النص : « يصير متعددا وأعظم » .
§ ٣ - كان الكل أزليا - ر . ما سوف يجيء فى قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ٢ . بهذا عينه لا متناهيًا - يكاد يكون ذلك تكرارا لان الأزل ليس الا اللامتناهى فى المدة . - حدد بعضها بعضا على التكافؤ - تلك هى العبارات عينها التى ينقلها سمبليسيوس . ر . ما سوف يجيء من قطع ميليسوس القطعتين ١ و ٣ .

§ ٤ - وجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه - راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ . - وجب أن يكون غير متحرك - راجع القطعة ٤ . - فى شيء ينطلق أمامه راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس - الخلو نفسه ليس شيئا - راجع القطعة الآتفة الذكر .
§ ٥ - لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم - يمكن أو تحمل هذه العبارة على المادى أو على الممتلئ على السواء . ر . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . - سليما وبغير مرض - ربما كانت هذه المعانى أضيق مما ينبغى وفيها يجتبر الواحد كما لو كان جسدا انسانيا ر . القطعة ١١ . - هو المتولد - هذه هى عبارة النص الاغريقى بالضبط .

٦ - وكل هذا محال مطلقا . وفى الحق اذا كان الواحد مقولا على الخليط لانه تألف من عدة اشياء فيلزم حينئذ ان يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الاشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الاخرى . وليس الاختلاط فى الواقع الا تركيب عدة أشياء فى شيء واحد أو انما هو كجمع بين الاشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الاشياء لانها تنفصل بعضها عن الاخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل فى سحق الاشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الاشياء الاولى التى اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

٧ - وهكذا على هذه الطريقة تكون الاشياء ، على رأى ميليسوس ، متكررة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الاشياء متكررة فيلزم القول بأن هذا ليس الا ظاهرا خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الاشياء تخدع حواسنا وتغررها ولكن العقل يؤكد لنا ان تلك الاشياء ليست موجودة ، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلى لا متناه متشابه فى جميع أجزائه .

٨ - وحينئذ هل تكون عنايتنا الاولى بعدم قبول كل ظاهر والا نشق منه الا بما هو الاحق ؟ ولكن اذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول

٦ - اذا كان الواحد مقولا على الخليط - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . - التصنيف - يظهر أن الكلمة التى يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الابدريانيين . ر . تفسير سبليسيوس على كتاب السماء الورقة ١٥١ . - لانها تنفصل - أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون للفظ فصل ما هنا مأخوذا على معنى تمييز - فى سحق الاشياء - هذه هى عبارة النص وان لم تكن مضبوطة تماما .

٧ - على رأى ميليسوس - زدت هذه العبارة لاحصل النص فى كل قوته . - ليس الا ظاهرا خداعا - تلك هى لا أدوية مدرسة يليا التى بايثانها العقل أكثر مما ينبغى لم تبق للحواس ما يتناسب معها ر . فيما سوف يجى شيئا من هذه المعانى فى القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . - العقل يؤكد لنا - اذ طبق هذا فى حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوجدانيته بدئية فى حكم العقل كلا نهايته وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكرر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

٨ - هل تكون عنايتنا - صيغة الاثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنى اضطرت الى اتباع النص . وهذا المر هو أتم ما تركه لنا الاقدمون على نمط مدرسة ايليا ومنطقها - كل ظاهر - أو كل ما يظهر لعقلنا لان المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى =

هذه القاعدة أيضا : أنه لاشئ البتة يمكن أن يأتي من لاشئ لانه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصديق والكثيرة العدد التي نحن جميعا قد تصورناها بواسطة ادراكات قليلة الصديق أو كثيرته .

٩ - ولكن اذا كانت كل ادراكاتنا ليست فاسدة واذا كان بعض آحادها صحيحا فيلزم أن يختار اما الرأي الذي قام الدليل على صحته واما الآراء التي تظهر أنها أحق . لان هذه الاخيرة تكون دائما أمتن من الآراء التي يجب ان يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الاولى .

١٠ - فلنسلم ، اذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادئ بدء أنه عند تأييد الكثرة يضطر الى استخراجها من اللاموجود . ثم لما كان هذا محالا وجب انه يستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد .

١١ - نزع ان هذين الرأيين لا يشبتان لاحدهما ولا الآخر ان الموجود هو واحد و أنه كثرة . ولكن اذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن

ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقا - ليس النص على هذا القدر من السمة . - بعدم قبول هذه القاعدة أيضا - الامر على القدر من ذلك فان مدرسة ايليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتها على الازلية ووحدية الموجود . - قليلة الصديق - ليس النص على هذا القدر من التعمين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

٩ - كل ادراكاتنا ليست فاسدة - في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة ايليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فان السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو مقياس الكل وقد جرهم هذا الاطراف الى لا أدوية غريغياس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس امبيريكوس . اما الرأي الذي قام الدليل على صحته - مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزمًا . - التي تظهر أنها أحق - والتي هي غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لايضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لارسطوطاليس في الانالوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي اليه يستند كل برهان سواء آكان هذا الأساس مكتسوبا أو مغبًا . ر . ترجمتنا للانالوطيقا الثانية ، منطق ارسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .

- بمساعدة تلك المبادئ الاولى - التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لانها بديهية .

١٠ - كما يفترض ميليسوس - عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الاغريقي . يضطر الى استخراجها من اللاموجود - ر . ما سبق أنفا ف ١ .

١١ - نزع - قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . - فتكون النتائج التي تستنتج - أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسار =

فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضا أجلى وضوحاً • فان كان لنا هذان الاعتقادان معا أن لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء وأن الموجودات هي متحركة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقاً بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس • وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لاشيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتتفاسدان على التكافؤ

١٢ - لكن لماذا إذا يكون رأي ميليسوس أحق ! انه يمكن أيضاً تأييد الرأي المضاد مادام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دُلَّ على أن الرأي الذي يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأي الذي يقصد إلى أن يبرهن على فساده • وهذا من جانبه ليس الا فرضاً محضاً أن يرى أن مجيء الأشياء من لاشيء أشبه بالحق من أن تكون متعددة •

١٣ - ولقد أصاب من قال على ضد ذلك هاهنا أن أشياء لم تكن قد كانت وإن كثيراً من الأشياء أخرج من العدم • وليس هؤلاء الذين افترضوا هذه الأفكار من أناس كيفما اتفق • بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس • مثال ذلك قال هينزود :

« كان العماء موجوداً قبل كل الأشياء »

منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً • هذان الاعتقادان - العبارة الاغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » • - لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء - هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله • وحينما يكون الامر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل إلى خلق حقيقي • - الموجودات هي متحركة ومتحركة - كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مبرجة • - هاتين النظريتين تتباطلان - وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وإن الموجودات هي متحركة •

§ ١٢ - رأي ميليسوس - عبارة النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر • ماسبق في ١ • ما دام أن ملسس - التنبيه السابق • - الذي يقصد إلى أن يبرهن على فساده - عبارة للنص ببساطة « التي عليه يبرهن » • - ليس الا فرضاً محضاً • - الحد الذي يستعمله النص ها هنا هو بعينه من جهة الاشتقاق الذي في الفقرة السابقة • - أشبه بالحق - أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالاً من وحدانية الموجود • - فانه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الأشياء أتت بها من لاشيء من أن يفهم أنها متعددة • والسبب في ذلك أن التعدد يدعى فيما يظهر في حين أن الحلقة تختفي في ظلمات الماضي والبدية •

§ ١٣ - قد كانت - هذه الجملة في المخطوطات واردة على صيغة النفي لا على صيغة الاثبات كما ينبه إليه م • مللاخ • وقد اقترح اسبلدنج محوها • وإنى أرى كما يرى م • مللاخ أنها ضرورية لتتابع المعاني • من أقاس كيفما اتفق - من العوام هينزود راجع =

» ثم ظهرت الارض ذات الصدر الفسيح

» وهى الاساس الازلى لكل ما تحبل

»

» ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة »

فعلى رأى هيزيود سائر الاشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الاول لم تتولد من شيء .

١٤ - ومن الفلاسفة من يقولون بأن لشيء يكون وأن الكل يصير وهم يؤكدون كذلك أن كل الاشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة .
وبالنتيجة يمكن أن يقال ان عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تنتج حتى من اللاموجود .

= التيوجونى : البيت ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فيرمين ديدو . وان هذه الابيات التى لم يستشهد بها ها هنا بالنص موجودة فى الطبيعة لارسطو . ك ١ ب ٢ ف ٧ ص ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣ ص ١٣٨ من ترجمة كوزان .
- لم تتولد من شيء - أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لا فكرة من أفكاره الخاصة .

§ ١٤ - ومن الفلاسفة - كان من الحسن أن يسمى هؤلاء : الفلاسفة الآخرين - بأن لا شيء يكون أو يوجد - وإن الكل يصير - قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس إذ يظن أن كل الأشياء هى فى مد أبدي - تولد من أشياء غير موجودة - :النتيجة بينة بذاتها فيما يظهر وإن ما يصير لم يكن قبل أن يصير . الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من :اللاموجود - أو أن الاشياء التى تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

الباب الثاني

تتمة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ انه ليس شيء يأتي من لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ - نظريات أميدقل وأنكسساغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزينون - شواهد من شعر أميدقل وهي زيود - الوجود ليس ضرورة واحدة أزليا ولا متناهيا .

١ - نحن لا نشتغل ببحث ما اذا كان مايقوله ممكنا أو ممتنعا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيها بعض الالتفات وهي ما اذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو اذا كانت الاشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لانه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة .

٢ - فهو يقرر باديء بدء انه ليس شيء يمكن ان يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري اذا أن تكون جميع الاشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الاشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تتمشى الى مالا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تتكون رجعي دائرية بحيث ان الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجود ما وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء يمنع أن الكل قد خلق وأصبر حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن اذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الاسماء التي لا تناسب الا الوحدة لانه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية انه كل وانه يسمى كلا .

١ - ما اذا كان ما يقوله - ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التمين الشخصي . - بعض الالتفات - وربما يمكن أن يقال « التفاتا جديا » . - من فروضة - أو « المبادئ التي يسلم بها »

٢ - فهو يقرر باديء بدء - ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر ... الخ . - بلا استثناء زدت هذا القيد لاحصل كل قوة العبارة الاغريقية . - غير مخلوقة - ر . ما سبق في الفقرة الاولى حيث هذا التحفظ بعض الاشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . - أن تأتي الاشياء بعضها من بعض - هذا ممكن بلا شك ولكن لا بد باديء بدء من افتراض وجود بعض اشياء تكون أزلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . - رجعي دائرية - هذا هو ما ذكر آنفا بمباراة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبقا بوجود ما قد لا يكون أزليا وباقيا . - يوجد دائما موجود ما - مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هوائي اذ لم تكن الموجودات أزلية =

٣ - حتى من غير أن يقرض أن غلدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل بصير وان لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد اذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فإنه يقول : « اذا الموجود لم يصبر واذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا » . وهذا انما هو تسليم بأن الوجود يتعلق بضرورة بالاشياء .

٤ - وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة كما الذى ينم أيضا أن من الاشياء ماتولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك انما هم نظرية أمبيدقل نفسه . فإنه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق بخبر مما لم يكن وأنه لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة « مادام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعة » مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الاشياء ما هو أزلى كالنار والماء والارض والهاء وأنه انما من هذه الاشياء أنت وتأت حميم الآخر . وعلم رأيه ليس للموجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس فى الحقيقة الا اختلاطا وتحللا . وهذا ما يسمى عاميا كون الاشياء وطبعاها .

= ان الكل قد خلق - فى التعاقب لا فى البدء . - انه كل وأنه يسمى كلا - وبعبارة أخرى : للامتناهى هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

٣ - كونها - بعضها بواسطة البعض الآخر . - دائري - وبالنتيجة على التكافؤ ، فإن الثانى يكون الاول كما أن الاول قد كون الثام . - كما يزعم بعضهم - هرقليطس وفروطاغوراس مثلا . - ولكن ميليسوس - عبارة النص : - ولكنه « ز » ما سوف بجى القطعة الاولى وما يليها من قطع ميليسوس . - فإنه يقول - هذه الصيغة تدل على أن القول المروى هو من كلام ميليسوس .

٤ - بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير - يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . - وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم - وأنه أزلى . - من الاشياء - التى هى موجودة أو التى وجدت فيما سبق . - نظرية أمبيدقل - لم يذكر آيات أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة ليرمين دبدو ص ٣ . - وفقا لرأى ميليسوس - ليس الاسم فى النص الاغريقى ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التى استخدمها المؤلف . - ما دام أن الموجود يبقى دائما - هذا الشاهد بيت من آيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ١٠٤ فى المرجع السابق . - كالنار والماء . الخ - الاربعة العناصر التى يسلم بها أمبيدقل أيضا . - الا اختلاطا وتحللا - تلك هى عبارة أمبيدقل بالنص . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ فى المرجع السابق . وان أرسطو يذكر أيضا هذا البيت فى كتاب الكون والفساد ك ٢ ب ٦ ف ٦ . - عاميا - عبارة النص عند الإناس . - قطع أمبيدقل البيت ١٠١

٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الأشياء الأزلية وأن ماهو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة إذ يقول: « كيف يمكن في الحق أن يقال : ان شيئاً يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ » « إنما هو من اختلاط النار وتركيبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن خرج تكثر » « الأشياء » وبانفصال هذه العناصر وتباعد بعضها عن بعض تنعدم الأشياء من جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفرق ولو أنه بالطبع لا يوجد الا أربعة عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد » .

٦ - حتى مع افتراض أن العناصر لامتناهية منذ الاصل لتكون الأشياء بتركيبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحياناً أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الأزلية غير المتناهية كمصدر لجميع الأشياء التي تتكون . وقد لا ينتج من هذا أيضاً أن الكل هو أزل بلا استثناء . بل يوجد دائماً بعض أشياء قد تأتي وتكون أتت من موجودات متقدمة وتفتنى في جواهر أخرى .

٧ - بل يمكن أيضاً ألا يكون الا صورة واحدة للكل كما كان يؤكده أنكسيمندروس وأنكسيمين إذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل إنما هو من الهواء .

٨ - وإنما هذه هي أيضاً نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو

§ ٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل - النص لا يسمى ها هنا أمبيدقل . ولكن كل مايلي يثبت تماماً أن القول إنما هو بصدده . - الصيرورة - أو التولد . - كيف يمكن في الحق - ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطعه البيتين ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضاً الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - بصرف النظر عن العلل - عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ها هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يخللان الأشياء بأن يكونا ويفسدا دوريا السفيروس . ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٤ من ترجمتنا .

§ ٦ - بتركيبها . . . بافتراقها - على حسب نظريات أمبيدقل . - أنكساغوراس - ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ من ترجمتنا . - بلا استثناء - أضفت هذه الكلمات . - في جواهر أخرى - هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطو طاليا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

§ ٧ - الا يكون الا صورة واحدة - هذه الجملة هي الترجمة المجهولة للنص . لاغريقى ولكن ما يلى يثبت أن المعنى بلفظه « الصورة » هو « العنصر » وان آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة حتى المعرفة فان أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

§ ٨ - كوحدة - أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجلى من ذلك ان يتكلم على اتحاد المادة وحيث يرجع الى مذهب «الذات كما سنبين فيما بعد بمناسبة =

« الكُل » كوحدة • وذلك انما هو تبعاً لان « الواحد » يتغير بالصور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعاً لانه رقيق قليلاً أو كثيراً أو لانه سميك أن الاشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد • وحينئذ « الواحد » مع بقائه هو هو يكون بقية الاشياء ويشكلها •

٩ - أما ديمقريطس فانه من ناحيته يقول على السواء ان الماء والهواء وكل واحد من الاشياء المختلفة هكذا هي متحدة وانه لا فرق بينها الا في المجرى والتماس والاتجاه • وما المانع أيضاً ، في هذا الفرض ، من أن الاشياء المتكثرة تتولد وتنعدم مادام « الواحد » يتغير أبداً من الموجود الى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن « الكل » في مجموعه يصير بذلك أبداً لا أصغر ولا أكبر ؟

١٠ - وفوق هذا ماذا يمنع أن أجساماً متعددة كما يشاء تتولد من أجسام آخر وتتحلل الى أجسام آخر أيضاً بحيث تكون دائماً على كمية متساوية في تحللها وبحيث انها تنعدم من جديدة •

١١ - لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فماذا يزيد هذا في اثبات أن الموجود هو لامتناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه اذا هو يوجد والا يكون قد ولد البتة • لان الحدود على رأيه هي هنا بداية الكون ونهايته • غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفاً ؟ فاذا كان اللامتناهيه

ديمقريطس • - تبعاً لان الواحد يتغير بالصور - الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضاً في النص الاغريقي فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها • - يكون ••• ويشكلها - ليس في النص الا فعل واحد •

§ ٩ - ديمقريطس - هو في طريقته أيضاً نصير للوحدة لان ذواته هي على الاطلاق متماثلة ولا تختلف الا بالعدد والصور والتماس والحركة • - الاشياء المختلفة هكذا - كان الاحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لانها في الواقع هي عينها على حسب ديمقريطس • - في المجرى والتماس والاتجاه - هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه واضعها أو على الاقل هو الذي في المجموعة نقلها من معناها العادى • على أنى لا أجد هذا المبر من هذا الكتاب موجوداً في قطع ديمقريطس الاغريقية لفرمين ديلغ • فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب في الحلو بعضها مع بعض • من الموجود الى الموجود - دون أن شيئاً ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بان الذرات متصورة اذلية ر • كتاب السحاب ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا •

§ ١٠ - وفوق هذا - هذا يظهر أنه تبع للافتكار النسبية ما هنا الى ديمقريطس وهذه الفقرة لا تكاد تكون الا تكريراً لما سبق • - على كمية متساوية - الكمية والعدد الكلى للذرات لا ينقصان ، ولفقط المركبات التي تركبها تلك الاجزاء التي لا تتجزأ هي التي تحتوى منها على عدد أكبر أو أصغر •

§ ١١ - أن الموجود هو لا متناه - ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذي استعمله هو غير محدد • - على رأى ميليسوس - هذا يتعلق بميليسوس لا =

قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التى منها يخرج ليكون .

٦٢ - فماذا يمنع اذا - حتى بدون أن يكون قد كون - أن يكون له بالاقبل بداية ؟ لا البداية التى منها اتى - اذا شئت - بل بداية اخرى . وأن الأشياء مع كونها أزلية يتحدد بعضها ببعض على طريق التكافؤ

٦٣ بل ماذا يمنع أن « الكل » الذى يكون غير مخلوق أن يكون لامتناهياً وأن جميع الأشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالسلطة بداية ونهاية فى كونها .

٦٤ - ألا يمكن أيضاً كما ينبغي برمينيد أن « الكل » مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهياً « بأن يكون من جميع الجهات مشابهاً لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوياً الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلاً إلى أن يكون فى الجزء الفلانى أو الفلانى أكبر أو أجمل مما هو ؟ » .

٦٥ - ولما أن له وسطاً وأطرافاً فله خلد مهما كان غير مخلوق مادام أن « الكل » مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نقسه فانه ، من حيث كونه جسماً ، كل أجزائه بلا استثناء متشابهة بعضها لبعض . ومن هذه

= بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقاً لضمير الغالب من غير أن يعنى بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . - اذا هو يوجد - ر . ما سبق ف ١ - والا يكون قد ولد البتة - ان لا نهاية الموجود - قلنج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بداية الكون - أو عبارة اخرى « بداية نفس الموجود » . لان الموجود بما هو أول يمكن أن يصير غير ما هو متجداً ولكنه لا يولد على الحقيقة . - حدوداً أخرى - المذكورة آنفاً - يعنى ابتداء التغيرات التى يمكن أن يعاينها ونهايتها . - على رأى ميليسوس - أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذى يستعمله المؤلف ر . فما سوف دل القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ - حتى يدعى أن يكون قد كون - اعنى مع بقائه أزلياً . - بل بداية اخرى - هذا لا ينطبق الا على التغير الذى يصير الموجود غير ما هو وبحاله من غير أن ينزع شيئاً من أزليته . - يتحدد بعضها ببعض - بأن تتوالد على طريقة التكافؤ . § ١٣ - متناهية - بالكم دون أن تكونه بالعدد وأن يكون بعضها بعضاً بتسلسل مؤبد . - بالسلطة - زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرينة فيما يظهر لى .

§ ١٤ - كما ينبغي برمينيد - يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس واكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انعقاداً عاماً لمدرسة ايليا . ر . قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفية الاغريقية لفرمين ديدو ص ١٢٤ .

§ ١٥ - ميليسوس نفسه - ليس فى النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغالب كما هو الحال فى كل موطن . - هو يقرن - أى ميليسوس ولكن هذا يمكن على =

الجهة إنما هو يسر التشابه المطلق « لكل » ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون ان « الكل » مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : اذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمغاير له فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا « واحد » ولا لامتناه .

١٦ - ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعنى هو أيضا أن اللا متناهي مشابه اضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى ان « الكل » هو متشابه لان أجزائه متشابهة بما أن هذا « الكل » هو مع ذلك من الماء أو من الارض أو من شيء آخر .

١٧ - من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم لا يمكن ان يكون لا متناهيًا . لان « الكل » هو وحده لامتناه . وبالنتيجة أن هذه الاجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ .

١٨ - ولكن اذا كان « الكل » أزليا ولا متناهيًا فكيف يمكن أن يكون « واحدا » مع كونه جسما ؟ ثم اذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فاذا يعترف ميليسوس نفسه بأن « الكل » هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من

« سواء أيضا أن يطبق على مذهب برمينيد كما يرى في الايات التي ذكرت آنفا . - التي يبطلها أنكساغوراس - قد يمكن أن يفهم منه أيضا كما فهم م . مللاج « التي يؤيدها أنكساغوراس » . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لساوباخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان العقل الاعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فانه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لاي ما كان .

§ ١٦ - ميليسوس - التنبيه السابق . أى أن ميليسوس ليس مسمى هاهنا أيضا - اضافيا لذاته - النص أقل خطبا : « هل يعنى الشبيه نسبيا اليه » .

§ ١٧ - ميليسوس - كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولو لم يكن مذكورا في النص . - كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم . ر . ماسوف . يل من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

- هو وحده لا متناه - زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . - يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . ر . ما سبق ف ١٢ .

§ ١٨ - مع كونه جسما - أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . - ميليسوس نفسه - اسم ميليسوس ليس مذكورا في النص الذي ليس فيه دائما الا ضمير غائب . - كما أن زيفون يحاول أيضا أن يثبت - أن ذكر زيفون هذا يسمح لنا أن نقدم رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا للمذهب على حدة . ر . التحقيق الذي سبق .

الماء أو من الارض أو من أى عنصر آخر فحينئذ يكون للموجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن « الكل » يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

١٩ - ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر اعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان « الكل » ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيفه يكون لامتناهيا ؟ وما المانع إذا أن يكون بمجموعه كثرة واحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الاشياء مع كونها هكذا متكثرة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟

٢٠ - قد يزعم أكسينوفان أن عمق الارض وعمق الهواء غير متناه . ولكن أمبيدقل يبطل هذه النظرية اذ يبين فى انتقاده المحكم أنه إذا كانت الاشياء كما يزعمون فمن المحال مطلقا ان تكون البتة .

« ان أسس الكرة والاثير غير الملموس التى كثر مايكلموننا عنها ليست الا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع » .

٢١ - لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخف فى افتراض أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه . وفى الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القليل فيمكن جيدا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما

§ ١٩ - بعضها أصغر - حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توحد عدة أجزاء لتكون متميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . - من زيادة جسم ما - لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لائى ما ما دام أن المقصود هو « الكل » . - متكثرة وأكثر من واحد - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - على عظم غير متناه - عبارة النص بالضبط « غير متناهية فى العظم »

§ ٢٠ - قد يزعم أكسينوفان - رأى أكسينوفان هذا مذكور فى كتابه السهماء ك ٢ ب ١٣ ف ٧ ص ١٩٤ من ترجمتنا . فى تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو انتقاد أمبيدقل ويستشهد بالبيت عينه الذى استشهد به هنا .

§ ٢١ - أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه - ان تخالف الاجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . - بوجود عدة أشياء - أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكثرة بما هى موجودات خاصة ، وان هذا غير مانع وحدة المجموع . - لانه لا يمكن - يقدر ملاح ان هذه هى نظرية ميليسوس التى يطلها المؤلف ولا شئى فى النص يعزز أو يرفض هذا التقدير . - خلل فى باطن المتخلخل - اضطرت لاستخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاخرى . - باقى هو ما هو - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لا أن « الكل » ملى - يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة « على رأى ميليسوس » على حسب تقدير ملاح . ر . القطعة . من قطع ميليسوس .

أن يكون كل واحد من هذه العناصر مشابها لذاته • لانه لا يمكن أن يكون الجزء الفلاني متخلخلا والاخر كثيفا الا ان يوجد خلو في باطن المتخلخل • ولكن لاشئ يمنع انه بالنسبة لبعض الاجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث ان جزءا بعينه من « الكل » يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع ان الكل مع ذلك باق هو ماهر • ولكن لما ان « الكل » ملىء فالتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف •

٢٢ - واذا كان « الكل » غير مخلوق فكيف يمكن ان يستنتج من هذا وحده أنه لامتناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو احسر يكون متناهيا مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لامتناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك « الكل » الذي يتوهمونه ؟ •

٢٣ - يقول ميليسوس ان الموجود لا يتحرك اذا كان ليس ثم من خلو • لان الاشياء لا تتحرك البتة الا بان تتغير بالايين • غير انه يادىء بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلو فانهم لا يقبلون أن يكون جسما • يمكن أن يعنى بالاشياء هنا نحو مايعنيه بها هيزيود حين يقول في الحلقة « انما هو انعماء الذى ظهر يادىء الامر » مفترضا بذلك أنه كان ينزم قبل كل شئ أن يوجد محل للموجودات هذا هو مايعنى بالخلو الذى يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها •

٢٤ - على انه حتى مع عدم وجود خلو فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء • وان انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة

٢٢ § - من هذا وحده - يظهر لى أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضرورى أن يكون لا متناهيا • لانه من المحال على عقلمنا أن يفترض له حدودا •

- ولماذا يستلزم - هذا ليس فى معظه الا تكريرا لما سبق • - يتوهمونه - صيغة اللص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وبرمينيد وزيتون •

٢٣ § - يقول ميليسوس - • وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم • - بان تفسر بالايين - تلك هى حركة النقلة • ولكن حركة الاستحالة يمكن ان تحصل من غير تفسير فى الاين • هيزيود - ر • ما سبق • ب ١ ف ١٣ فى الحلقة - وأحسن من هذا « فى كون الاشياء » • - العماء الذى ظهر فى يادىء الامر - العماء لا يشتبه بالخلو • انه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الاشياء • موجودة ما دام تدخل العقل ضروريا لتنظيمها • - هذا هو ما يعنى بالخلو - هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى •

٢٤ § - فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء - أو د أن ذلك لا يمنع حصول الحركة • - انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة - وفى رواية بعض المخطوطات =

لم يقنع بأثبات أنه لا يوجد خلو بل أثبتت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن يكون الخلو ضروريا .

٢٥ - وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل ان الاشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، مالا يفيد في « الكل » ولا أن يوجد خلو كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلو ؟ يقول أمبيدقل لان الاشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة :

« فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد »

اليس يمكن في الواقع أن الاشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . ومادام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الامر الى الاول ؟

٢٦ - وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يبقى في انحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة واذا لا شيء مما قال يدفع ان هذا النوع من الحركة يوجد في الاشياء حينما تمر من الابيض الى الاسود أو من المر الى الخلو لانه ليكن الخلو غير موجود وليكن الميء لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

= « الذي اشتغل بهذه المسألة من قبله » - أنه لا يوجد خلو - ر . الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا حيث لا يظهر على ارسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات انكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

§ ٢٥ - متى تم تركيبها - بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم افتراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . طول الزمان - ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمان فيها السفيروس ينسبط أو ينقبض في ذاته (ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠) - يقول أمبيدقل - ر . قطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الاغريقية طبعة فرمين ديدو . - في صورة واحدة - هذه عبارة النص بعينها . - فلا شيء يكون خلوا البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . - وأن الكل يكون دائريا - يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

§ ٢٦ - وميليسوس نفسه - وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . الاستحالة - ر . في الطبيعة ما يخصم بحركة الاستحالة ك ٢ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . - الاستحالة أن تكون ممكنة - حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بحدوث جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها .

٢٧ - وبالتبع فلا ضرورة لان كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أو لان « الكُل » يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لان يوجد عدة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

٢٨ - ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع ان الموجودات لتعبر ترتيبا وليسا مادامت الحركة هي حكما في الوحدة التي تختلف حينئذ بدلا لثبوتها وبالأقل والتي تستحيل بطرائق شتى بدون ان ينضم اليها شيء او اذا انضم اليها شيء فبدون ان يكون هذا الشيء جسما واذا كانت عدة اشياء هي التي تنضم فيدون الا تزيد على ان تمتزج بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ .

٢٩ - ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب المذيين يتكلم عنهما ميليسوس والذين بدونهما ربما تنعزل الاشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الاشياء باستقلالها التام الا بعد ان يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر اذ هي تحتاج ، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها

§ ٢٧ - وبالتبع - يظهر ان هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر انها لازمة . - كلا يكون أزليا - كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي معرفة في أكثر المخطوطات هي كما أودعها الآن في مخطوطة ليبرج وكذلك في ترجمة فليسيانو كما نبه اليه مللاخ .

§ ٢٨ - في نظريات ميليسوس - بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص الا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفي قبول حركة الاستحالة لينهزم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الوجود ولا تحركه . ترتيبا وكيفا - عبارة للنص بالضبط (ان تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة) . - بالأكثر وبالأقل - مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سواد لان الكلام هنا هو يصدد استحالة بسيطة ونيس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . - فيدون أن يكون هذا الشيء جسما - الواقسح أن في الاستحالة ليست هنا اضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للموجود داخلية بحيث . أن تمتزج بعضها ببعض - كما يمكن الكيف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ - اللذين يتكلم عنهما ميليسوس - الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارة المذكورتين في هذا المر هي من خصائص لغة ميليسوس الفلسفية . - بدونها - جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك شرعا يمكن أن يثير الفكرة : « لا يفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخليط يمكن عند الارادة عزل الاشياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تنقية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولاجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الأجزاء فيه مرتبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب =

بعد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقاً لكل *

= وان كل جزء يكون مشابها مطلقاً لكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه لكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق « . - لوجود اختلاط حقيقى - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . - بما أنه لا يوجد جواهر فردة - قد أبطل دائماً أرسطو مذهب الجزء الذى لا يتجزأ لديمقريطس . ر . الطبيعة المرجع المذكور قبل .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله - الأزلية - القدرة - أحدية الله - يجب أن يتصور
كانه فلك - الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزّه عن أن يكون متناهيا ولا لا متناهيا .

١ - هو يقول أن يوجد من شيء فمحال أن هذا الشيء كان مخلوقا
مطبعا هذا في حق الله مادام أنه يلزم بالضرورة أن كل ماهو كائن يتكون
من الشبيه أو من اللاشبيه . وكلا الأمرين غير ممكن ، فأنه بادئ بدء
ليس تولد الشبيه من الشبيه أولى من أن يلد الشبيه نفسه لان هذا يخالف
التضاييف المتكافئ الذي بين المتساوين والاشباه . وثانيا ليس من الممكن
أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه . فإذا كان ، في الحق ، الأقوى
يخرج من الأضعف وإذا كان الأكبر يأتي من الأصغر والأحسن من الأقبج
أو بالعكس الأقبج من الأحسن فيكون حينئذ الموجود يأتي من اللاموجود
وهذا محال قطعا .

٢ - إذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلي . إذا كان الله
هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ، أن يكون أيضا أحدا لانه

§ ب ٣ مذاهب إكسينوفان - لا ريب في صحة هذا العنوان فان أربعة المخطوطات
مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوزبين ومخطوطة باريس تذكره بداية
الوضوح - وبعض مخطوطات أخرى فيها هذا العنوان الخطأ : « في زينون » . وان بحث
النظريات مثبت قطعا أن الكلام إنما هو بصدد إكسينوفان ر . ما سبق في «التحقيق» .

§ ١ - هو يقول ليس إكسينوفان مذكورا بالاسم هنا كما كان الأمر في
ميليسوس ر . ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الأولى من هذه
الرسالة ولكني سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاء . - أن يوجد من شيء - هنا
الشك ، فيما يرى « برنديس » مضاد لآراء إكسينوفان (Commentationes Elladicæ)
ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الأول على ميليسوس .
مطبعا هذا في حق الله - لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . - تولد ...
يلد - هذا التكرير هو في النص . - بين المتساوين - بالكلم - والاشباه . - بالكيف .
- وثانيا - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ - أن الله أزلي - أن اسم الأزل هو الاسم الخاص لله في كثير من الأحوال فان
الله هو الوجود بذاته والذي كان موجودا دائما كما انه يوجد دائما . جاء في التوراة «انا
الموجود» . وان فكرة إكسينوفان هي ها هنا تلك الفكرة بعينها . - على رأى إكسينوفان =

لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون اذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . أن ما يحقق الله في الواقع والقدرة الالهية انما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقربهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الاقدر فانه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وأن كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لأن ماهية الاله ألا يعلو عليه أحد . وأن كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الاله الذي هو أن يكون الاحسن لأن المساوى ليس بالبداهة أقبح ولا أحسن من مساويه .

٣ - ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا والا لا يمكن أن ينفذ كل مايشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة آخر . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا

٤ - ولانه أحد فهو مشابه لذاته على الاطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . والا لزم أن بعض اجزاء الاله تكون حاكمه ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

٥ - ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فلكيا لانه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أى جزء آخر لكنه كذلك في جميع الاجزاء بلا استثناء .

= لم يذكر النص اسم اكسينوفان وليس هنا الا اسم اشارة غير معين . ر . ماسبق
 ف ١ - أكبرها - عبارة النص بالضبط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل اكسينوفان هذا متين متانة وجلي جلاء . وقد تقدم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم اكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا اثر له ما هنا . لذاذا كان الله مدمجا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . - لان ماهية الاله - كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

§ ٣ - لزم ضرورة أن يكون واحدا - الادلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وأن الذي حصل هنا هو فكرة اكسينوفان دون عبارته . وقد حاول مللاخ أن يقوم الابيات في هذا الوطن وقد قوم ثلاث منها ولم يذكرها طبعا في قطع اكسينوفان .

§ ٤ - يرى من كل جهة - كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت اكسينوفان بنصه الذي حفظه لنا أيضا « سكتسوس اميريكوس » . Adversus mathenoticog Physicog .
 ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكتسوس اميريكوس وصف الاله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يسند اليه الا حاسة واحدة البصر مثلا .
 § ٥ - أن يكون فلكيا - تلك هي استعارة جاء بها اكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الانساني أن يتمثل بها الله . الله هو الفلك الذي =

٦ - وما دام الله أزليا أحداً فليكن فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناهياً ولا أن يكون متناهياً . فأنما الوجود هو اللامتناهي ما دام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أى جزء آخر . وهذا هو اللامتناهي . ولكن الموجود ليس كاللاوجود والموجودات مدامت متكررة فأنها يحد بعضها بعضاً على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبه لا باللاوجود ولا بالموجودات المتكررة مادام الواحد لا يحدده شيء .

٧ - الأحد - الذى أكسينوفان يسميه الله - لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركاً . فان الوجود هو فى الحق لا متحرك لانه لا موجود يأتى فيه ولا هو يمكن أن يذهب فى موجود آخر . ولا حركة الا متى كانت الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحد يتحرك فى الآخر . ولا يمكن أن يتحرك شيء فى الوجود مادام أن الوجود لا يحد مطلقاً فى أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد .

٨ - كذا هم كذا مكان ، الذى محطه ليس فى أى مكان . أفكار باسكال طبعة م . دى .
الكتاب ص ٣ سنة ١٨٥٢ . - لا استثناء - قد أضفت هذا القيد . وذلك ملائم بحق
القرينة مشابهة لمدى تماماً فى كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتنا

٨ - لا متناهياً . . . متناهياً - يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يتمشى تماماً مع معنى الله فإن الأولى معناه غير المنتهى فى الزمان . والقدير معناه غير المنتهى فى القدرة . فأنما الوجود هو اللامتناهي - إنما يكون بمجرد سوء الاستعمال للألفاظ أن نخلط بين الوجود واللامتناهي فان الوجود ليس إلا الوجود المتضمن . وفى اللغة الدالة المتضمن مذهبان فى كلمة واحدة . - ولا أى جزء آخر - كل هذا هو من البهانة . فمكان ما دام أن الوجود غير موجود . - يحد بعضها بعضاً على التبادل - أو « هي متناهية بعضها بالنسبة للآخر » . - « الأحد » لا يمكن أن يشبه - إلا بنفسه .
ان الموجود ما دام انه الكلى وليس هو فى الكثرة ما دام انه الوحدة عندها .

٩ - الذى أكسينوفان يسميه الله - ليس أكسينوفان مذكوراً هنا كما انه ليس مذكوراً فى الفقرة الأولى . وقد يكون هذا الراى هو سبب اتهام أكسينوفان بالشرك . لكن الله يمكن أن يكون أحداً مع تميزه عن العالم . - أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركاً فى الواقع أن من العسير تصور أن الله لا يتحرك كما هو من العسير أن يتصور فى حركة . أما عند أرسطو فانه المحرك غير المتحرك الذى يعطى الحركة للطبيعة بأسرها التى يجذبها اليه وهو باق هو نفسه فى سكون أبدى غير متجزئ ، ليس له أجزاء لا جسمانى الخ
ر . ك ٨ من الطبيعة الباب الاخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضاً قطع أكسينوفان المقطوعة الرابعة التى حفظها « سمبليسيوس » و « تفسير الطبيعة لارسطو »
الورقة ٦ Fragmenta a philosophorum grecorum طبعة فيرمي

ديدو ص ١٠١ . - فان الوجود هو فى الحق لا متحرك - هذا هو تابع لنظريات أكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الاغريقية . - لانه لا موجود يأتى فيه - ما دام ان الوجود هو غير موجود . - ولا حركة - عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . - لان من الضروري للحركة - أضفت هذه الكلمات اذ ظهر لى أنها ضرورية . =

٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان انه يلزم شيثان على الاقل أو أكثر من واحد لكى توجد الحركة ، وأن اللاشئ هو فى سكون ولا متحرك ، وأن الاحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون فى سكون ولا أن يكون فى حركة لانه لا يشبه اللاهوجرد ولا الموجودات المتكثرة .

٩ - ومن كل هذه الوجوه فهذا - على رأى اكسينوفان - هو الله أزل أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو فى سكون ولا هو فى حركة .

= فى اللا موجود - عبارة النص بالضبط « نحو اللا موجود » . وهو ما يظهر لى قليل الضبط .

§ ٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان - عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم اشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هى تحصيل فكرة اكسينوفان . - على الاقل -- أضفت هاتين الكلمتين - اللاشئ - هذا هو لفظ النص بعينه . - لانه لا يشبه ... - قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى اللا نهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ - على رأى اكسينوفان - الملاحظة عينها التى أهديت فى الفقرة السابقة . فان اكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك فى أن الامر بصدده .

الباب الرابع

إبطال نظريات أكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف يلزم أن يعنى بقدره الله - الله ليس فلكيا - أنه لا مثناه - وحدانية الله ليست متافية لكونه متناهية - فى نفى الحركة عن الله فى الحركة التى يمكن أن تصورها فى حق الله استشهاد من زينون .

١ - ننبه تنبيها أولا ، وهو أن أكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل مايولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن مايولد لا يولد لا من الشئيه ولا من اللاشئيه بل يولد من اللاوجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي اذا كانت كل الاشياء آتية من الشئيه أو من اللاشئيه . ذلك هو مالا يمكن . وبالنتيجة اما أنه لا شئ خارج عن الله واما أن يكون سائر الاشياء هى أيضا اذلية .

٢ - ولكن أكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول انه الاقدر والاحسن . ليس هذا مايعتقده العامة وانهم ليقبلون أن الالهة فى كثير من الاشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعز أكسينوفان هذا الرأى الجرىء من اجماع العامة . ولكن متى قيل ان الله هو القادر على كل شئ فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما فى علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التى ليس لها من شئيه بل بضعف الاغيار . وأنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل

§ ١ - كميليسوس - ها هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الاول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق به ١ ف ١ والتحقيق . يفترض - عبارة النص هى على هذا المقدار من القوة . يولد ويصير - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ولا من اللا شئيه - هذه الكلمات التى ليست فى المخطوطات قد وضعها مللاخ تبعا لترجمة فيليسيانو . ولكن الله ليس لا مخلوقا - يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على ملهيب أكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من أكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . لا شئيه خارج عن الله - هذا الرأى هو من الآراء التى يمكن انها سببت اتهام أكسينوفان بالشرك . « خارج عن الله » هى رواية مخطوطة لبيزج وقد كانت موجودة فى ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه مللاخ بحق .

§ ٢ - أكسينوفان يقبل - كذلك ليس هنا اسم أكسينوفان أيضا . ما يعتقده العامة - او « ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون » . أعلى بعضها من بعض - كذلك الاله « مارس » هو أشد الالهة حربا وأشجعهم و « زهرة » أجمل الالهات و « ميثرة » أحكمهم و « إبللون » أعلمهم . الخ . لم يستعز أكسينوفان - لم يذكر هنا أيضا اسم أكسينوفان ولكن هنا مدح جميل لمنهيه وللحمته . فانه كان ضد الآراء الشائعة فى زمانه . =

يلهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الأحسن وأنه منزّه عن النقص
أيا كان ، وإن له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكمالات كلها فله أيضا
كمال القدرة الكاملة .

٣ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة
بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكمالات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من
سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد
أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره .

٤ - قى الحق هو يزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون
أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الأحسن
لا يليق أن يقال أنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس
لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني لأنه لا يحسن البصر به فقط
أنه لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حسنا يقرر أن الله يحسن
من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكمل
مادام أنه متشابهة في جميع أجزائه .

٥ - إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صورة ذلك ؟ لماذا لا
يكون أولى به شكلا آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة ؟
لأنه كما أننا حين نقول أن الأسبيداج أبيض قى كل نواحية لا نريد أن

== بالنسبة لواحد آخر - كل هذا التدليل غاية في التعمق ويعطى فكرة ساطعة عن
عظمة أكسيفوفان . التي ليس لها من شدة أضحت هذه الكلمات . - فله أيضا
كمال القدرة الكاملة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها
من الإيهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .

٦ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم - هذه هي الدقة يجب كل ملحمة هومروس
والإن آلهة ذلك الشاعر . فيها بعض التبعة فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا .
- موجودات أخرى غيره - أو « موجودات أخرى غيرهم » وقد أثبت تلقاء تردد النص أن
أرجح الضمير إلى الله عوضا عن الآلهة .

٧ - هو يزعم - حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم أكسيفوفان .
- من بعض الموجودات - هذا هو إصلاح من عند ملاخ وهذا الإصلاح ضروري ، فيما
يظهر ، ولو أنه لا تجزئه أية مخطوطات . ولكن فيليسيانو في ترجمته كان لديه رواية من
هذا القبيل فيما يظهر . أن الله هو الأحسن - كما يدعى أكسيفوفان . - من الجزء الفلاني
أو الفلاني - ليس النص على هذا القدر من الضبط .
- متشابهة في جميع أجزائه - لا شك في أن أكسيفوفان يريد أن يقول بالبساطة
أن الله شاهد في كل مكان .

٨ - كما قرر آنفا - على حسب نظرية أكسيفوفان . - صورة فلك - هذا في
الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذي يعيب الصفات والصور التي يستند عليها العالم إلى

نعنى شيئاً آخر ألا أن يكون البياض منتشراً في جميع أجزائه ، كذلك ما الذى يمنع حينما يقال ان الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق ، له دائماً هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فلكياً كما لا يلزم أن يكونه الاسبيداج .

٦ - وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث ان له عظماً لا يكوناً متناهياً ولا لامتناهياً مادام اللامتناهى انما يقع على ما ليس له حد مع قابليته لأن يكون له حد ؟ فإن الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية . ايا كانت بحيث ان عظماً لآخر له هو يسمى لامتناهياً .

٧ - ومتى جعل الله فلكياً فمن الضروري أن يكون له حد لأن له نهايات مادام أن له مركزاً على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لابد له من مركز مادام فلكياً ، اذ أنه يعنى بفلكى ماله مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال ان للجسم حداً وأن له نهايات .

٨ - اذا كان الالاموجود لا متناهياً فإم لا يكون الوجود لانه متناهياً - كذلك ؟ ما المانع أن يكون للموجود وللالموجود بعض كيوف مشتركة

= الالهة . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كمذهب المشبهة المعروف . - يسمع من كل جهة - الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . - ان الاسبيداج أبيض في كل نواحيه - هذا التشبيه بالاسبيداج ليس منقاداً ويظهر عليه نوع من الشطط . - أى جزء من الله كيفما اتفق - هذه النظريات ينبغي أن تظهر اشد ارتقاء عن الزمان الذى كان يقررها فيه اكسينوفان . ولا يمكن الشك في انها نظريات مع الشهادات التى نقلها لنا الزمن القديم أجمع . - أن يكونه الاسبيداج - راجع ملاحظتنا على التشبيه بالاسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شيء من الشذوذ .

§ ٦ - وفوق ذلك - رد جديد من المؤلف على نظريات اكسينوفان . - متناهياً ولا لا متناهياً - في الحق من المحال على عقلنا أن يفهم الله الا على جبهة اللامتناهى . - ما ليس له حد - هذا حق ولكن ماسبيل ليس كذلك حقاً فان ما هو قابل لأن يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبداً لا متناهياً حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس الا اللامحدد واللامعين . - عظماً لا حد له هو يسمى لا متناهياً - وربما كان الاولى أن يقال « كما » وحينئذ يكون التعبير أعم .

§ ٧ - ومتى جعل الله فلكياً - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فمن الضروري أن يكون له حد - هذا يناقض فكرة لا نهاية الله ، والرد شديد القوة . - اذ أنه يعنى بفلكى - هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . - حداً . . . نهايات - هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الاغريقية لانه في ذهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ - اذا كان الالموجود لا متناهياً - هذه الرواية هي التى كانت عند فيليسيانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التى يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وان كانت =

ومتماثلة ؟ فانه لا يمكن فعلا أن يحس الالموجود . وكيف يحس ما ليس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ماهو موجود . يمكن قول الاثنين معا ونصورهما معا الالموجود ليس ابيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض حتى لايسند شيء واحد الى الموجود وإلى الالموجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون ابيض ؟ وإذا كان الامر هكذا على نقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللامتناهى قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد .

٩ - ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية بالالموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء انه لامتناه لا شيء الا لانه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على الالموجود انه غير متساو .

١٠ - ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لا شك في

= لا توجد في المخطوطات . - بعض كيوف - « أو حالات » عبارة النص غير محرة . - يحس ما ليس موجودا - ظننت واجبا على أن أضيف هذه الجملة . فان هذا التكرير ليس في النص . - الاثنين - اللذين ينطبقان على السواء على الموجود وعلى الالموجود . وفي الحق أن مالا يحس ومالا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودا انه بالنسبة لنا هو الالموجود ولو لم يكن في الواقع . - وجوب القول - ليس النص على هذا القدر من السعة .

- لا يكون ابيض - كما أن الالموجود لا يكون كذلك . - سلبا ثانيا - ليس المعنى بين الظهور لأن الالمتناهى ليس هو ذاته سلبا . فانه لا سلب الا في الالمحدود واللامعنى . وقد يمكن التدليل من جهات نظر شتى على أن الالمتناهى أقوى وجودا من المتناهى أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أية ناحية يعتبره عقلا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة ... الخ . - القاعدة العتيقة - لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى آخر غير المعنى الذي اخترته وقد يعنى به بالبساطة « على ضد ما ذكر آنفا » . وكنت أخار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فيما تقدم . ولكني لا أراها جلية فيه . - وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيا - لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فالما الموجود في الواقع هو الالمتناهى في حين أن الالموجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم الا بالنسبة للموجود الذي هو سلب له .

§ ٩ - أن تلزق - يظهر لي أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا في النص . - الالمتناهى - والاحسن : « معنى الالمتناهى » . - لا شيء الا لانه ليس له حد - بين أن الفرق كبير جدا بين الالمتناهى والالمحدود . - مثلا - أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ - لا شك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . - ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بينة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة =

ذلك ولكن لا يمكن ان يكون له حد. تلقاء اله آخر . اذا كان الله واحدا كله
فيازم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون أيضا الا وحدة محضة . لانه
لا يفهم ، اذا كانت الاشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم
عنى ذلك أن الوجد يكون لا حد له . لان الكثرة والوحدة لهما عدة محمولات
متشابهة تماما والموجود مشترك بين احدهما وبين الاخرى . فقد يكون
من الغريب ان يذهب الى انكار وجود الله ، مادام وجود الكثرة امرا مسلما
حتى لا يشبه الله الاشياء فى هذا المعنى .

١٢ - لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود
كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه

«بالفلك المستدير تماما والمتساوى فى جميع النقط ابتداء من المركز...»

فى الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن
يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما . كما انه ليس من الضروري أن
ماله حد يكون له حد اضافى كالتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذى يليه .
أن يكون متناهيا انما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ماله نهايات ليست
له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض اشياء تكون معا متناهية
وملامسة شيئا ما ، ولكن من الاشياء أيضا ماهى متناهية وليست كذلك
بالاضافة الى شيء ما .

= الرواية . - تلقاء له آخر - عبارة النص « تلقاء اله » ومع ذلك فان كل هذا الموطن قد
اصحح تبعاً لما ارتأى « برانديز » وتبرره ترجمة فيليسيانو .

— وحدة محضة - فى هذا ما فى الملاحظة السابقة . - الاحد يكون لا حد له -
ليس ها هنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية
فان الموجود مفهوما على جهة الوحدة التى تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . - الكثرة
والوحدة - ن : ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنان أيضا فى هذا المعنى .
- وجود الله . وجود الكثرة - هذا التكرار هو فى النص . - فى هذا المعنى - عبارة
النص هى كذلك مبهمه . والتناقض المشار اليه ها هنا قد تكرر فى نظريات الاسكندرئين
وقد ذهبوا فيه الى حد انكار الوجود على الاحد كما كانوا يتصورونه مع اثباتهم الوجود
للأشياء الجزئية .

١١ - كما يقوله برمينيد - هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه فى الطبيعة
ك ٣ ف ٩ ص ٤٦٦ من ترجمتنا . ر : أيضا مقطوعات برمينيد البيت ١٠٣
و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو . - ابتداء من المركز - أو « من مركزه » هذا هو تعريف
الفلك كما تعطيه الهندسة - من غير أن يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما - الظاهر على
ضد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . - حد اضافى - أو بالاضافة الى
شيء ما . - ولامسة شيء ما - هذا هو معنى المتناهي بعينه . - وليست كذلك بالاضافة
الى شيء ما - كان يعنى أن يذكر المؤلف هذه الاشياء على نحو اضبط من هذا .

§ ١٢ - ومن جهة نظر أخرى القول بأن الوجود والاحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة ان الوجود لا يتحرك انما هو قول من الغرابة بمكان ماسبقه على الاقل . انه لا تماثل قطعا ، كما قد يمكن ان يظن ، بين ان يقال ان شيئا لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك . فمن جهة انما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء انه لا يكون مساويا وهذا يمكن ان يصدق حتى على الوجود ، في حين انه من جهة اخرى يقال على شيء انه لا يتحرك لانه فعلا على حال ما ، كما انه يقال على شيء انه لا مساو ، فهذا السكون هو ضد الحركة كما ان على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الازالة تنطبق على اضداد . حتى ان يقال على الوجود انه لا يتحرك ولكنه ليس حقا ان يقال على الوجود انه في سكون . كما انه لا ينبغي ان يقال انه لا متحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن اكسينوفان يستعمل في حق الوجود لفظ السكون ويقول ان الوجود هو في سكون لانه لا نقلة له .

§ ١٣ - وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم - لا لشيء سوى ان محمولا يصلح حمله على المعلوم - بأن هذا القول لا يكون صالحا بعد التحمل على الموجود خصوصا اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست اسلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني اكرر ان كثيرا من

§ ١٢ - ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك - ر . ما سبق ف ٣ و ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المثني فان الموجود والواحد متحدان كلاهما . ان شيئا لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك - في اللغة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين . ولكنه يمكن ايضا تمييزهما كما قد كان ها هنا . فمتى يقال على شيء انه لا يتحرك فذلك بان في طبيعته امكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : انه لا متحرك فذلك بما انه ممتنع الحركة على الاطلاق . وهذا يمكن ان يصدق حتى على اللا موجود - ولو ان اللا موجود بكونه لا شيئا يمكن ان يوصف بكل كيف او ان يسلب كل كيف على السواء . لانه فعلا على حال ما - العبارة مبہمة ولم أشأ ان أحررها . كما ان على العموم جميع السلوب المكونة - ربما لم يكن هذا الا تذييلا أضافه بعض المفسرين . انه لا يتحرك - يعنى انه دائما ينبغي ان يتكلم على الوجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك «موجود ساكن» «موجود لا متحرك» فتلكم ايجابات لا يحتملها اللا موجود . وكل ذلك غمض دقيق . وهذا ماله المدلول بعينه - باعتبار ان لا فرق الا في شكل العبارة بعض الشيء . - اكسينوفان - عبارة النص هي «هذه ر . ٣ ف ١ و ١٢»

§ ١٣ - وكما قلنا آنفا - ر . ما سبق ف ٨ وف ١٢ - ليست الا سلبا - سلبا له بالنتيجة علاقة باللا موجود أكثر منها بالوجود - اكرر . - ر . ما سبق ف ٧ و ٨ . ايضا على الموجودات التي يمكن حملها على اللا موجود . - ليست آحادا - أى لا تكون وحدة . وكل الاشياء الشخصية هي في هذه الحالة . تنتج الاضداد فيما يظهر - قد كان ينبغي ان يقال « الاضداد أعينها » كما يظهر ان ذلك ينتج من الامثلة المضروبة . اما حركة واما

المحمولات فما يجوز حمله أيضاً على الموجودات لأنه يوجد أشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست أحاداً بحجة أن المعلوم ليس واحداً . ثم انه يوجد أشياء فيها السلوب بعينها تنتج الاضداد فيما يظهر . فمثلاً من الضروري أن يوجد اما مساواة واما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وانه كذلك يوجد اما زوج واما فرد مادام هناك عدد . وكذلك ايضا يلزم ان يوجد اما حركة واما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ - غير أنه اذا قيل ان الله والاحد لا يتحرك البتة لان الاشياء المتحركة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر ، فما الذي يمنع أيضاً أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر ؟ هذا قطعاً ليس لانه ليس الا الله بل لانه لا واحد احد الا الله . واذا لم يتحرك هو ذاته فما المانع ان اجزاء الله بتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضاً له حركة دائرية ؟

§ ١٥ - لكن على هذا لا يكون بعد واحداً كما يعني زينون انما هو متعدد كما قد نبه اليه ، لان زينوناً يقرر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذي نرى أو سماه باسم آخر . واذا كان الله لا جسمانياً فكيف يكون في الواقع فلكياً ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانياً اعني لم يكن أصلاً لكي لا يكون له حركة ولا سكون . واذا كان جسمياً فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟ .

= سكون - هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الاخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد الا في المثل الاول حيث المساواة واللا مساواة معبر عنهما بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان الا بالسلب وفي المثل الثاني والثالث والكلمات مختلفة ولها جميعاً صورة الايجاب ولم أستطع في لغتنا « الفرنسية » أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتى فيها .

§ ١٤ - لا يتحرك البتة - قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والاحد متحدان . - بأن يسعى نحو شيء آخر - قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجودات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . ليس الا الله - الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصاً متى اذكر ان اكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديراً .

اجزاء الله - هذا فيما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به اكسينوفان . - له حركة دائرية - باعتبار ان الحركة الدائرية هي وحدها التي يمكن ان تكون لا متناهية وأزلية . - الطبيعة كـ ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ - زينون - ان ذكر زينون بالصراحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب ان يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما ان الكلام في الثلاثة الاخر على مبلينوس واكسينوفان وقرغباس ر . ما سبق في التحقيق - انما هو متعدد - الترجمة الحرفية للنص هي « كثير من الاشياء » - الذي نرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط يكون في الواقع فلكياً - كما فيما سبق فـ ١١ في بيت برمينيد . - ان يكون لا جسمانياً - هذا هو بالضبط ما يؤيده ارسطو في الباب الاخير من الطبيعة فـ ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . كما قد قيل - او « كما قد قلت آنفاً » .

مذاهب غريغياس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الاصلية لغريغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجمع غريغياس بين الآراء السابقة - ميليسوس وزيونون - بسط مذهب غريغياس في امتناع الوجود والمعدوم على السواء .

§ ١ - هو يقرر ان لا شيء بموجود حقيقة ، وانه ان يوجد من شيء فهذا الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وانه ان يوجد شيء ويمكن لامرئ العلم به فانه لا يمكن التعبير عنه للاغيار .

§ ٢ - فيما يتعلق بهذا القول الاول الذى هو ان لا شيء بموجود حقيقة يؤلف غريغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، اذ يقررون افكارا متناقضة في امر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء انه لا شيء الا الوحدة وان الكثرة ممنوعة ؛ وأولئك ، على ضد ذلك ، ان الكثرة وحدها هى الحقيقية وان الوحدة ليست حقيقية . ذلك بان بعضهم يرون الاشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ٣ - يؤلف غريغياس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا ، « يقول انه يلزم ضرورة ان كان شيء موجودا ان يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة ، وان تكون الاشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بموجود . واذا كان في الواقع شيء فيلزم ان يكون اما احدهما واما الآخر » ، فاما

§ ١ - هو يقرر - ر . ما سبق ب ١ ف ٣ وب ٣ ف ١ . غريغياس ليس مذكورا هنا وشانه في ذلك شأن ميليسوس وباكسينوفان . ولكن بمخطوطة ليبزج عنوان هذا الجزء من الكتاب : « لى أرسطو طاليس على غريغياس » ولا يمكن ان يكون ها هنا أقل شك في أمر الفيلسوف الذى يخصه هذا التحليل ر . لا شيء بموجود حقيقة - ر . فيما سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس وقما بعد تحليل سكستوس امبريكوس المذهب غريغياس .

§ ٢ - غريغياس - في هذه الفقرة ايضا لم يسم غريغياس وليس بها الا فعل مستدال ضمير الغائب . كما تظهر لنا - او « كما تظهر لهم » . يرونها مخلوقة - ر . كتابه السماء ١٥ ب ١٠ ص ٨٣ من ترجمتنا .

§ ٣ - يؤلف غريغياس - كذلك هنا لم يسم غريغياس . يقول ٠٠٠ لا واحدا ولا كثرة - ر . ما سبق . تحليل سكستوس امبريكوس في اوله . ان يكون اما احدهما واما الآخر قد حفظت عبارة النص في ترددها كله . وبعبارة أخرى يلزم ان يكون ما كان

انه لا وحدة ولا كثرة وان الاشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فانه يحاول ايضاح ذلك اما كمپليسيوس واما كزينون بعد برهانه الخاص به اذ اثبت على طريقته ان الموجود واللاموجود لا يوجدان لأحدهما ولا الآخر .

§ ٤ - فعنده أنه اذا كان ممكنا ان اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لان هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما أن الموجود يكون الموجود ، بحيث انه لا يمكن أن يقال على الاشياء انها تكون بأقوى من أن يقال عليها انها لا تكون .

§ ٥ - يقول غريغاس : « اذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعد . مقابلة لانه اذا اللاموجود يكون فيلزم ان الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بموجود ؛ الا أنه يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن انما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لان اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك ما دام أنه مماثل للاموجود » . هذا هو تدليل غريغاس حرفيا بحرف .

اما واحد او كثرة . ويلزم ان يكون اما مخلوقا واما لا مخلوقا » . اما كمپليسيوس واما زينون - من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميلسيوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجتين : اولا ان الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميلسيوس ، وثانيا ان هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حللت آراء ميلسيوس واكسينوفان وغريغاس . التحقيق . ان الموجود واللاموجود - عبارة النص حرفيا هي « ان الموجود واللاموجود لا يكونان » .

§ ٤ - ان اللاموجود يكون اللاموجود - كل السفسطة تعتمد على فعل « الكون » مسندا الى اللاموجود . وما دام أنه يقال على اللاموجود أنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو الموجود سيان . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد احسن افلاطون وسقراط في انهما سخرا بهذه السفسطة . ان يقال على - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ - يقول غريغاس - ليس في النص الا ان الفعل مسند الى ضمير الغائب ولم يسم غريغاس ولكن اضطرت لاطهاره لبيان الفكرة في الترجمة . مقابلة لفظة المقابلة أعم من التضاد - ر - المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . شيئا واحدا بعينه . ويظن غريغاس أنه قد برهن على أنهما متماثلان . - ومن ثم لا يوجد شيء - قد يمكن أيضا أن يستنتج منه أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالأخرى . - حرفا بحرف - أضفت هذا القيد لاحصل قوة النص الاغريقي .

الباب السادس

نقض نظرية غريغياس الاولى - شاهد من ميليسوس وزيثون - الموجود واللا موجود لا يشتهان . والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكيبيس - نقض نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه - ايدان بان نظريات الفلاسفة القدماء ستندرس بعد دراسة خاصة .

§ ١ - لا ينتج البتة من ادلة غريغياس ان لا شيء يوجد . لانك ترى كيف يدل على الاشياء التي يحاول اثباتها . اذا كان اللاموجود يوجد او بعبارة اعم لو ان الاشياء يوجد فالوجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

§ ٢ - ولكن لا يظهر انبته ان الامر هكذا ولا ان هناك ادنى ضرورة لان يوجد اللاموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والاخر لا يزيد على ان يظهر . فيلزم بالضرورة ان يكون احدهما حقا والاخر ليس كذلك . كذلك من ان اللاموجود لا يوجد، لا ينتج ان الاثنين أو احدهما يجب ان يكون أو ألا يكونا . يقول غريغياس : لان اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئا ما . لذلك لا يقال البتة ان اللاموجود يكون البتة بأي وجه كان فاذا كان اللاموجود هو في حالة اللوجود فحينئذ لا يكون اللاموجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لانه ليس الا في حالة اللوجود بخلاف الموجود فانه موجود فعلا .

§ ١ - أدلة غريغياس - هنا أيضا ليس غريغياس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الافعل مسند الى ضمير الغائب . يحاول اثباتها - عبارة النص بالضبط : « التي يبرهن عليها » . وقد ظهر لي ان اسلوب عبارتي أفضل . - لو ان الاشياء يوجد - هذه عبارة النص نفسها وربما كان الاحسن ان يقال « اذا لم يوجد شيء » . فالوجود هو كذلك اللاموجود على السواء - يعني ان الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

§ ٢ - أدنى ضرورة - أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ الى الاستنتاج الموجه لجهة او لاخرى . - لا يزيد على ان يظهر - عبارة النص هي فقط « يظهر » . - من ان اللاموجود لا يوجد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - يقول غريغياس - اسم غريغياس ليس مذكورا . - اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئا ما - التناقض بين بياننا حتى في الالفاظ ولكن السفسطائي ما كان لينظر في الامر عن كتب هكذا . - لا يقال البتة لا أحد الا السفسطائيين كغريغياس والاخرين يعنى البتة بان يؤتى اللاموجود اقل حقيقة ولا ادنى وجود . - في حالة اللوجود - انما يدور الابهام على صيغة المصدر مادام ان اللاموجود هو اللوجود فانه موجود في الحقيقة كالوجود سواء بسواء . - على النحو الذي يكون عليه الموجود الجواب ليس قاطعا .

§ ٣ - إذا كان حقا أن الالموجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا ان يقال ان الالموجود موجود . ولكن اذا كان هذا . هكذا بالمصادفة فكيف اذا يكون الحال ابدا بالنسبة للاشياء التي يرجح في امرها ان تكون على الا تكون ؟ لانه يظهر ان النقيض نفسه قد يمكن ان يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ - اذا كان الالموجود يكون وكان الموجود يكون ايضا ، اذا فالكمل موجود مادام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق ، وانه ليس من الضروري البتة اذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عبثا يقال ان الالموجود يكون والموجود لا يكون فان ذلك لم يؤثر شيئا في أن جميع الاشياء موجودة ما دام اننا لو صدقنا ذلك القول لاصبحت الاشياء التي لا تكون كائنة

§ ٥ - ولكن اذا كان « يكون ولا يكون » شيئا واحدا فمن ثم لا يمكن أن يقال بعد على شيء انه يكون كما لا يمكن كذلك ان يقال عليه انه لا يكون لانه كما أن غريغاس يقرر انه اذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشده وجودا من الالموجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن ان يؤيد العكس أن الكل موجود لانه لما ان الالموجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه ان الكل موجود بالحقيقة .

§ ٣ - قد وجد بطريقة مطلقة - اي على حد سواء هو والموجود ذاته - عجيبا ربما كان في الاسلوب الاغريقي نوع من التهكم يناسب في الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق في امرها ان تكون على الا تكون - هذا بين بذاته ولكن غريغاس اذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لا شيء بموجود . فالدليل حينئذ مزدوج للغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه اللا وجود سواء بسواء - النقيض نفسه - يعني « نقيض ما يقال هو أيضا حقيقي كالذي يقال » .

§ ٤ - الالموجود يكون - كما يزعم غريغاس - كلاهما كائن - احتفظت بعبارة النص ان لم تكن قطعية فان الالموجود حقيقة كالموجود فان السلب صادق كالايجاب سواء بسواء . - من غير فوق - أضفت هذه العبارة التي تؤخذ من أسلوب النص . ليس من الضروري البتة - من حيث أن في نظريات غريغاس ، المتناقضات صادقة على السواء وان الامر وضده يمكن اقامة الدليل عليهما أحدهما كالأخر - لو صدقنا ذلك القول عبارة النص هي «على حسب تدليل هذا» يعني غريغاس .

§ ٥ - شيئا واحدا - يعني في النظرية التي يعنى المؤلف بإبطالها - أن يقال بعد ليس النص على هذا القدر من الصراحة - كما ان غريغاس يقرر - عبارة النص هي «هذا» اذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه - هذا هو أساس سفسة غريغاس . - ان لا شيء . بموجود - وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا - العكس - او بعبارة أخرى «بعكس القضية» - ان الكل موجود بالحقيقة - النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ما سيلي في تحليل سكستوس امبريكوس .

§ ٦ - بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخر يقول : ان يوجد من شيء ، فاما ان يكون هذا الشيء لا مخلوقا واما ان يكون مخلوقا . فاذا كان لا مخلوقا فهو لامتناه ، على ما يفترض غريغاس بحسب مبادئ ميليسوس ولكن اللامتناه ليس في مكان ما ، ما دام انه ليس في نفسه ولا في غيره وحينئذ يكون اذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذي في الآخر وذلك الذي الآخر فيه . ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغاس أن الموجود لا مخلوق .

§ ٧ - ولكن الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فانه لا يمكن في الواقع ان يكون قد خرج من الموجود ولا من المعدوم . لانه اذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن اذا التواجد ، كما ان اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت ان يصير شيئا ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضا ان يأتي من اللاموجود ، لانه اذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم ان أيا كان يتولد من لا شيء . واذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فان الاسباب التي تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي عينها تجعله لا يأتي أيضا من اللاموجود الذي هو كائن .

§ ٨ - فاذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام ان شيئا ما موجود ، ان هذا الشيء يكون لامخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضا ان يوجد أي شيء ما .

§ ٦ - عل ما يفترض غريغاس - كذلك هاهنا ليس غريغاس مذكورا بالاسم . - ميليسوس - ميليسوس مذكور بالاسم صراحة . ما سبق به ف٣ والتحقيق السابق . - ولكن اللامتناه ليس في محل ما - وبما هو ليس في مكان فيستنتج منه انه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي . زينون - ما سبق به ف٢ - على حيز الموجودات - زدت المضاف اليه الاخير . راجع فيما يتعلق بفرضية زينون الطبيعة لاوسط ف٤ ب٢ ف٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وبه ف١٠ ص ١٦١ - يستنتج غريغاس - ليس غريغاس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان . ما سيلي تحليل سكستوس امپيريكوس حيث هذا الدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ - لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق - أو « أنه قد صار » هذا هو الجزء الثاني من دليل غريغاس - فانه لا يمكن في الواقع - على حسب دليل غريغاس . - يسقط - هذه هي عبارة النص بعينها ، فان الموجود ليصير يجب ان يفقد كرامة الوجود ويبتدىء في الا يكون بعد ليصير شيئا ما . - اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود - ولكن يظهر هاهنا ان اللاموجود عوضا عن ان يسقط فهو يسو بوجه ما ليصير شئيا ما . وتلك دقائق لفظية . أيا كان يتولد من لا شيء - هذا هو مبدأ ميليسوس . ب١ ف١ - بالمصادفة - أخذت هذه الكلمة .

§ ٨ - لا مخلوقا أو مخلوقا - ما سبق ف٦ وقد اضطرت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأنني لم اجد خيرا منهما في لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا تحصلان بالضمط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئا اذا صار فذلك بأنه ليس أزليا وبالأقل من جهة ان يصير وأن

§ ٩ - يقول غرغياس : زد على هذا انه اذا شيء يوجد فليعزم ان يكون هذا الشيء واحدا او كثرة . فاذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فينتج منه الا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن ان يكون واحداً ، لان « الواحد » يجب ان يكن لا جسمانياً ولا جسمىً هو لا شيء ، كما يقول غرغياس متبعاً في ذلك رأياً يقرب كثيراً من رأى زينون . وبما ان الموجود لا واحداً ؛ فانه ليس ايضاً كثرة من باب اولي . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غرغياس ايضاً : اذا كان كذلك فما هو الا شيء . وفي الواقع اذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فانما هو ليس اياً كان .

§ ١٠ - يزيد على ذلك : لكن لا شيء ليس في حركة ، لانه اذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعد هو ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئاً . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن ان يكسب متصلاً بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد . وبالنتيجة اذا كان متحركاً في جميع اجزائه فهو منقسم في جميعها على الاطلاق ، واذا كان هكذا فليس موجوداً البتة . وفي هذا الصدد يقول غرغياس : ان الموجود هو

يتغير بالنتيجة . فاذا كان على الضد اذلياً لما كان ليصير بل يبقى هو ما هو . - ممنوع .
ممنوع - هذا التكرير هو في النص . ر . فلياً سيلي هذا التديل مبسوطاً بأكثر من ذلك في تحليل سكستوس امبريكوس .

§ ٩ - يقول غرغياس - النص لا يذكر غرغياس بالاسم وليس به الا فعل مسند الى ضمير الغائب . ر . فيما يتعلق بها الدليل الجديد تحليل سكستوس امبريكوس . - يقول غرغياس - ليس في النص اسم غرغياس . رأى زينون . ر . ما سبق ألفا ٦ وبه ٣ - . يقول غرغياس ايضاً - لم يسم هنا ايضاً .

§ ١٠ - لا شيء ليس في حركة - هذا الجزء من تدليل غرغياس ليس موجوداً في تحليل سكستوس امبريكوس . وربما كانت هذه الادلة ضد الحركة متعلقة بزينون أكثر من سلفها بفرغياس . ولكن لا شيء في النص يدل على انه يلزم نسبتها هنا الى زينون . - فلا يكون بعد هو ما هو - لان الحركة تقتضي دائماً تغيراً . - وحينئذ الموجود لا يكون بعد اذا كان الموجود لا يعدم بأكمله فبالاقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . - وينقطع عن أن يكون متصلاً - لا يرى لشيء يمكن أن يكون هذا لازماً فان الموجود يمكن الا يفقد شيئاً من اتصاله بنقلته . - في جميع اجزائه - عبارة النص ليست بيّنة جداً البيان . - يقول غرغياس - ليس في النص هنا ايضاً اسم غرغياس . - لوكيبيس فيما يسمى بمقالاته - يظهر أن المؤلف ، كما نبه اليه مللاخ ليس هنا واقفاً من كتاب لوكيبيس . ر . قطع ديمقريطس للملاخ ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرني ب ٩ ف ٤٦ طبعة فيرمين ديدو ص ٢٣٨ ان ثيوفراست كان ينسب الى لوكيبيس كتاباً معنوناً «نظام العالم الكبير» الذي كان المقتد دائماً انه لديمقريطس . ر . ايضاً فيما سبق آراء لوكيبيس على الخلط في كتاب الكون والفلساد ١٦ ب ٨ ف ٥ ص ٨٩ وقد يظهر جلياً على حسب هذه الفقرة الاخيرة ان لوكيبيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر ان المؤلف قد استخلص منها ما يقوله .

نأفص من جهة ما هو منقسم - وهو يتكلم على التجربة عرضاً عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيبس فيما يسمى بمقالاته .

§ ١١ - يظن غريغاس انه في هذا قد وفي البيان حقه . يقول : اذا ثبت حينئذ ان لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم الا ما يتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كمن من المحال ، على رأى غريغاس ، الا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ ان يقال مثلاً : ان «العربات تدرج على امواج البحر» لان كل هذا حق كما أنه نقيضه حق .

§ ١٢ - ولكن كيف توجد الاشياء التي ترى أو التي تسمح بهذا السبب وحده وهو ان يتصور كل واحد منها ! فاذا لم يكن ذلك هو السبب الذي يجعلها تكون ، واذا كانت الاشياء التي نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضاً ، فهل للاشياء التي نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الاشياء التي نتصورها ؟ .

§ ١٣ - في الواقع ، كما أنه ممكن جداً أن كثيراً من الناس يشاهد الاشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضاً . فالاشياء الذهنية هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحقيقي . وبالنتيجة ان يوجد من شيء فمن المحال ان تكون الاشياء معلومة لنا .

§ ١١ - غريغاس - ليس غريغاس مذكوراً هنا أيضاً بالاسم . فالكل حينئذ يعزب عن علمنا - هذه هي النظرية الثانية لغريغاس . ما سبق به في تحليل سكستوس أمبريكوس . فلم يبق من بعد من ثم - ليس النص على هذا القدر من البيان . فلا يمكن البتة تصوره - وغريغاس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام انه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط في تحليل سكستوس أمبريكوس . على رأى غريغاس - كذلك لم يسم هنا . العربات تدرج على امواج البحر . فيما سيلي تحليل سكستوس أمبريكوس حيث هذا المثل مذكور ومضاف الى مثل غيره .

§ ١٢ - ولكن كيف - قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين ان الجملة هنا غاية في الإيجاز وان الفكرة ليست مبسطة البسط الكافي . وتحليل سكستوس افضل في هذا الموطن . لا توجد من أجل ذلك أيضاً - لاننا نبصرها وفي هذه مجاوزة باللا أدري الى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هي عادة السفسطائيين اذ يلذ لهم ان يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ - هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الاغريقي أعم ولكن المعنى بين الجلاء . ولكنه لا يدري - تلك سفسطة محضة لأنه في هذا الخصوص ، اللأدري لا يتردد أكثر من العامي ويعتقد حقيقة أدراكاته . وبالنتيجة - النتيجة ليست لازمة . وفي تحليل سكستوس هذا الدليل اقوى وامتن دون ان يكون بالغاً حد القوة .

§ ١٤ - يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها الى الغير ؟ كيف يمكن الانسان ان يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الانسان لمجرد سماعه شيئا ان يفهمه جليا اذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما ان النظر لا يدرك الاصوات كذلك السمع الا يسمع الالوان ولا يسمع الا الاصوات ، فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر ايا كان .

§ ١٥ - لكن كيف يمكن ان يلتبس المرء فى كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة ان توجد دلالة اخرى ، تعطيك فكرة الشيء ان لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لاننا كبدا هاهنا غل رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الانسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه .

§ ١٦ - لنفترض ، اذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه ان يعرفه كيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لانه ليس ممكنا أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدة وفى كائنات منفصلة لانه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئا واحدا ولو كان فى آن واحد فى عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلا عند جميع الاشخاص الذين هم انفسهم ليسوا متمثلين فى الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد وأحتل بعينه .

§ ١٤ - حتى مع التسليم - مناقشة النقطة الثالثة - ما سبق به فدا ، وتحليل سكستوس أمبيريكوس . - يقول غريغاس - ليس فى النص الا لعل مستند الى ضمير الغائب - لا يدرك الاصوات - قد كان الاحسن ان يقال : « لا يرى الاصوات » ولكن اتبعت النص الذى يتخذ تعبيرا عاما كالى اتخذته . - فالذى يتكلم يتكلم كلاما - هذا التكرير فى النص .

§ ١٥ - أن يلتبس - هذه هى عبارة النص بعينها . - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة - دلالة اخرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على رأى غريغاس ليس غريغاس مذكورا بالاسم هنا . وان المعنى الذى اختاره فى ترجمتى هو الاحسن فإنا يظهر فى . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون انه لا يتكلم الا الكلام » ولا يكون هذا الا تكريرا لما قيل آنفا . وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

§ ١٦ - وعند الحاجة - أضفت هذه العبارة . - أن يفرقه - « أن يقرأ » متى كان مكتوبا . - يكون موقنا - عبارة النص « يفهمه » . - أن يكون الشيء بعينه لم أن واحد - هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق وعلى حسب هذه النظرية يمكن أن يقال على الشيء انه محال لا لشيء الا لانه معا فى عدة أحياء أو موجودات . ومع ذلك ففى الفكرة شطط . - الشيء الواحد - عبارة النص « الواحد » . - يقول غريغاس - لم يذكر فى النص اسمه . - فى الظاهر - زدت هذه العبارة . - على استعداد واحد بعينه - عبارة النص غير محددة .

§ ١٧ - لنسلم أيضا أنهم في استعداد واحد أفلا يكونون اذا اثنين بالاقبل او عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد احساسات متشابهة فان سمعه وبصره يعطيان احساسات مختلفة ، والاحساسات التي به في الحال هي مغايرة لاحساسات سابقة . فباطل اذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له ادراكات شبيهة بادراكاتك في أى شيء كان .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصا انه لا يمكن البتة للانسان ان يعلم غيره ما يعلم هو ، لان الاشياء ليست اقوالا وانه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ - كل هذه المسائل المحيرة قد اثارها فلاسفة آخرون اقدم عهدا . وسننرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

§ ١٧ - أفلا يكونون اذا اثنين - ليس اعني بيثا وقد حاولت أن ابيته باضافة كلمة « بالاقبل » ومع ذلك يظهر لي أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . في الوقت الواحد - عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكملها بأن اضاف اليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما - ملخص نظرية غريغاس . ما سبق به ف . مع التسليم بوجود شيء ما - النقطة الاولى التي كان ينكرها غريغاس الذي هو من التبصر والا ادريه بمكان .

§ ١٩ - اقدم عهدا - من غريغاس . وربما على هيرقليدس الا فيزوسي . الذي سنعقده ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر انه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

قطع من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لارسطو (الورقة ٢٢) :
فلننظر اذا الى أدلة ميليسوس وهو الاول الذى انحى عليه أرسطو . ان
ميليسوس معتمدا على مبادئ الطبيعيين (١) في كون الاشياء وفسادها ؛
يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« ان لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا الاشياء » كانه
شيء ما ؟ « ان كان يوجد شيء ما فهذا الشيء اما مولود واما ازلى . فان كان
مولودا وكان قد كوّنه فهو لا يمكن أن يأتى الا من الموجود أو من اللاموجود
ولكن ليس ممكنا أن ما ليس شيئا ، وبالأولى ما هو موجود على الاطلاق ،
يمكن البتة ان يأتى مما ليس موجودا . كما لا يمكن ايضا ان يأتى مما هو
موجود لان الموجود حينئذ يكون قد وجد ولم يكن به من حاجة الى ان يصير
وان يوجد . اذا الموجود لا يمكن ان يصير اذا فهو اذلى . ومن جهة
اخرى الموجود لا يمكن ان يفسد ، لانه ليس ممكنا أن الموجود يتغير الى
لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعويون . ليس ممكنا ايضا
أن الموجود يتغير الى اللاموجود لانه بهذه الطريقة أيضا الموجود يبقى ولا
يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولد ، وانه لن ينعدم ، فقد كان
وسيجوز أبدا » .

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق

« لكن اذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له أول .
فاذا كان الموجود ليس مولودا فلا يمكن ان يكون له أول كذلك . ويمكن
أن يزداد على ذلك ان ما قد فسد له آخر ، ولكن اذا كان شيء غير قابل
للفساد فليس له آخر ممكن . اذا فالموجود بما هو غير قابل للفساد ليس
له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه لا متناه . واذا
فالموجود لامتناه » .

(١) الطبيعويون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر . الطبيعة لارسطو ١١ ب ٢ في ٩ ص
٤٣٣ من ترجمتنا .

٣

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد • لانه اذا كان موجودا فلا يمكن ان يكونا لا متناهيين مادام انهما يحدان بعضهما بعضا • وبما ان الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن ان تكون كثرة • واذا فالموجود هو واحد » •

٤

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك • لانا الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته • الموجود بما هو باق على الدوام شبيها لذاته لا يمكن ان ينعدم ولا ان ينمو ولا ان يتغير ولا ان يتأثر ولا ان يضمحل • فاذا كانا يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعد واحدا • لان موجودا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما الى اخرى • والموجود لا يمكن ان يكون شيئا الا الموجود • وبالنتيجة الموجود لا يمكن ان يكون له حركة » •

٥

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ومن جهة اخرى لا شيء من الموجود يمكن ان يكون خلوا لان الخلو ليس شيئا • والاشيء لا يمكن ان يكون • واذا فالموجود لا يتحرك • لانه ما دام انه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه ان يتحيز • ولكن ليس ممكنا ان يدخل الموجود في ذاته ما دام أنه يلزم على ذلك اذا أن يكون أكثر تخلخلا او أكثر كثافة مما هو • وهذا ممتنع لانا المتخلخل لا يمكن ان يكون مليئا كالكثيف وما هو متخلخل هو اشد خلوا مما يمكن الكثيف ان يكونه • اذا الخلو لا يوجد • للحكم على الموجود أهو مليء أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه او لا يمكنه ان يقبل في ذاته شيئا ما • فان لم يقبل فذلك بأنه مليء • وان يقبل فذلك بأنه ليس مليئا • لكن اذا لم يكن خلوا فمن ثم كل شيء مليء • واذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد • لانه ليس ممكنا ان تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الاجسام • واخيرا

فالموجود الذى هو الكل لا يمكن أن يتحرك فى الموجود ما دام أنه لا شيء خارج عنه ، ولا فى اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا .

٦

سمبليسوس • الورقة ٣٤

« لاثبات ان الموجود لا يمكن ان يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما • لانه اذا كان قد ولد فى لحظة ما ، فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد • فاذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان من « الممتع أن شيئا يولد من لا شيء » .

٧

سمبليسوس • الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو ان لفظ البداية متعدد المعانى • فعوضا عن أن يأخذ البدايه بالاضافة الى الزمان الخاص بالموجود الدائن أخذ البداية بالاضافة الى الشيء تلك البداية التى لا يمكن ان تنطبق على الاشياء التى تتغير دفعة واحدة • فلقه رأى ميليسوس ، حتى قبل ارسطوطاليس ، ان كل جسم متناه مع انه ازلئ ليس له الا قوة متناهية وان هذا الجسم معتبرا فى ذاته فهو دائما على حد الزمان • • • • • بحيث انه بما ان له من جهة العظم بداية ونهاية يجب ان تكونا كلتاهما له على السواء بالاضافة الى الزمان • وعلى التكاثر : ما له بداية ونهاية بالاضافة الى الزمان لا يمكن معاً ان يكون الكل • ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه الى البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان • ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل • يعنى ما ليس معاً العالم اجمع • وهذا لا ينطبق الا على الاشياء التى لا اجزاء لها وغير المتناهية فى وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام الموجود المطلق هو بالضبط الكل • وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس اعيانها :

«على ذلك ما لم يكن قد كون فهو كائن دائما وقد كان دائما وسيكون دائما ، فليس له أول ولا آخر ، ولكنه لامتناه • فاذا كان قد كون فيكون له اول لانه يكون قد بدأ يصير فى حين ما ، ويكون له ايضا آخر لانه يكون قد انقطع ايضا عن ان يصير • فاذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان دائما ويكون دائما بما انه ليس له لا اول ولا آخر لان ما ليس الكل لا يمكن أن يصل الى أن يكونه » .

٨

سمبليسيوس • الورقة ٢٣ •

كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمة أبدى لا متناها .

٩

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ما له أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناها » .

١٠

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« إذا لم يكن هو أحد فهو يحد آخر » .

١١

سمبليسيوس • الورقة ٢٤ •

• ان لغة ميليسيوس نفسه يمكن ان تكون قديمة ولكنها ليست غامضة .
وقد يمكننا ان نضع تحت الانظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتهيا للذين
يقرونها ان يكونوا قضاة يحسنون الحكم في ايضاحات اضبط وأوفى •
وهناك اذا ما يقول ميليسيوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته
على الحركة :

« على هذا اذا فالعالم ، الكل ، هو أزلى لامتناه واحد ومتشابه • انه
لا يمكن ان يفنى ولا يمكن ان ينمو ولا يمكن ان تتغير صورته ولا يمكن
أن يقبل ولا يمكن ان يضمحل • فاذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون
واحدا • وفي الحق انه اذا صار الموجود غيرا فيلزم ضرورة الا يكون متشابها
وان الموجود الاول يفنى وانما اللاموجود يصير • ولو اقتضى الكل ثلاثين
ألف عام ليصير غيرا لانتهى بأن يفنى في كل ما يلي من الزمان » •

١٢

سمبليسيوس • المرجع السابق :

« ولكن لا يمكن ان تتغير صورته ، لان النظام المتقنم للعالم لاينعدم
والنظام الذى لم يكن بعد لا يتكون • ولكن ما دام انه لا شيء يولد من

جديد وما دام انه لا شيء ينعدم وما دام انه لا شيء يتغير كيف يمكن ان
أى موجود اتفق يمكن ان تتغير صورته ؟ انه يكون قد تحول من قبل
اذا كان يمكن ان يصير غير ما هو .

١٣

سمبليسموس • المرجع السابق :

« انه لا ينفعل لان الكلي لا يمكن ان ينفعل ما دام انه لا يمكن ان
شيئا قابلا يكون ازليا • ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال
الصحة • وكذلك هو لا يكون متشابها اذا كان ينفعل • انه لا يمكن
ان ينفعل الا اذا فقد ان كسب شيئا • وبهذا وحده ينقطع عن ان يكون
متشابها • كذلك ليس من الممكن ان شيئا صحيحا ينفعل بأى ما كان
لانه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم واللاوجود يكون • والدليل
عنه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق ايضا على أى اضمحلال ما للموجود »

١٤

سمبليسموس • القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ :

« لا شيء من الخلو بموجود ، لان الخلو ليس شيئا • وبما هو لاشيء
لا يمكن ان يكون • الموجود لا يتحرك لانه لا محل يمكنه ان يستقر فيه
ولكن الكل هو ملء • اذا كان خلو فالموجود يتحيز فى الخلو • ولكن ما
دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه • ما دام الكل ملئا فلا حركة • كذلك
لا يكون لا كثيفا ولا متخلخلا لانه ليس ممكنا ان يكون المتخلخل مليئا
كالكثيف سواء بسواء • والمتخلخل هو أخلى من الكثيف • اليك كيف
يلزم الحكم فى الملء والخلو »

واذا كان شيء يتحيز او يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا • فاذا
لم يتحيز او اذا لم يقبل فذلك بأنه ملء • اذا ليس الا الملء اذا لم يكن
خاو • اذا كان اذا الكل هو ملئا فلا حركة ممكنة »

١٥

سمبليسموس • المرجع السابق الورقة ٢٤ :

« اذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا »

١٦

سمبليسيوس • ما سبق الورقة ١٩ :

« وإذا كان الموجود يوجد فيلزم ان يكون واحدا • وبما هو واحد يلزم في آن واحد الا يكون جسما • لانه اذا كان له سمك كان له ايضا اجزاء ولا يكون بعد واحدا » •

١٧

سمبليسيوس • شرح كتاب السماء • الورقة ١٧٣ :

« او سيب وهو يستشهد ارسطوقلس (Preparation Evangelique XV) هذا هو اذا الدليل الاقوى على اثبات وحدة الموجود • ولكن هاك من جهة اخرى أدلة تثبتها ايضا • ان كان موجودات متكررة فيلزم ان يكون كل واحد منها كالموجود الذي اثبتت وحدته • اذا كان الارض والنار ، واذا كان الهواء والحديد ، والذهب والنار اذا كان الحى والميت ، اذا كان الابيض والاسود وسائر الاشياء التى يعتبرها الناس حقائق ، هى موجودة فى الواقع كما يقال ، فيلزم ان يكون كل شئ على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بادى الامر ، وانه لا يتغير حاله ، وانه لا يصير غيرا بل يبقى دائما هو ما هو • ولكننا نعتقد فى حالة الاشياء الراهنة اننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن ادراكها • فالحر يظهر لنا انه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير ليئا واللين يصير صلبا والحى يظهر لنا انه يموت ويتولد ثانيا مما ليس خيا بعد ، فالكل بلا استثناء يظهر لنا انه يصير غيرا • ولا شئ يظهر بانه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها • الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بلامسة الاصبع • والذهب والحجر واى جسم آخر مما يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما تأتى منه الارض والحجر • وبالنتيجة يمكن ان يقال اننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها • على ذلك فكل ذلك ابعد من ان يتطابق • اننا نقول حقا على بعض الاشياء انها ازلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت اعيننا وتنقطع عن ان تكون على ما قد كنا رأيناها عليه فى كل حالة خاصة • اذا يلزم التسليم باننا لا نحسن رؤية الاشياء وان ظهور الاشياء لنا متكررة انما هو خطأ • لانها لو كانت حقيقية ماتغيرت ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها انه موجود ، ما دام انه لا شئ فوق الموجود الحقيقى • ففى التغير قد هلك الموجود ، وهذا الذى يتكون هو اللاموجود • حينئذ مرة ثانية اذا كانت الاشياء متكررة كما يقال فيلزم انها كانت على الاطلاق كما يكون الموجود اللاحد » •

تحليل نظرية غريغياس

لسكستوس أميريكوس

(Adversus Mathematicos Logicos)

« ك ٧ ، ص ٣٨٥ ، طبعة ١٨٤٢ »

قال سكستوس بعدان أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور
الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة الا فى الاضافى :

« غريغياس الليونتيومي قد تبوأ مكانا ايضا فى طائفة الفلاسفة
الذين انكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ فى هجماته الطريقة التى اتخذها
فروطاغوراس . فانه فى كتابه المعنون « فى اللاموجود او فى الطبيعة »
يقرر النقط الثلاث الآتية : اولا انه لا شىء بموجود . وثانيا انه اذا كان
شىء موجودا فذلك الشىء هو غير قابل لان يدركه الانسان . واخيرا وثالثا
ان هذا الشىء لو كان قابلا لادراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

« واليك كيف يثبت النقطة الاولى وهى ان لا شىء بموجود . اذا
كان شىء موجودا فانما هو الموجود او اللاموجود او الموجود واللاموجود
معاً . ولكن الموجود ليس موجودا كما سيبسطه . واللاموجود كذلك
ليس موجودا كما سيبينه . واخيرا ما هو معاً موجود ولا موجود لا
يوجد كما سيبينه . اذا لا شىء بموجود . بل يدعى ان اللاموجود غير
موجود . لانه اذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه انه يوجد ولا يوجد
معاً . لانه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد ، ومن جهة أنه
اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف ان
شيئاً يكون ولا يكون معاً . اذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف الى
ذلك أنه من جهة نظر أخرى اذا كان اللاموجود موجودا فالوجود حينئذ لا
يوجد لانهما على التكافؤ ضدان احدهما للآخر ، واذا كان الموجود يصل
الى اللاموجود فاللاموجود يصل الى الموجود .

ولكن ما دام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب
اولى . على هذا اقول : ان الموجود ليس موجودا . لانه اذا كان الموجود
موجودا فانما أن يكون أزليا واما أن يكون مخلوقا واما ان يكون معاً أزليا
ومخلوقا . ولكن ، كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا
كليهما معاً . اقول : اذا ان الموجود لا يكون . لانه اذا كان الموجود أزليا

مادام انه يجب الابتداء بذلك ، فليس له اول وكل ما يولد له اول . والازلى بما هو لم يخلق لا يمكن ان يكون له اول ما . وبما هو ليس له اول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس في أى مكان ما . وفى الحق انه اذا كان فى مكان ما فيلزم انه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد . واذا كان الموجود محوبا هكذا فى شىء ما فلا يكون بعد لامتناهيا ما دام ان الحاوى هو اكبر من المحوى . ولا يمكن ان يكون شىء اكبر من اللامتناهى . اذا اللامتناهى ليس فى حيز ما .

ولكن اللامتناهى لا يمكن ان يكون كذلك محويا فى ذاته لانه اذا يكون المحل والحال يشتبهان ويصير الموجود اثنين : المحل اولا ثم الجسم . فان ما فيه الجسم هو الحيز وما فى الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود ليس كذلك حالا فى ذاته . وبالنتيجة ايضا اذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فهو ليس فى أى حيز . وبما هو ليس فى حيز فهو غير موجود . اذا كان اذا الموجود أزليا فلا يمكن ان يكون له كذلك اول .

ومن جهة اخرى الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فاذ كان بالمصادفة قد ولد فيجب ان يكون قد أتى من الموجود او من اللاموجود . ولكنه لا يمكن ان يكون قد أتى من الموجود لانه اذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه لم يكن قد ولد وانه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن ان يكون شيئا ما ايا كان مادام ان ماهو قادر على ان يكون شيئا يجب بالضرورة ان يكون قد شارك فى الوجود . اذا فالموجود لا يمكن ان يكون قد خلق .

وقد اثبت بالأدلة عينها ان الموجود لا يمكن ان يكون الاثنين معا . اعني أزليا ومخلوقا معا . وفى الحق ان هذين المعنيين يتفاسدان . واذا كان الموجود أزليا فهو لم يولد . واذا ولد فليس أزليا . حينئذ مسرة اخرى ، الموجود بما هو لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنين معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

دليل آخر : اذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثر . ولكن الموجود ليس واحدا ولا متكثرا كما سنرى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فاذا افترض واحدا فهو اما كم واما متصل واما عظم ما واما جسم . ولكن ماهو فى أى ما من هذه الاحوال ليس بعد واحدا . وفى الحق أنه اذا كان الموجود كبا فيكون منقسما . واذا كان متصلا فيمكن فصله . واذا افترض له فى الذهن عظم فلا يكون بعد غير منقسم . واذا ذهب الى حد ان يجعل جسما فاذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة اخرى

يكون له طول وعرض وعمق • ويكون مما لا يستطيع تأييده ان يدعى
ان الموجود ليس على الاطلاق شيئا من ذلك كله • واذا فالموجود ليس
واحدا •

أقول : ان الموجود ليس كذلك متكثرا لانه ما دام ليس واحدا لا
يمكن بعد ان يكون كثرة • وفي الحق أن كثرة لا تتألف الا من تركيب
الوحدات • ومتى نفيت الوحدة انتفتت الكثرة حتما •

حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا ان الموجود ليس اكثر وجودا من
اللاموجود • ويمكن ان يستنتج منه ان الموجود ليس كذلك الموجود
واللاموجود معا • اذا كان الموجود ، فى الحق ، هو مايوجد ومالا يوجد
فحينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود فى أمر الوجود • ومن ثم لا يوجد
لا احدهما ولا الآخر • فأما ان اللاموجود لا يوجد فهذا موضع اتفاق
جميع الناس • ولكن قد قرر آنفا ان الموجود يتماثل مع اللاموجود •
فالموجود اذا ليس يوجد كذلك • ولكن اذا كان الموجود مماثلا للاموجود
فلا يمكن ان يكون الاثنين معا • فاذا كان الاثنين معا فلا يكون مائلا
واذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين • وينتج منه أن الموجود هو لا شيء •
لانه اذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما ، ولا شيء وراء ذلك ،
فذلك بأن الموجود ليس شيئا •

الآن يلزمنا ان نوضح انه ان كان من شيء فذلك الشيء غير معروف
للانسان وان عقله لا يمكن ان يفهمه • يقول غريغاس : اذا كانت تصورات
عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور • وذلك بسيط
كل البساطة • وفى الحق ، كما انه اذا كانت الاشياء التى نتصورها بيضاء
هى فى الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الاشياء المتصورة ليست موجودات ،
فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن ان تتصور موجودات حقيقية •
وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الانتاج • فاذا كانت الاشياء
المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور الاشياء
المتصورة ليست موجودات كما سنقره • وذلك فرض اولينبغى التسليم
به • اذا الموجود ليس متصورا • فأما ان الاشياء المتصورة ليست
موجودات فذلك ما هو بين بذاته • لانه اذا كانت التصورات هى الحقائق
فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذى تصور به ايا كان هذا
الوجه • وهذا هو سخييف بالبداهة وافتراضه غير معقول بالمرّة • مثال
ذلك : اذا شاء المرء ان يفترض انسانا يطير فى الاجواء وعزبات تدرج
على الامواج ، فلا ينتج من ذلك وخده ان الانسان يستطيع ان يطير والعربات
تدرج على امواج البحر • على هذا فتصورات التى تتصور ليست حقائق •

يلزم ان يزداد على هذا انه اذا كانت الاشياء المتصورة موجودة فينتج منه ان الاشياء التي ليست موجودة لا يمكن ان تتصور . لان الخواص المتضادة تتعلق بالاضداد . واللاموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان اذا الموجود يمكن ان يتصور كما قد يعتقد فينتج منه ان اللاموجود لا يمكن ان يتصور . وهذا سخف . لان الانسان يتصور «سجلا» و«الشيمير» واشياء شتى اخرى ليس لها وجود ما . اذا الموجود ليس متصورا . وكما ان الاشياء المرئية هي بذلك يقال عليها انها قابلة لان ترى وان الاشياء المسموعة يمكن ان يقال عليها انها قابلة لان تسمع لان الانسان يسمعها وان المرء لا ينكر الاشياء المرئية لانه لا يسمعها كما انه لا ينكر الاشياء القابلة لان تسمع بحجة انه لا يراها فان كل واحد من هذه الاشياء يجب ان يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الامر في الاشياء المتصورة لانه لا يمكن ان ترى بالنظر ولا ان تسمع بالسمع ما دام انها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع اذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه انكار ان العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . واذا فالموجود ليس متصورا ولا يمكن ان يفهم .

ولكن بافتراض انه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق ان الموجودات التي يمكن للمرء ان يراها ويسمعها وعلى وجه العموم ان يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المراتب مدركة بالنظر وما يمكن سماعها مدركة بالسمع دون ان يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع ان طريقة الايضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الاشياء نفسها ولا الموجودات . اذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الاطلاق خلاف الحقائق أعينها . واذا فكما ان المرئي لا يمكن ان يصير قابلا لان يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض انه خارج عنا لا يمكن ان يصير هو كلامنا . وبما ان الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع ان المقالة - كما يقبل غرغياس - لا تتألف الا من اشياء خارجية تاتي فتقع في ذهننا اعني اشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى اثر تسلط ذوق ما في الاشياء المدركة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارجي الذي يعين الكلام . لا يمكن ان يقال : ان الكلام هو على الوجه الذي عليه الاشياء المرئية او المسموعة بحيث ان الكلام بافتراضه يمكن ان يستدل به على الموجودات والموضوعات الخارجية . يقول غرغياس : لانه اذا كان الكلام هو ايضا موضوعا فهو يختلف بالاقل عن جميع الموضوعات الاخرى . ومثال ذلك

أية مسافة لا تكون بين الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها ؟
 وفي الحق انه انما يختلف العضو الذي تدرك به الأشياء المرئية والذي
 يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن ان يبين
 الجزء الاعظم للأشياء الخارجية بذواتها ، كما ان أكثر الأشياء لا يمكن على
 التبادل ان يبين بعضها طبع البعض الآخر .

تلك هي أدلة غرغياس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس
 للحق ، لانه ليس بعد من مقياس ما دام ان الموجود ليس موجودا ، وانه
 لا يمكن ان يعلم ، وانه ليس قابلا لأن ينقل علمه الى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes Pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف
 ٥٧ و ٥٩ و ٦٤ - ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢

فهرس

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلى سانهيلير

(اصول الفلسفة الاغريقية)

صفحة

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠ الف ، وسابقوم الحقيقون بالاعجاب : هوميروس وسافو ٥٠٠ الف - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٠٠ الف - الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في امرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاقدمين لكتابة المؤلفات - الكتب من طاليس الى زمن ارسطو طاليس - شهادات هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان وافلاطون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل شيشيرون - ايضاح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) - محابر واقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - اولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدين بشئ للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول - الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات انكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب أمبيدقل - الاستشهاد ببعض آبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعا لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الأولية ٨٩

الباب الثاني - عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبس - نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة الذوات - رأى ديمقريطس ولوكيبس - رأى أفلاطون في كتابه طيماوس - خطأ هؤلاء وهؤلاء - وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - أفكار في قابلية الأشياء للقسم - يمكن القسمة لامتناحية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذوات - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ٩٥

الباب الثالث - في الكون المطلق وفساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد الإضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز مغلبي مهم - استشهاد برمينيد - الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأى العام في هذا الموضوع - في أن شهادة الحواس تغطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة - طريقة فهم أبدية الظواهر ١٠٥

الباب الرابع - فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحوّل الموضوع - حد الاستحالة - أمثلة مختلفة - حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١١٥

الباب الخامس - نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة - سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة الشروط الأصلية للنمو ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم النامي ١١٨

الباب السادس - الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الأبلوني - لا جل ادراك أن العناصر تفعل أن تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماسها - المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفسل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة إلى مس الشيء الذي يحركه - الشيء المتحرك يمكن ألا يمس شيئا هو أيضا في نويته - آخر نظرية التماس ١٢١

صفحة

الباب السابع - نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد فهم هذا الموضوع - سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من التشبيه - العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل - التشبه والفرق بينهما - توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظى - المشابهة بين الحركة وبين ظاهرتى الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال ١٣٧

الباب الثامن - نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان فى الجواهر المادية بالمسام - رأى الفلاسفة القدماء - استشهاد من امبيدقل - لوكيبيس وديمقريطس هما اقرب الى الحق - وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية لوكيبيس - عرض نظرية امبيدقل - موطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيبيس - استشهاد من طيماوس افلاطون - مقارنة بين افلاطون ولوكيبيس - اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات - استحالة قبول وجود الذرات وفهم من اين جاءتها الحركة - الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح - خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الاشياء ١٤٤

الباب التاسع - تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والفاعلة الافعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس غير الكافى - تحول أشكال الاجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفصل والانفعال ١٥٥

الباب العاشر - نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها - ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للاجسام المختلطة - الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكى يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شيء من التناسب - النقطة من النبيذ فى كمية من الماء - سهولة الاختلاط أو صعوبة تبعاً للتخالف فى طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط ١٥٩

الكتاب الثاني

صفحة

الباب الاول - نظرية عناصر الاجسام - عددها - شاهد من أمبیدقل - المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيماوس افلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية انها حقة بجزئها باطلة بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للاجسام - طبعها وعددها ١٦٦

الباب الثاني - حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التي يعرضها الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبارد والحار والجاف والسائل - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية ١٧٠

الباب الثالث - تراكيب العناصر بين بعضها وبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمييد - افلاطون - أمبیدقل طبع العناصر المختلفة - الامكنة المختلفة التي تشغلها في الاين ١٧٤

الباب الرابع - نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن ان تكون اكثر او اقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - امثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تماثل كيفيات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الاول للنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ... ١٧٨

الباب الخامس - بقية نظرية تبدل العناصر من المحال ألا يوجد الا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الاخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقي للعناصر المختلفة - شاهد من طيماوس لا افلاطون - عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوساط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمشي الى اللانهاية في اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفي لهذا المبدأ ١٨٣

الباب السادس - ابطال نظرية أمبیدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب - في مذهب أمبیدقل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يفسر أيضا كون الاشياء بل أخضعه لسلطان المصادفة ولا علة الحركة الاصلية ولا طبع النفس الحقيقي - شواهد مختلفة من شعر أمبیدقل ١٨٩

الباب السابع - بقية مذهب أمبیدقل - متى أنكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة - شاهد من أمبیدقل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست اقل عظما متى سلم بأحدية المادة - تعيين نظرية جديدة فيها تكون الاضداد هي التي بفعلها المتكافئ تكون جميع الطبيعة ١٩٥

صفحة

الباب الثامن - التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندنا لهذه النظرية كيف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، الذي يغذى نفسه ١٩٩

الباب التاسع - الهوى والصورة - المبادئ الأولى للأشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة - إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيديون أن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء - أنها لا تكون - يرى أن طاقة من الأشياء تتكون تحت أعيننا يغفل أخرى - إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة - المادة قابلة لأفاعلة - أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ٢٠٢

الباب العاشر - كون الأشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة حركتين - النقلة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة بانتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الموزونة للكائنات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الأجسام إنما هو الذي يحتفظ مدتها - المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك ٢٠٦

الباب الحادي عشر - نظرية تعاقب الأشياء الأبدية المنتظمة - على أي مقدار يكون تدخل الوجوب - الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافي - علاقة الواجب والأزلي - كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا إذا كان دائريا - ترتيب الأشياء العجيب - الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى - أبدية الأنواع - فناء الأشخاص المتعاقب - أزلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب ٢١٢

تحقيق - على كتاب الموسوم في ميليسوس وفي أكسينوفان وفي غريغياس ... ٢١٨

في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغياس

مذاهب ميليسوس

صفحة

الباب الاول - الموجود هو أزلى غير متناه واحد ولا متحرك - أركان الوحدة
ونشأتها - الاختلاط - ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذي ينبغي أخذه
من شهادة الحواس - ردود على نظرية الوحدة وعلى الآ أدوية - الآراء
المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ... ٢٣٤

الباب الثاني - تتمة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من
لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعض من بعض على التكافؤ - نظريات أميبدل
وانكساغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزيتون - شواهد من شعر أميبدل
وهيزيود - الموجود ليس ضرورة واحداً أزلياً ولا متناهياً ... ٢٤٠

مذاهب اكسينوفان

الباب الثالث - نظرية اكسينوفان في حق الله - الازلية - القدرة - احدىة الله -
يجب أن يتصور كأنه فلك - الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزّه عن أن
يكون متناهياً أو لا متناهياً ... ٢٥١

الباب الرابع - ابطال نظرية اكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف ينبغي
أن يعنى بقدرة الله - الله ليس فلكياً - أنه لا متناهِوحدانية الله ليست منافية
لكونه متناهياً - في نفى الحركة عن الله - في الحركة التي يمكن تصورهما في حق
الله - استشهاد من زيتون ... ٢٥٥

مذاهب غريغياس

الباب الخامس - النظريات الثلاث الاصلية لغريغياس : على الوجود ، وعلى امتناع
العلم ، وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجمع غريغياس بين الآراء السابقة -
ميليسوس وزيتون - بسط مذهب غريغياس في امتناع الموجود والمعدم على
السواء ... ٢٦٢

الباب السادس - نقض نظرية غريغياس الاولى - شاهد من ميليسوس وزيتون - الموجود
واللاموجود لا يشتبهان - والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكييس - نقض
نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم - ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل
العلم بمذكسبه - ايدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة
خاصة ... ٢٦٤

قطع من ميليسوس ... ٢٧١

تحليل نظرية غريغياس لسكسوس أميريكوس ... ٢٧٧

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

طبع هذا الكتاب على ورق صناعة شركة راکتا

تصدر قريبا

من الشرق والغرب

هَلْ لِلْإِنْسَانِ مُسْتَقْبَلٌ

بـتراند راسل

المن ٣٠ قرشا

العدد ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥